اهــــــــــداء2004
الهــيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
القاهرة

المشروع القومى للترجمة

القلم الجرىء

مفكرون غربيون ويهود انتقدوا الصهيونية

تأليف

إسرائيل شاحاق — ولبر سنسر

ليفيا روكاش — ألفريد ليلينثال

روجيه جارودى

ترجمة وتقديم

البرّاق عبد الهادى رضا

المجلس الأعلى للثقافة

٢٠٠٣

المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد ٣٦٧
- القلم الجرىء .
(مفكرون غربيون ويهود انتقدوا الصهيونية) .
- إسرائيل شاحاق ، ولبر سنسر ، ليفى روكاش ، ألفرد ليلينثال ، روجيه جارودى .
- البَّراق عبد الهادى رضا
- الطبعة الأولى ٢٠٠٣

هذه ترجمة لعدة دراسات تتناول الفكر الصهيونى بالنقد والتحليل ، وهى :

1 - Shahak, Israel. Jewish History, Jewish Religion: The weight, of three thousand years. New york : Amazon, 1992.
2 - Sensor, wilbur. "Fraud of Zionism" دراسة موجودة فى الإنترنت، موقعها: http: ll codoh. com / Zionweb/
3 - Rokach, levia. Israel's Sacred Terrorism : A study based on moshe sharett's Diary, and other Documents. New york: Aaug press, 1986.
4 - Lilienthal, Al Fred. The Zionist Connection : What price? peace. New york; Amazon, 1983.
5 - Garaudy, Roger. Founding myths of Israeli politics.

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo
Tel : 7352396 **Fax :** 7358084

المحتويات

تقديم المترجم

يقدم هذا الكتاب للقارئ العربى مختارات من أدبيات كتبها مؤلفون غربيون - غالبيتهم من اليهود - لانتقاد الفكر الصهيونى ، وكشف مخاطر استفحاله على يهود العالم ، وعلى الحضارة الإنسانية ذاتها ، والمؤلفات المختارة هى :

أولاً : كتاب **التاريخ اليهودى - الديانة اليهودية : تداعيات ثلاثة آلاف عام** الذى نشر باللغة الإنجليزية عام ١٩٩٤ لمؤلفه رئيس مجموعة حقوق الإنسان الإسرائيلية ، إسرائيل شاحاق ، الذى يتناول بالتحليل الديانة اليهودية ، وتاريخ اليهود ، مقدماً وجهة نظر جديدة بشأن أسباب معاناتهم من معاداة السامية خلال القرون الماضية ، ونقد مقذع لما يحدث فى إسرائيل حالياً .

الدراسة الثانية ، وهى : **الخداع الصهيونى** بقلم ولبار سنسور تذكر وتحلل الصفحات الأكثر سواداً من تاريخ الحركة الصهيونية حتى قيام الدولة العبرية .

الدراسة الثالثة ، وهى : كتاب **إرهاب إسرائيل المقدس** ، لليفيا روكاش ، تتناول مذكرات وزير خارجية إسرائيل ورئيس وزرائها الأسبق - موشى شارت - بالتحليل ، موضحة الخلافات الحادة بين الحمائم والصقور فى الحكومة الإسرائيلية ، كاشفة من خلال تحليل هذه اليوميات أن إسرائيل خططت منذ الخمسينيات لاحتلال قطاع غزة والضفة الغربية ، وسعت لإشعال نيران الطائفية البغيضة فى لبنان ، وودت قلب نظام الحكم فى أكثر من دولة عربية ، بل ومارست الإرهاب ضد الدول المجاورة لها بشكل منتظم ومدروس .

أما الدراسة الرابعة ، وهى : **علاقات صهيونية : ما هو سعر السلام ؟** لألفرد م. ليلينثال ، فتتناول بالتحليل الإرهاب الصهيونى خلال مرحلة السبعينيات ، وخصوصاً سيطرة الصهاينة على الإعلام الغربى ، التى يسميها المؤلف " الإرهاب

الإعلامى " ، مدعياً أن التأكيد على وجهة نظر إسرائيل فحسب - على حساب وجهات النظر العربية - وتجاهل الإعلام الأمريكى لها أدى للمزيد من العنف فى الشرق الأوسط .

أما الكتاب الأخير ، وهو **الأساطير المؤسسة للسياسات الإسرائيلية** لروجيه جارودى فيحلل فلسفة الحركة الصهيونية وما نتج عنها من قتل وإرهاب ودمار خلال القرن الماضى ، وإن كان المؤلف - جارودى - غير يهودى ، فإن كتابه استمرارية لذات الفكر الداعى لإعادة تقييم الغرب لموقفه الداعم لإسرائيل التى ما زادتها المعونات الغربية إلا تعنتًا فى عدوانيتها وعنصريتها .

من الواضح أن الأفكار التى نقدمها هنا تختلف بعض الشىء عن الأفكار الشائعة فى وسائل الإعلام العربية بشأن إسرائيل ، فالمفكرون الذين نترجم أعمالهم معنيون بتوضيح الفوارق بين عنصرية السياسات الصهيونية والقيم الروحية الموجودة فى الديانة اليهودية ، بل إن القارئ سيكتشف وجود ديانتين يهوديتين : الأولى تدعو لقيم إنسانية نبيلة ، ويمثلها فكر أنبياء اليهود المتأخرين ، والأخرى عنصرية مستقاة من أفكار تلمودية تحض على كراهية من ليسوا يهوداً والتعدى عليهم ، وهى بعض النصوص التى يعلمنا القرآن الكريم أنها محرفة، وعليها بنيت الحركة الصهيونية وسياسات وقوانين إسرائيل المعاصرة .

وقد قمت بترجمة هذه الأعمال - فى الواقع - حتى يتعرف القارئ العربى على رؤية المفكرين اليهود الذين انتقدوا الصهيونية فى الغرب . وهى وجهة نظر جديدة : فبعكس ما هو شائع ، يعتبر هؤلاء المؤلفون الصهيونية حركة إرهابية ، يتهمونها بالتطرف والعنصرية فى أفكارها الأساسية ، وبمحاولة استغلال الغرب لضمان بقاء وأمن إسرائيل . هنالك أيضًا نقاشات بشأن قضية معاداة السامية ، وازديادها بسبب عدوانية إسرائيل وما تمارسه من عنف ضد الفلسطينيين .

وقد يتهمنا البعض بالتحيز نظرًا لعدم إدراجنا لدراسات صهيونية فى هذا الكتاب. ولكن الواقع هو أن وجهات النظر الصهيونية شائعة تمامًا ومعروفة فى جميع أرجاء العالم ، وأن ما نهدف له هنا هو التعبير عن وجهة النظر الأخرى والمكبوتة ، لمؤلفين تتهمهم الصهيونية بمعاداة السامية ، وبكراهية اليهود ، وإن كان جلُّهم يهوداً .

والكثير من هذه النصوص غير متاح فى المكتبات الأوربية ، بعد أن رفع الصهاينة قضايا بمعاداة السامية ضد مؤلفيها ، وقد عثرت عليها فى خطوط الاتصالات الدولية ، الإنترنت ، فى مواقع يحض الصهاينة على مقاطعتها ، ويسعون لتدميرها ، وينتقدونها فى الإعلام الغربى كل يوم .

الكتاب فى خاتمة المطاف يسعى لتنوير القارئ العربى ، بحيث يدرك طبيعة الشخصية اليهودية وتاريخها ، وعلاقاتها المعقدة بالحركة الصهيونية حتى يكون قادراً على مناقشة أى يهودى أو داع للصهيونية على أساس معرفة مستفيضة بتاريخها وتاريخه ، ومخاوفها وهمومه . وربما يكون التفكير فى الفوارق بين اليهودية والصهيونية الخطوة الأولى فى سبيل التحرر من سلطة هذه الحركة العنصرية التى لا تزال قوتها الأساسية ودعمها يأتى من يهود الشتات الذين تستغلهم بقدر استطاعتها لتحقيق أغراضها التى لا ترتبط بالديانة اليهودية فى كثير أو قليل .

ومن الله التوفيق ،،

تمهيد (المترجم)

يحوى هذا الكتاب تراجم لعدة دراسات غربية بشأن ما يسمى "الحل الصهيونى" للقضية اليهودية ، أى الهجرة إلى فلسطين من الشتات ، وكلها تؤكد أن أضرار هذا الحل كانت أكثر من منافعه ، كما أشرنا لذلك آنفًا .

والقضية اليهودية لم تتغير لثلاثة آلاف عام ، منذ بدء التشتت اليهودى بعد السبى البابلى فى عهد بختنصر ، وأساسها هو السؤال : هل يجدر باليهود البقاء بمعزل عن المجتمعات التى يحيون فى وسطها ، بلا تزاوج أو تعامل أكثر مما هو ضرورى أو إجبارى مع من حولهم من غير اليهود أو الأغيار ؟ أو هل سيكون من الأفضل اندماجهم مع القوى البنّاءة النشطة فى تلك المجتمعات - على الأقل إلى درجة صياغة مصالح مشتركة ؟ والواقع هو أن الأقليات اليهودية بقيت منفصلة عن المجتمعات التى تعيش فى وسطها لقرون طويلة ، إما بسبب ضغوط الأحبار الذين أجبروا اليهودى على الانفصال عن الآخرين ، والبقاء وسط التجمع اليهودى المحيط به ، أو لأن قوانين المجتمع ذاته عادت اليهود ، فمنعتهم من التزاوج بالمسيحيين ، وفرضت عليهم العزلة. وقد بدأ الوضع فى التغير منذ القرن الثامن عشر ، مع ظهور الدولة المدنية ، التى طبقت ذات القوانين على الأغلبية والأقليات ؛ فبات اليهودى قادرًا بشكل أفضل على الاندماج فى المجتمع الذى يعيش فى وسطه ، وما عاد يعمل فى ميدان التجارة والربا بالذات فحسب ، بل ظهر بين اليهود الفنانون والأدباء والعلماء والأطباء والصحفيون، واحترفوا منذ ذلك الحين مهنًا متعددة ، وإن كرهوا دومًا الفلاحة ، أو الأعمال اليدوية .

والصهيونية فى الواقع حركة رجعية ؛ إذ طالبت - تمامًا كما فعل الأحبار وأعداء السامية - بانعزال اليهود عمن يعيشون فى وسطهم ، أى أنها أرادت العودة بالزمن إلى الوراء ، تحديدًا إلى العصور الوسيطة ، حين أُجبر اليهودى على الانتماء لمجتمعه اليهودى ، وما أتيحت له فرص الاختلاط بالمجموعات الأخرى . فى كتاب **اليد الخفية** ، يذكر د. عبد الوهاب المسيرى ، الأسباب التى استخدمها الصهاينة لإقناع اليهود بأفكار الانعزالية:

ثمة خاصية ما فى اليهود ، ثمة خصوصية كامنة فيهم ، تجعل من العسير على المجتمعات الإنسانية دمجهم ، أو استيعابهم ، وتجعل من العسير عليهم الاندماج فيها. أعضاء الشعب اليهودى هذا لا يشعرون بالانتماء لأوطانهم ، إذ إنهم أينما وجدوا يحنون ويدينون لها وحدها أو لحكومتهم اليهودية بالولاء ، ومن ثم فاليهودى عادة يعانى من ازدواج الولاء ولا يشعر بالاستقرار فى وطنه ، ونتيجة لهذا يصبح شخصية مريضة لا تخضع للقوانين الإنسانية العامة ، يقاوم الاندماج فى الأغيار ويقع ضحية فريدة لعنفهم (١) .

يعتبر الفكر الصهيونى أن اليهودى لا ينتمى للمجتمع الذى عاش فى وسطه لقرون، ويطالب اليهود بالهجرة إلى فلسطين ، حتى يعيدوا خلق مجتمع خاص بهم يفترض أنه وجد فى يوم من الأيام . وهذا الفكر يعتبر غير اليهودى من " الأغيار " ، الأقل شأنًا فى الحياة . أما اليهودى الذى يود البقاء فى أوربا أو أمريكا أو الشرق الأوسط ، ويتعامل مع من حوله من غير اليهود وتربطه بهم مشاعر الود والاحترام ، فهو "شخصية مريضة"، ويسمى اليهودى "الذى يكره ذاته" .

والصهيونية كذلك تستخدم فكرة أن المجتمعات التى يعيش اليهود فى وسطها تكرههم وتكن لهم العداء ، وهى ما تسمى بـ " معاداة السامية " ، وإن كان من الأفضل تسميتها بمعاداة اليهودية . ومن أهم الأمثلة على هذه الفكرة قضية المحرقة النازية التى استخدمتها الصهيونية لتبرير نقل اليهود إلى فلسطين ، والتى ذكرها شامير فى خطابه فى مؤتمر مدريد فى ٣١-١٠-١٩٩١، والتى يحللها ويفندها المفكر المصرى سيد محمود القمنى :

عمد الخطاب مباشرة إلى الضغط على ضمير العالم ، مذكرًا بمأساة الشعب اليهودى ، الذى لاقى صنوف الاضطهاد ، وأنه قد آن الأوان كى يصحو ضمير العالم ، ليرد لهذا الشعب أبسط الحقوق وهى الأمن ، بل ويطلب من اليهود الصفح والمغفرة

(١) مكتبة الأسرة ، مصر ، ١٢-١١-٢٠٠٠ .

(ألسنا عالمًا يدّعي التحضر ؟). ومن هنا أخذ يوجه حديثه إلى كل فرد في هذا العالم الخاطئ ويقول : لقد تمت ملاحقة اليهود عبر التاريخ في كل القارات تقريبًا .. وتعرض اليهود للاضطهاد والتعذيب والذبح . وشهد هذا القرن خطة إبادة نفذت على أيدى النظام النازى ، وهذه الكارثة والإبادة الجماعية المنقطعة النظير، والتى قضت على ثلث شعبنا ، تمت فى واقع الأمر لأن أحدًا لم يدافع عنا ، فقد كنا بلا وطن ، ولكن هذه الكارثة هى التى جعلت المجتمع الدولى يعترف بمطالبنا ، القائمة على حقنا فى أرض إسرائيل (١) .

يلاحظ سيد القمنى فى تحليله لهذا الخطاب أن " ضحايا اليهود " حسب هذا الفكر " قدموا أنفسهم قربانًا على مذبح قيام إسرائيل "، والواقع هو أن اليهود عانوا الاضطهاد لأسباب عدة ، منها اختيارهم للعزلة ، أو فرضها عليهم لقرون طويلة ، مما أدى لانقضاض النازية – التى ودت توحيد الأمة الألمانية – عليهم ، فقد كان اليهود قلة ذات قيم مخالفة لا تنتمى للجماعة ، سعى دعاة القومية الألمانية للتخلص منها عن طريق تهجيرها من أوربا . وهناك أكثر من دراسة فى هذا الكتاب توضح أن الصهاينة فى ألمانيا تواطؤوا مع النازية ، واستخدموها ، نظرًا لأن كلا الفكرين النازى والصهيونى ، ودا تهجير اليهود من ديارهم إلى وطن خاص بهم . وهكذا نلاحظ – مع الكثير من المؤلفين اليهود وغير اليهود – أن الصهيونية استفادت من معاداة السامية ، بل وسعت أحيانًا لصناعتها ، لأن ازدياد الكراهية لليهود فى مجتمع ، تجبرهم على الهجرة منه إلى فلسطين .

وفى فلسطين اضطرت الحركة الصهيونية لممارسة سياسات تتعارض تمامًا مع الفلسفة التى دعا لها اليهود وحاربوا من أجلها لقرون ، فاليهود – نظرًا لكونهم أقلية فى أغلب المجتمعات التى يعيشون فى وسطها – يدعون لقيم التسامح الدينى مع الأقليات ، ويطالبون بأن لا يقيّم المجتمع الفرد على أساس دينه أو تفكيره أو أصله العرقى ، بل حسب سلوكه فحسب . ولكن الحكومة الإسرائيلية تستخدم سياسات تفرق

(١) رب الزمان ودراسات أخرى . مدبولى الصغير ، القاهرة ، ١٤-١٩٩٣ .

بين الناس حسب الدين الذى يؤمنون به ، فتعطى لليهود حقوقًا للعودة ، وامتلاك الأرض ، وتحرم بقية السكان الفلسطينيين من هذه الحقوق ذاتها . وهذه السياسات يبررها التعليم الذى يدافع عن التفرقة على أساس الدين والعرق ، ويؤدى – كما يلاحظ المؤلف المعروف – السيد يسين " إلى سيادة مشاعر مريضة إزاء أى نقد يوجَّه إلى الممارسة السياسية والاجتماعية فى المجتمع الإسرائيلى ، ونمو مشاعر الشك إزاء الغرباء ، والتعصب والتطرف الأيديولوجى " (١) .

التناقض الواضح بين فكر اليهود المتفتح فى الشتات ، وانغلاق الفكر الصهيونى ، يؤدى إلى انفصام الشخصية اليهودية بين مبادئ متناقضة ، وإلى انحطاط القيم الأخلاقية لليهود فى عصرنا ، وهكذا فقد اليهودى السلطة الأخلاقية التى أتاحت له سابقًا الدعوة لما يؤمن به باسم دين سماوى . إذ تراه اليوم يدعو حينًا للتسامح ، وطورًا يدافع عن سياسات إسرائيل العنصرية وممارساتها الإرهابية ضد السكان العرب العزل . وهذا التناقض الواضح يزيد من حدة معاداة السامية .

ولهذا السبب يقول نقاد الحركة الصهيونية : إن نقل اليهود إلى مكان واحد قد يؤدى لأن تتحول الكراهية لليهود جميعًا إليه . أى أنها أكثر خطورة من بقائهم فى بلدان مختلفة . وهم ينتقدون الفكر الصهيونى كذلك لأن ممارسات إسرائيل القمعية ، واستخدامها للقوة ، وقوانينها العنصرية جميعها تؤدى لازدياد كراهية الشعوب المختلفة لليهود . فاليهودية مثل باقى الأديان ، لها قيمها الروحية ، وخصوصًا نصوص الأنبياء المتأخرين ، التى تنتقد النزعات المادية ، وتحث على الثراء الروحى للأفراد . وأورشليم فى الكتاب المقدس ليست مساحة جغرافية ، بقدر ما هى موقع رمزى تقترب فيه روح الفرد من الرب وتسمو على الشهوات الدنيوية . لكن الصهيونية تتجاهل هذه القضايا جمعاء ، وتفسر الديانة اليهودية بمعيار حرفى ، مؤكدة على أهمية عودة اليهود إلى أرض بعينها . وتحويلها إلى جيتو يهودى ، عن طريق طرد سكانها منها .

(١) تشريح العقل الإسرائيلى ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ٣٠–٢٠٠٠ .

الكثير من المؤلفين الموجودة أعمالهم فى هذا الكتاب ، مثل : ولبر سنسر وإسرائيل شاحاق ، ينتقدون عنصرية الحركة الصهيونية . أما ليفيا روكاش وألفرد ليلينثال فيدرسان الإرهاب والقمع الذى تمارسه هذه الحركة فى إسرئيل والولايات المتحدة . كتاب روجيه جارودى يتناول جميع هذه المواضيع ، وإن كان أهم ما فيه تحليله العميق لقضية تواطؤ الصهاينة مع هتلر ، واستخدامهم اللاحق لقضية معاناة اليهود فى ألمانيا النازية من أجل ابتزاز العالم الغربى .

قد يتصور القارئ أن الحضارة الغربية قد تقبلت النصوص المترجمة فى هذا الكتاب كما تقبلت غيرها من النصوص من قبل . والواقع يخالف ذلك تماماً . فمن يتجرأ على نشر كتاب ينتقد سياسات إسرائيل فى الغرب يواجه الكثير من القذف ، مثل الاتهام بمعاداة السامية ، الذى يعنى فرض الحظر عليه وعدم نشر كتبه وفصله من عمله، وربما اغتياله . ألفرد ليلينثال يصف معاناته فى أحد الفصول التى نترجمها من كتابه . أحياناً كثيرة ألغيت محاضراته فى آخر لحظة ، بسبب ضغوط اللوبى الصهيونى على المؤسسات التى دعته للتحدث ، وإن تحدث تعرض للمقاطعة ، وتلقى أكثر من تهديد بالقتل . ورفعت عليه أكثر من قضية . أما روجيه جارودى ، فقد تابع الإعلام المصرى مؤخراً ما حل به ، والقضايا التى رفعت ضده فى فرنسا لأنه انتقد إسرائيل فى كتابه عن **الأساطير المؤسسة للسياسات الإسرائيلية** . إنها إذاً كتابات دفع ثمنها لحماً ودماً .

وإن كان هناك تشابه بين أفكار هؤلاء الباحثين وبعض الرؤى العربية للشأن الإسرائيلى ، إلا أننا نرجو ألا يتقبل القارئ كل ما ذكره المؤلفون هنا على علاته . وقد لاحظ أستاذنا الكبير د. حسين مؤنس ، فى دراسته القيمة « **كيف نفهم اليهود** » وجود" مبالغات ومغالطات جسيمة لا يخلو منها أى نص يكتبه اليهود عن أنفسهم " (١) وسبب هذا الوضع هو أن الاضطهاد الذى واجهه اليهود فى أوربا لقرون نتج عنه شعور بالدونية تحول فى عصرنا إلى نزعة استعلاء وشعور بالعظمة . قد يجد القارئ فى هذه النصوص بعض السعى لتمجيد الذات ، وشيئاً من الأنانية ، وبقايا من عدم تقبل الآخرين ، الذين يسمونهم " الأغيار "، وغيرها من أخطاء الفكر اليهودى. أحياناً ،

(١) دار الرشاد : القاهرة ، ص. ٨٣ .

حين بلغ السيل الزبى ، قررنا التدخل فى هامش أو حاشية لتوضيح مغالطات من ترجمنا أقوالهم . ولكننا غالبًا فضلنا أن نترك حرية التقييم للقارئ الحصيف الذى سيدرك الغث من الثمين . وإن كنا بشكل عام نؤيد المؤلفين فى غالب ما ذكروه من نقد لسياسات إسرائيل الداخلية ، أو عدوانيتها تجاه الدول المحيطة بها . وخصوصاً لأن ما يذكرونه موثق ، إذ يخشون مغبة الحديث بهذا الشأن بدون توثيق ، خوفًا من الاتهامات التى ستلحق بهم نتيجة لذلك .

أما أهم ما أود توضيحه فى هذا الكتاب ، فهو أنه من الخطأ الخلط بين اليهودية والحركة الصهيونية . فاليهودية ديانة قديمة ، تعيش الآن قرنها الثلاثين . أما الصهيونية ، فعبارة عن حركة قومية متطرفة لم تبدأ بتحقيق طموحاتها قبل عام ١٩٤٨، أى أن عمرها لم يبلغ ، حتى الساعة ، القرن الواحد . هكذا يوجد بين اليهود من تجرأ وعارض الصهاينة فى كتاباته وعانى من جراء ذلك الأمرين . والغالبية يخشون مغبة الحديث بهذا الشأن ، وإن اختلفت آراؤهم مع الصهاينة .

أما الحل الذى يقدمه جميع مؤلفى هذا الكتاب للقضية اليهودية فهو أن يندمج اليهود بشكل أفضل فى مجتمعاتهم التى يعيشون فيها ، وألا يحتاجوا للهجرة والحياة فى جيتو كبير – إسرائيل – حيث تسود قيم العنصرية والعنف فى التعامل مع من ينتمون لأى عنصر آخر . وفى إسرائيل ذاتها ، لابد من صناعة قوانين أكثر إنسانية ، والسماح لمن هجِّروا بالعودة إلى ديارهم .

وعسى الله أن يهدى اليهود ، فيتعلموا الحياة مع من حولهم من سكان العالم بسلام، كما عاشت الأقليات اليهودية فى وسط المجتمعات الإسلامية بأمان لأربعة عشر قرنًا .

ومن الله التوفيق .

أولاً : من « التاريخ العبرى - الديانة اليهودية ، تداعيات ثلاثة آلاف عام »

إسرائيل شاحاق

تمهيد

أثارت المحاضرات التى ألقاها د. إسرائيل شاحاق [١] فى الولايات المتحدة فى يونيو ١٩٦٩ ضجة كبيرة ، وأقلقت من تشبعوا بالصورة المثالية عن المجتمع الإسرائيلى التى يبثها الإعلام الأمريكى . وقد قيل عنه آنذاك إنه يهودى " يكره الذات " ، وإنه " خان اليهودية إذ تحدث بشأن اليهود مع غير اليهود . " ولكنه بقى دومًا يؤكد على ضرورة تطابق أقوال سياسيّى إسرائيل للعالم مع أفعالهم ، وأن تبيت إسرائيل دولة يعيش فيها الناس من جميع الأديان والأجناس متمتعين بحقوق المساواة .

وهذا المفكر البولونى الأصل ولد فى وارسو فى ٢٨ أبريل ، عام ١٩٣٣ لأسرة تنتمى للطبقة المتوسطة . وأهم أحداث أعوام طفولته الباكرة إرسال النازيين له ولوالديه إلى معسكر بلسن حيث عانى الأمرّين من الجوع والإنهاك النفسى والجسدى . ومن مشاهدة الجثث حوله كل يوم ، ومنها جثة والده الذى توفى فى المعتقل . كما أسقطت طائرة أخيه ، وتوفاه الأجل أيضًا خلال الحرب . وقد سافر إسرائيل شاحاق مع والدته إلى الدولة العبرية وعاشا فيها منذ قيامها عام ١٩٤٨ .

وقد أذهلته مقولة بن جوريون ، الذى عده مثالاً اقتدى به ، إذ قال أمام الكنيست : " إن إسرائيل بدأت حرب ٥٦ لا للدفاع عن النفس بل لتأسيس أجزاء من مملكة سليمان ". ومنذ ذلك الحين انتقد ما شاهد فى إسرائيل من عنصرية ضد العرب . فى الستينيات انتقد شاحاق سياسات إسرائيل ، خصوصًا بعد احتلالها للضفة الغربية وغزة ، واضطهادها للشعب الفلسطينى . وفى عام ١٩٧٠ تم انتخابه رئيسًا للجنة حقوق الإنسان التى تكونت منذ عام ١٩٣٧ لتشجيع الإضراب عن الطعام فى السجون التى

Jewish History, Jewish religion. The Weight of Three Thousand Years. By (١) Israel Shahak. New York : Amazon Press, 1992

أدارتها السلطات البريطانية آنذاك . وكانت أهم مطالبه إيقاف التعذيب فى السجون ، والمساواة بين المواطنين فى التعامل .

وكتابه " التاريخ اليهودى " من أوائل الكتب التى كتبها يهودى إسرائيلى تنتقد إسرائيل ، باللغة الإنجليزية ، بحيث يتاح للعالم الاطلاع عليه . والمؤلف يلاحظ أن الكثير من السياسات العنصرية للدولة العبرية تنتج عن قواعد تحث على كراهية الأجانب موجودة فى التلمود ذاته ، ولذلك يؤكد على ضرورة وضع هذا النص المقدس لدى اليهود فى سياقه التاريخى ، بحيث يتم تفسيره بطريقة مخالفة لتلك المتبعة حالياً . وهو يطالب برؤية نقدية للتاريخ اليهودى والمجتمع الإسرائيلى ، حتى يصبح أكثر إنسانية وأقل عنصرية مما هو عليه الآن . وهذه الدراسة بالفعل من أهم الدراسات الحديثة للتاريخ اليهودى بعد التشتت ، إذ تتناول المراحل المختلفة من هذا التاريخ ، وتوضح أسباب ظهور معاداة السامية ، وعلاقتها بالحركة الصهيونية المعاصرة . وهى تذكر أيضاً المواضيع الأساسية التى تهم المختص بالإسرائيليات ، بطريقة بسيطة واضحة .

مقدمة جور فادال

يقول المؤرخون إن الرفاق تخلوا عن الرئيس الأمريكى ، هارى ترومان ، حين دخل ميدان التنافس على الرئاسة عام ١٩٤٨ . ثم قدم له أحد الصهاينة مليونا دولار فى حقيبة وهو على متن قطار أقله إلى محافظة ليخطب بها فى الناس . ولذلك اعترفت أميركا بإسرائيل بسرعة . وهذه القصة مجرد طرفة أخرى يقصها الناس عن فساد السياسة الأمريكية .

ومن المؤسف أن ما نتج عن الاعتراف السريع بإسرائيل كان فوضى ودمار . ما أراده الكثير من الصهاينة الأوائل ، أى دولة يعيش فى ظلالها المسلم واليهودى والمسيحى ، ووطن مستقبلى لليهود الأوروبيين والأمريكيين المسالمين ، وحتى أولئك الذين آمنوا بأن الرب قد وهب لهم هذه الأرض ، لم يتحقق . وبما أن عدداً كبيراً من المهاجرين دعوا علنًا للاشتراكية فى أوربا ، فقد اعتقدنا أنهم سيعارضون تحول مؤسسات الدولة إلى الثيوقراطية ، أى الدولة الدينية ، وأنه سيتاح للفلسطينيين الحياة معهم بمساواة . ولكن ذلك لم يحدث . ولن أكرر الآن قصة الحروب والمعاناة التى مرت بها تلك المنطقة الحزينة ، ولكنى أشعر بأن ميلاد إسرائيل السريع سمم الأجواء السياسية والثقافية فى الولايات المتحدة ، الحليف غير المتوقع لإسرائيل .

غير المتوقع ، نظراً لعدم وجود أى أقلية أخرى فى التاريخ الأمريكى امتصت أموال دافعى الضرائب لاستثمارها فى وطن أم . لو كان دافع الضرائب سيضطر لدفع المال للبابا من أجل تحقيق طموح كاثوليكى لاستعادة أملاك الكنيسة لأن ثلث السكان كاثوليك ، لقامت الدنيا وما قعدت . ولكن أقلية دينية لا يزيد عددها عن ٢ ٪ أخافت أو اشترت 70 شيخًا فى مجلس الشيوخ (وهو العدد الضرورى للموافقة على أى قانون ، حتى إن احتج عليه رئيس الدولة) ووجدت من يدافع عنها فى وسائل الإعلام .

وأنا بالفعل أحترم نشاطات جماعة الضغط اليهودية التى نجحت فى ضخ بلايين الدولارات ، عامًا بعد عام ، من أجل تحويل إسرائيل لقلعة حصينة ضد الشيوعية ، على الرغم من أنه لم يكن للشيوعية وجود قوى أساسًا فى منطقة الشرق الأوسط . ما نجحت أمريكا فى إنجازه هو تحويل العالم العربى الذى كان صديقًا سابقًا إلى عدو . وفى الوقت ذاته ، قدم الإعلام الأمريكى معلومات مشوهة عما يحدث فى الشرق الأوسط ، حتى بات من ضحاياه ، لا دافع الضرائب الأمريكى فحسب ، بل اليهود الأمريكان الذين خافوا أن تتحقق ادعاءات بيجن وشارون . بل إن يهود أمريكا تركوا اليسار ، حليفهم التقليدى ، وربطوا أنفسهم باليمين المسيحى المتطرف والآلة العسكرية الأمريكية. وقد كتب يهودى أمريكى أن اليهود وجدوا " حين جاءوا إلى أمريكا آراء اليسار أقرب لفكرهم ، ولكنهم تغيروا الآن ، لأن الحياة تتطلب من الفرد المرونة ، ولا داعى للتمسك ، بجمود وتصلب ، بآراء أكل عليها الدهر وشرب . أما من انتقدوا هذا التحول ، فيعتبرون " أعداء السامية " أو " اليهودى الذى تعلم كراهية الذات " .

من حسن الحظ أن يبقى صوت العقل حيًا ، حتى داخل إسرائيل ذاتها . ففى القدس، يحلل الأستاذ إسرائيل شاحاق السياسات الإسرائيلية القائمة ، بل والتلمود ذاته ، وتأثير التراث العبرى على دولة صغيرة يود الأحبار تحويلها إلى وطن لدين واحد فقط . وإسرائيل شاحاق كاتب حصيف حساس للتناقضات الموجودة فى الدين والسياسة ، وهو دومًا كاتب مثقف قراءته ممتعة .

بالطبع ، تأسف السلطات الإسرائيلية لكتابات شاحاق . ولكن ماذا يمكنهم أن يفعلوا لأستاذ كيمياء متقاعد ولد فى وارسو عام ١٩٣٣ ، وقضى أعوام طفولته فى سجون النازية ؟ عام ١٩٤٥ ، جاء إلى إسرائيل ، وخدم فى الجيش ، ولم ينتم للماركسية حين شاع ذلك . فقد كان ، ولا يزال ، إنسانيًا يبغض التسلط باسم عقيدة على غيرها من العقائد . وهو كذلك يواجه بفطنة وحصافة التطرف الفكرى ، والاتجاهات الأصولية فى إسرائيل . وهو يرسم فى هذا الكتاب صورة للحاضر والماضى وراءه ، ويبقى داعيًا للعقل ، مع مرور الأعوام . أولئك الذين يستمعون لآرائه سيصبحون أكثر حكمة . إنه مثل أنبياء إسرائيل القدماء ، يندبون الوضع السيئ لشعبهم ، ويحاولون دفعه إلى الأمام .

الفصل الأول

جنة موصدة الأبواب

أكتب هذا الكتاب باللغة الإنجليزية لأفراد يعيشون خارج إسرائيل ، وإن كان فى الواقع استمرارية لنشاطاتى كيهودى إسرائيلى . وهذه النشاطات بدأت باحتجاج عام ١٩٦٥ – ١٩٦٦ أدى لفضيحة آنذاك . فقد شاهدت يهوديًا متدينًا يرفض يوم السبت السماح باستخدام تليفونه لاستدعاء عربة إسعاف تقل فلسطينيًا انهار فى المنطقة اليهودية . طلبت اجتماعًا للأحبار الذين رشحتهم الحكومة ، وسألتهم إن كان هذا السلوك يتلاءم مع معتقدات الديانة اليهودية . قالوا لى إن سلوك الرجل كان سليمًا تمامًا ، وأكدوا على صحة أقوالهم بالاستشهاد بنصوص قوانين التلمود ، التى اعتمدتها الحكومة فى عصرنا . وقد نشرت القصة فى الجريدة الإسرائيلية اليومية ، هآرتز ، وأثارت ضجة إعلامية كبيرة .

لم تكن نتيجة الجدل إيجابية . فالسلطات الدينية أكدت قوانينها ، وألحت على أنه لا يحق لليهودى كسر إجازة السبت من أجل إنقاذ حياة غير اليهودى . ثم أضافوا ، إن كسر استراحة السبت مباح فقط لإنقاذ حياة اليهود . وهكذا أدركت استحالة فهم طبيعة العلاقات بين اليهود وغير اليهود بدون دراسة مفصلة لتأثير قوانين التلمود على السياسات المعاصرة ، وخصوصًا القوانين التى التزمت بها إسرائيل بعد حرب الأيام الستة ، التى خلقت النزعة العنصرية فى الأراضى المحتلة ، وآراء أغلب الإسرائيليين بشأن حقوق الفلسطينيين .

حين أقدم هذه الفكرة لا أتجاهل الدوافع السياسية التى تؤثر على صناع القرار . أقول إن السياسات الموجودة حاليًا عبارة عن ربط بين الواقع (جيدًا كان أو سيئًا)

والعقيدة الدينية . وهذه العقيدة تكون أقوى وأكثر تأثيرًا كلما قل الحديث عنها . جميع أنواع العنصرية ، وكراهية الأقليات ، تزداد سوءًا إن لم يتناولها الناس بالدراسة والنقد ، بل تقبلوها على علاتها . وهذا الوضع يتم تكريسه حين يمنع الحوار . وما الفرق بين بغض اليهود للعرب ، وعنصريتهم وتحاملهم عليهم ، ومعاداة أعداء اليهود لهم ، المسماة بمعاداة السامية ؟ والآن ، وعلى كل حال ، بينما يناقش الناس أوضاع معاداة السامية ، تراهم يتجاهلون أوضاع التفرقة العنصرية في إسرائيل ضد العرب .

إن لم ندرس عواطف اليهود تجاه من ليسوا يهودًا ، لا يمكن فهم فكرة إسرائيل " الدولة اليهودية " . التصور الخاطئ أن إسرائيل ديمقراطية ينبع من تجاهل معنى " دولة يهودية " لمن ليسوا يهودًا من المواطنين . أعتقد أن إسرائيل الدولة اليهودية تشكل خطرًا على سكانها ، وعلى جميع اليهود في الشتات ، وعلى سكان الشرق الأوسط . وأنا كذلك أؤمن بأن الدول المجاورة إن سادت بها نزعات وطنية أو دينية متطرفة ستصبح خطرة كذلك . ولكن إن عرف الناس الخطر العربي على إسرائيل ، فإن مخاطر الشخصية الإسرائيلية على جيرانها تبقى خفية .

كان مبدأ أن إسرائيل دولة يهودية أساسًا لجميع سياساتها منذ تكونها . وحين بدأت أقلية من المفكرين بالتساؤل بهذا الشأن في أوائل الثمانينيات ، تم تقديم قانون دستوري – لا يمكن إلغاؤه إلا بصعوبة بالغة – يؤكد هذا المبدأ ، واجتاز الكنيست بأغلبية كبيرة عام ١٩٨٥ . وحسب هذا القانون ، لا يسمح لأي حزب يعارض مبدأ الدولة اليهودية بالمشاركة في انتخابات الكنيست . وأنا ممن يعارضون هذا المبدأ الدستوري . وهكذا لا يحق لي الانتماء في دولة – أنا من مواطنيها – لأي حزب يشاركني أفكاري ويستطيع تمثيلي في الكنيست . وهذا المثال يوضح أن إسرائيل ليست ديمقراطية لأنها تطبق قوانين صارمة ضد من ليسوا يهودًا ، أو يهودًا يؤمنون بآراء مخالفة . ولكن خطر هذه العقيدة يتجاوز حدود إسرائيل ، ويؤثر على علاقاتها بالدول المجاورة . وهذا الخطر سيكبر ، إذا ما بقيت إسرائيل دولة يهودية في قوانينها ، مسلحة بالصواريخ النووية . ومن الواضح كذلك أن إسرائيل تؤثر على النظام السياسي الأمريكي . ولذلك، فمعرفة معلومات دقيقة عن اليهودية ، وخصوصًا عن معاملة من هم من غير اليهود في إسرائيل ، ليست مفيدة فحسب ، بل ضرورية كذلك .

تعريف إسرائيل الرسمى لليهودى يوضح الفارق بين هذه الدولة وغيرها من دول العالم . فحسب هذا التعريف ، تنتمى إسرائيل لليهود ، بغض النظر عن موقع إقامتهم، ولهم فحسب . الدولة لا تنتمى رسميًا لمواطنيها من غير اليهود ، الذين يعتبرون أقل شأنًا . هذا يعنى أن من يعتبر يهوديًا فى بيرو يحق له المجيء إلى إسرائيل والاستفادة من مساحات شاسعة من الضفة الغربية ، و ٩٢٪ من إسرائيل ٤٨ ، فهذه الأراضى مخصصة لليهود فحسب . لا يحق لغير اليهود استغلالها . قصة سكان بيرو الذين تهودوا معروفة . فحين جاءوا تم توطينهم فى الضفة الغربية ، بجوار نابلس ، على أرض تم تهويدها ، أى منع غير اليهود من الإقامة فيها . الحكومات الإسرائيلية تتحمل مخاطر كثيرة ، منها إمكانيات الحروب ، حتى تبقى هذه المستوطنات يهودية ، لا إسرائيلية كما تدعى وسائل الإعلام .

ألا يعتبر يهود الولايات المتحدة أو بريطانيا تحول هاتين الدولتين إلى " دول مسيحية " ينتمى لها المسيحيون فقط ، نوعًا من معاداة السامية ؟ مثل هذه الفكرة تعنى أن اليهودى سيصبح مواطنًا فقط إن تحول للمسيحية . بل إن اليهود عرفوا فوائد تغيير الدين طوال تاريخهم . حين فرقت الدول بين مواطنيها ، مثل اليهود ، بسبب ديانتهم ، وقد انتهت التفرقة حين تحولوا إلى الدين الشائع . وكذلك ، سيتم معاملة غير اليهودى على قدم المساواة ساعة تحوله إلى الديانة اليهودية فى إسرائيل . وهذا المثال يوضح أن اليهود الذين اشتكوا من معاداة السامية يمارسون ذات العنصرية فى بلادهم . أما من يعارض هذه العنصرية فى إسرائيل ، فإنهم يعتبرونه يهودى كارهًا للذات ، وهى فكرة لا أفهم معناها .

معنى كلمة يهودى إذًا بات فى سياق السياسات الإسرائيلية موازيًا لكلمة شيوعى فى الاتحاد السوفيتى السابق . أما القانون الرسمى ، فيؤكد أن من له أم أو جدة يهودية فهو يهودى ، أو إن تحول الفرد لليهودية ، أو لم يتحول من اليهودية لديانة أخرى . التعريف الأول يعتمد على التلمود . أما تحول الفرد من دين آخر إلى اليهودية، فيتطلب حضور بعض الأحبار .. وفى أحوال النساء ، أن تراقب الفتاة عارية وهى " تستحم للتطهر " وهو طقس معروف فى إسرائيل ، وإن جهله من قد يهمه أمره خارجها. أتمنى أن ينجح هذا الكتاب فى توضيح حقيقة الأوضاع الحالية ، وربما يقدم الأمل فى تغييرها .

هناك جوانب أخرى للتفرقة بين اليهودى ، وغير اليهودى . فدولة إسرائيل تفرق بين اليهود وغيرهم فى مجالات الحياة المختلفة ، التى أعتبر ثلاثًا منها الأكثر أهمية . وهى حق السكن ، والعمل ، والمساواة أمام القانون . التفرقة فى السكن واضحة لأن الأراضى التى تملكها الدولة تقدم لليهود حسب القانون الذى يحرم من ليس يهوديًا من السكن ، أو فتح موقع عمل ، على هذه الأراضى . أما اليهود ، فيحق لهم البناء والسكن فى أى مكان يودونه فى إسرائيل . وإن تم تطبيق قانون كهذا فى أى دولة أخرى ضد اليهود ، لاعتبر القانون معاديًا للسامية وأدى للاحتجاج والمظاهرات . أما فى إسرائيل ، فيتم تجاهل الوضع ولا يذكر إلا نادراً .

حرمان الناس من حق العمل يعنى أن المواطنين يمنعون بقوة القانون من العمل على أرض قدمتها الحكومة لليهود . وإن لم يتم تطبيق هذه القوانين إلا أنها موجودة. وقد حاولت الحكومة أحيانًا فرضها : مثلاً حين قامت وزارة الزراعة بمحاولات للسيطرة على نظام سمح لعرب إسرائيل بالعمل فى حصاد الفواكه الإسرائيلية . الحكومة الإسرائيلية أيضًا لا تسمح لمن يسكن أراضى إسرائيل بتأجيرها للعرب ، ومن يفعل ذلك يدفع غرامات باهظة . وهذا يعنى أننى أستطيع استئجار أرض من يهودى آخر ، لزراعتها وحصادها ، ولكن من ليس يهوديًا لا يملك الحق .

ليس لمواطنى إسرائيل من غير اليهود حق المساواة أمام القانون . ففى أحوال العودة ، لا يحق سوى لليهودى العودة والإقامة فى إسرائيل . هو يمتلك جنسية إسرائيلية فور عودته ، وعوائد اقتصادية تختلف حسب الدولة التى هاجر منها . يُقدم لليهودى المهاجر من جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق حوالى ٢٠٠٠ دولار أمريكى للأسرة . ولكل يهودى فور عودته حق الانتخاب وترشيح نفسه للوصول إلى الكنيست ، حتى إن جهل اللغة العبرية . والكثير من القوانين لا تذكر كلمة يهودى ، بل تستبدلها بكلمة "من يحق له العودة" ، وتستبدل بكلمة "غير يهودى" من لا يحق له العودة .

أسلوب تطبيق هذا النظام هو بطاقة الهوية التى يفرض على الجميع الاحتفاظ بها طوال الوقت . وبطاقة الهوية تذكر جنسية الفرد ، الذى قد يكون يهوديًا ، عربيًا ، درزيًا، إلخ ، مع استثناء كلمة إسرائيلى. كل محاولات تغيير نظام بطاقات الهويات بحيث تحوى كلمة "إسرائيلى" التى تشمل جميع المواطنين فشلت . وهناك رسالة رسمية

تنص على وجود قرار بعدم الاعتراف "بالجنسية الإسرائيلية فى الهويات الشخصية" تُقدم لكل من يتساءل . والرسالة لا تذكر من الذى اتخذ القرار .

هناك قوانين كثيرة تفرق بين من "يحق له العودة" ومن يحرم منها . فمثلاً ، يقدم للمواطنين الذين تركوا إسرائيل وعادوا لها حسب قوانين العودة معونات مالية لدراسة أبنائهم ، وحق الاقتراض لشراء سكن ، وغيرها . أما من لا يملك حق العودة ، فليس له أى من هذه الامتيازات . أما هدف هذه القوانين ، فهو تقليص عدد سكان الدولة من غير اليهود حتى تصبح يهودية تماماً .

عقيدة الأرض المخلصة :

هدف تقليص أعداد من هم غير يهود يبدو واضحاً فى عقيدة " الأرض المخلصة " التى يتم تعليمها للأطفال . حسب هذه العقيدة ، " الأرض المخلصة هى تلك التى ذهبت من ملكية غير اليهود إلى ملكية يهودية . " وهذه الملكية قد تكون للدولة ، أو لأفراد بعينهم . أما الأرض التى لا يملكها يهودى ، فلا تعد مخلصة . إن اشترى يهودى ارتكب الموبقات والجرائم أرضاً من غير يهودى يلتزم بالقانون ، لاعتبرت أرضاً مخلصة. أما إن اشترى غير اليهودى الذى يحترم القانون أرضاً من أسوأ اليهود ، فإن الأرض الطاهرة المخلصة سابقاً تصبح مدنسة . وهكذا ، فإن الجنة الموعودة ، حسب منطق العقيدة الإسرائيلية ، هى أراض مخلصة لا يملكها سوى اليهود . وزعماء حزب العمال وضعوا هذه القاعدة البشعة فى خطبهم . يذكر " والتر ليكور " فى كتابه – تاريخ الصهيونية – أن أحد القواد الروحيين ، أ.د. جوردن ، الذى توفاه الأجل عام 1919 " رفض فكرة العنف إلا فى أحوال الدفاع عن النفس . ومع ذلك ، سعى لأن تزرع يد يهودية كل شجرة . " وهذا يعنى أنهم أرادوا ترحيل الآخرين حتى يملك اليهود الأرض . اللاحقون بجوردن أضافوا العنف ، وبقى مبدأ تخليص الأرض .

وبذات الطريقة ، رفضت المستوطنات الزراعية الاشتراكية وجود العرب بين أفرادها ، وحتى إن سكنها علمانيو اليهود . بل وطالبت بتحول جميع ساكنيها إلى اليهودية . ولذلك فإن سكان هذه المزارع الاشتراكية – الكيبوتز – من أكثر سكان المجتمع الإسرائيلى تعصباً . وهذه العقيدة التى ترفض كل دين آخر هى سبب

الاستيلاء على الأراضى ، أى سياسة " تهويد الأرض " ، التى تشجع اليهود على الاستقرار فى منطقة بعينها عن طريق تقديم المعونات الاقتصادية لهم . أتساءل كيف سيكون رد فعل اليهود إن سمعوا بخطة لتنصير الأحياء اليهودية فى نيويورك ؟! أما فى إسرائيل ، فالشرطة ومؤسسات أخرى تدفع الكثير لتحرير أى أرض يريد غير اليهود بيعها ، ومنع أى يهودى من بيع أرضه لغير اليهودى عن طريق تقديم سعر أعلى.

سياسة التوسع :

الخطر الأساسى الذى تمثله إسرائيل لجيرانها هو سياسة السعى نحو التوسع ، التى أدت لحروب كثيرة . وكلما باتت إسرائيل أكثر تهوداً (وهو نشاط مرحلى بدأ منذ ١٩٦٧) ازدادت العقائد قوة وتطرفًا ، وقلت قدرة العقل على التحكم فى السياسة الخارجية . ولا أعنى هنا بالعقل التقييم الأخلاقى لسياسات إسرائيل ، ولا احتياجات الدفاع المزعومة ، بل السياسات التوسعية المبنية على المصالح . إننى أعتبر تطبيق أى سياسة تستند إلى أفكار التهويد شراً . أما الدفاع الذى تقدمه الدولة عن سياساتها فهو "العقائد الدينية لليهود" ، أو "حقوقهم التاريخية التى تستند إلى تلك العقائد " .

تحولى الباكر من الإعجاب بن جوريون إلى عداوته بدأ مع هذه المسألة . ففى عام ١٩٥٦ ، وافقت مع بن جوريون على الأسباب التى ذكرها لدخول إسرائيل حرب السويس ، حتى قال (وهو مدعى العلمانية) فى الكنيست فى اليوم الثالث بعد بدء الحرب : إن السبب الحقيقى هو استرجاع الحدود التاريخية لملكة سليمان . وحين استمع أعضاء الكنيست لقوله ، صفقوا طويلاً ونهضوا ليرددوا معًا النشيد الوطنى . وحسب حدود معرفتى ، لم ينتقد أى سياسى إسرائيلى فكرة بن جوريون هذه التى تدعى بأن حدود إسرائيل يجب أن تعتمد على الحدود القديمة المذكورة فى التوراة . بل إن الاطلاع على سياسات إسرائيل الخارجية ، خصوصًا النصوص العبرية ، يوضح أن العقيدة اليهودية ، أكثر من أى عامل آخر ، هى التى تحدد السياسات الإسرائيلية . ومن لا يفهم الديانة اليهودية لا يدرك أسباب هذه السياسات .

دعنى أقدم مثالاً حديثًا عن الفوارق بين السياسة العلمانية التوسعية ، والعقائد الدينية التى تدعو لضم أى أرض وعد الرب بها اليهود ، سواء فى التوراة أو – وهو

الأهم – تفسيرات التلمود ، إلى إسرائيل لأنها الدولة اليهودية . وبلا شك ، فإن الحمائم يتصورون أن هذا الإنجاز يجب أن يؤجل إلى وقت أفضل ، حين تصبح إسرائيل أكثر قوة ، عن طريق إقناع العرب ببيع الأرض مقابل مبالغ أو معونات تقدمها الدولة اليهودية .

وقد قدم الأحبار عدة نسخ من خريطة إسرائيل التوراتية . وبعضها شملت سيناء وأجزاء من مصر ، حتى ضواحي القاهرة ، الأردن ، وأجزاء من السعودية والعراق ، ولبنان وسوريا . وطالب بعض الأحبار باحتلال هذه الأرض . بل إن بعضهم ادعى أن رفض إسرائيل لإعلان الجهاد ، وإعادة سيناء لمصر ، جرائم سيعاقب الرب عليها الدولة العبرية . مثلاً : الحَبر دوف ليور ادعى أن فشل إسرائيل فى لبنان كان عقوبة ربانية لإعادتها أراضى سيناء وطابا إلى مصر . ولا أحد يعترض على فكرة هذه الحدود المطاطية فى إسرائيل ، وإن لم تعلن الحرب لأسباب عملية منها كثرة الضحايا . اقترح أريل شارون فى مؤتمر حزب الليكود أنه يجدر بإسرائيل اعتبار الحدود التوراتية جزءًا من سياساتها الرسمية . والمشكلة ليست العقيدة ذاتها ، ولكن رفض السماح بالنقاش ، مما أدى لزيادة حدة التطرف . لم يسأل أحد شارون عن الحدود التوراتية التى يدعو لها . الاحتجاجات كانت مبنية على أساس الاستحالة العملية .

ولكن لإسرائيل أيضًا مخطط علمانى ، لا يستند إلى العقيدة ، بل إلى مبادئ عملية . الجنرل شلومو جازيت ، وهو قائد سابق للمخابرات العسكرية ، يشرح بوضوح هذا المخطط إذ يقول : إن هدف إسرائيل هو الدفاع عن مصالح الغرب فى منطقة الشرق الأوسط . وإن كان هناك نفاق ظاهر فى هذه الفلسفة ، فالنفاق هو ضريبة يدفعها الأشرار للفضيلة . أما الدعوة للتوسع فهى وسيلة لتفادى دفع هذه الضريبة .

وإن كنت أعارض هذه الأهداف التى لا ترتبط بالعقيدة اليهودية ، فأحذر أن سياسات بن جوريون وشارون قد تكون أكثر خطورة . الخطر ينتج عن كلا السياستين: التوسعية ، أو تلك التى تسعى للتدخل لتأمين مصالح الغرب فى المنطقة . وفى كلتا الحالتين ، تعتمد السياسة على رؤية اليهود التاريخية الدينية لغير اليهود ، وهو موضوع سنعود له لاحقًا .

تأثير العقيدة اليهودية على اليهود يكون أشد سوءًا كلما قلت فرص مناقشتها . النقاش قد يدفع الفرد لإدراك أن التعصب ضد السامية لا يخالف العنصرية ضد

العرب . ولا يمكن محاربة معاداة السامية بدون دراسة تاريخها ، وكذلك لا نقدر على التحرر من العنصرية والتطرف الدينى فى إسرائيل بدون معرفة تاريخها ومناقشتها . وهذا الوضع ينطبق اليوم أكثر من أى عصر سابق ، وإن باتت العنصرية اليهودية والتطرف الدينى أكثر خطراً من معاداة السامية . ولكن هناك عامل آخر . فأنا أومن أن معاداة السامية والتطرف اليهودى حليفان متقاربان ، ولابد من محاربتهما معاً .

الجنة الموصدة الأبواب :

حتى يتم تقبل هذه الأفكار ، ستبقى السياسات الإسرائيلية المبنية على أسس عقائدية أكثر خطورة على أمن الدولة الإسرائيلية والمنطقة المحيطة بها من السياسات المبنية على أسس علمانية . والفرق بين النوعين من السياسات واضح فى دراسة لهيو تروفر روبر عن "السيد توماس مور واليوتوبيا" حيث يقسم السياستين إلى أفلاطونية وميكيافيلية :

> **ميكيافيلى على الأقل يعتذر عن الأساليب التى اعتبرها ضرورية فى ميدان السياسة على أساس أن الغاية تبرر الوسيلة . وهو يعترف بضرورة استخدام القوة والخداع ولا يسميهما بأى اسم آخر . ولكن أفلاطون ومور بررا هذه الأساليب – ما دامت تستخدم من أجل الحفاظ على ولايات ودول مثالية النزعات .**

يستخدم المؤمنون بالدولة اليهودية ذات الأسلوب الأفلاطونى لتبرير ما يمارسونه من عنف وعنصرية ، مما يشكل خطراً على أمن إسرائيل والمنطقة أكثر من أى مخطط علمانى . جازيت على الأقل يدّعى أن المنطقة كلها ستستفيد من سعى إسرائيل للدفاع عن مصالح الغرب عن طريق محاربة التطرف والحفاظ على الاستقرار . أما بن جوريون ، فلم يتظاهر بأن أى دولة أخرى ستستفيد من إنشاء إسرائيل القديمة من جديد ، سوى إسرائيل ذاتها .

واستخدام أفكار افلاطون لتحليل السياسات الإسرائيلية ليس غريباً . فقد لاحظه عدة محللين ، من أهمهم موسى هاداس الذى ادعى أن أفكار اليهودية القديمة الموجودة

فى التلمود تستند إلى فكر أفلاطون ، وخصوصًا تصويره لإسبارطة . وحسب تصور هاداس ، فإن أحد أفكار أفلاطون الأساسية هى : " أن كل مرحلة من حياة الإنسان ترتبط بقواعد دينية يمكن للدولة تطبيقها وفرضها على الناس " .

وهذا التحكم هو ما فعله الأحبار . يزعم هاداس أن اليهودية تقبلت ما اعتبره أفلاطون هدفه الأساسى ، فى الفقرة المعروفة التالية :

> **أهم شىء هو ألا يوجد أى رجل أو امرأة بدون مراقب مسئول عنه . وألا يعتاد أى فرد على اتخاذ قرار ، مازحًا أو جادًا ، على مسئوليته الفردية ، فى أحوال السلام والحرب ، لابد أن يبقى متطلعًا ناظرًا لأوامر الضابط المسئول عنه . باختصار ، لابد من تعليم العقل عدم التصرف بشكل فردى .**

وإن استخدمنا كلمة حَبر بدلاً من ضابط ، لوجدنا ذات الوضع الذى يتحدث عنه أفلاطون ساريًا فى المجتمع الإسرائيلى متحكمًا فى سياساته .

اليهودية القديمة ، وحفيداها ، المؤمنون بالديانة اليهودية ، والصهاينة ، كلاهما يرفضان فكرة إسرائيل المفتوحة الأبواب . المجتمع اليهودى ، سواء بوضعه الحالى ، أو حين يزداد تهودًا ، لا يتقبل أو حتى يتحمل فكرة مجتمع متفتح منفتح . هناك خياران يواجهان المجتمع الإسرائيلى اليهودى . أولاً ، يمكن إغلاقه تمامًا وتحويله إلى معسكر إسبارطة يهودية ، تستعبد العمالة العربية للبقاء ، وتؤثر على السياسات الأمريكية ، وتهدد جيرانها بمخزونها النووى ، أو أن تحاول التحول إلى مجتمع منفتح . والخيار الثانى ممكن فقط إن راجعنا بصدق التاريخ اليهودى ، واعترفنا بوجود نزعتى التطرف والعنصرية فى صفوفنا ، ودرسنا بصراحة رؤية اليهود لمن ليسوا يهوداً .

الفصل الثانى

التعصب والكذب

أولى مصاعب الكتابة فى هذا الموضوع هى أن كلمة يهودى حملت أكثر من معنى خلال الـ ١٥٠ عامًا الأخيرة . ففى عام ١٧٨٠ ، اتفق العالم مع اليهود على أن لهم هوية دينية ، بل وحكمت طقوس الدين جميع جوانب حياتهم الخاصة والاجتماعية ، وتحكمت فى علاقاتهم بالآخرين . لا يحق لليهودى أن يشرب كأس ماء فى منزل غير يهودى . كانت هناك قوانين عامة حكمت اليهود فى كل مكان ، بحيث انفصل اليهود عن المجتمعات غير اليهودية التى عاشوا فى قلبها .

ولكن هذا الواقع تغير بسبب نشاطين تاريخيين متوازيين – بدآ فى هولندا وبريطانيا ، ثم انتقلا إلى فرنسا مع الثورة الفرنسية . فمع مجىء عصر النهضة ، بات لليهود حقوق قاربت المساواة مع غيرهم من أفراد الشعوب التى عاشوا فى وسطها ، كما ضعفت سلطة التجمعات اليهودية على أفرادها .

منذ العصر الأخير للإمبراطورية الرومانية ، كان للمجتمع اليهودى قوانين خاصة حكمت أفراده . وهذه القوانين شملت القدرة على الضغط (مثلاً ، عن طريق مقاطعة يهودى خرج على الجماعة ، أو حتى رفض دفن جثته فى المقبرة اليهودية) ولكنها كذلك امتلكت سلطة قانونية واضحة : السجن ، النفى ، الجلد ، والفلقة . وهذه العقوبات فرضتها محكمة الأحبار على الأفراد لأسباب مختلفة . فى دول مثل : إسبانيا وبولندا ، تم تطبيق قوانين قاسية شملت الإعدام . وقد عاونت الدول المسيحية والإسلامية الأحبار فى السيطرة على التجمعات اليهودية لرغبتها فى الحفاظ على الاستقرار والأمن ، ولكن مقابل مكاسب مادية . مثلاً ، توجد وثائق تاريخية من ملوك إسبانيا تحث مسئولى

الدولة على معاونة الأحبار فى فرض العطلة الأسبوعية يوم السبت . ولماذا ؟ لأن الأحبار ، حين فرضوا عقوبة مالية على يهودى ، قدموا تسعة أعشارها إلى الملك ، وهو نظام مفيد اقتصاديًا للدولة . من الممكن الاستشهاد برسالة الحبر موشى موفر فى هنغاريا إلى الملك ، شاكيًا سوء الأوضاع ، مؤكداً أن فقدان المجتمع اليهودى للقدرة على محاسبة أفراده أدى إلى ضعف الحس الدينى . يقول : " فى السابق ، حين كان يهودى يفتح دكانه للتجارة يوم السبت ، كنا نبعث بالشرطة لحبسه وتغريمه " .

وهكذا كانت أهم حقيقة اجتماعية فى الوجود اليهودى قبل مجىء الدولة الحديثة هى احترام القوانين التلمودية ، وتعليمها للأطفال ، وفرضها على الكبار بحيث لا يوجد مفر للفرد إلا بالتخلى عن دينه والتحول إلى دين آخر ، مما تطلب تغييراً تامًا فى الحياة الاجتاعية لم يقدر أغلب اليهود عليه . ولكن ، ومع مجىء الدولة الحديثة ، فقد أحبار اليهود القدرة على الردع ، وتكسرت شيئًا فشيئًا الروابط التى أمسكت زمام هذا المجتمع بقوة . وقد جاءت هذه التحولات من خارج المجتمع اليهودى ، وكان لها آثار واسعة النطاق . وهكذا ، نجد اليوم فى إسرائيل من ينتقد فكرة سلطة القانون الوضعى وأفكار الحرية والديمقراطية لأنها غير يهودية . وهذه الأقوال صائبة من وجهة نظر تاريخية . وقد حاول البعض كتابة تاريخ يهودى مخادع عاطفى ، تجاهل حقائق السلطة المطلقة للأحبار على اليهود . وهكذا لا يجد القارئ فى كتابات المؤرخ اليهودى حنة أرندت أى ذكر لأوضاع اليهود فى ألمانيا خلال القرن الثامن عشر ، ومنها : إحراق الكتب ، ومعاقبة الكتّاب ، والنقاش حول القوى السحرية للأحجار الكريمة ، ومنع اليهود من التعلم خارج مدارسهم الخاصة ، ورفض طلبهم للتعلم حتى إن احتاجوا لمعرفة قواعد اللغات الشائعة فى عصرهم . والمؤرخون كذلك يتناسون ما ادعاه نسّاك اليهود (والتنسك اليهودى عاد يشيع بين الناس) حين قالوا : إن كل ما هو غير يهودى ذراع للشيطان ، وإن القلة غير الشيطانية ممن هم من غير اليهود يتمتعون فى الواقع " بأرواح يهودية " ، وإن فقدوا الرؤية حين تعدى الشيطان على السيدة المقدسة (ماترونيت، وهى جزء من الرب ، زوجته فى كتاب القبالاه) .

وأهم النتائج الاجتماعية لتحرر الأقلية اليهودية عن طريق تطبيق ذات القوانين المدنية على جميع المواطنين هى أن اليهودى أخيرًا بات حرًا ، لا يحكمه سوى قانون البلد التى عاش فيها وأنه بات مساويًا لغيره من البشر ، بدون أن يضطر لتغيير دينه . امتلك أخيرًا حرية التعلم والقراءة والكتابة فى مواضيع لا يوافق عليها الأحبار ، حتى حرية تناول الطعام ، وحرية التفكير ، لأن الأفكار الممنوعة كانت خطيئة - أخيرًا بات لليهود جميع هذه الحقوق فى أوربا . وحتى حين كره الحاكم اليهود ، كما حدث فى عصر نيكولاس القيصر الروسى الذى عرف بالتسلط والقسوة وكراهية اليهود - زادت سطوة القانون حتى بات صعبًا على المجتمع اليهودى قتل المارقين من أفراده . مثلاً ، عام ١٨٧٣ ، طلب الحبر تزادك فى أوكرانيا قتل يهودى مرق على الجماعة ، وتم ذلك عن طريق إلقاء جسده فى مياه مغلية . ولاحظت النصوص التاريخية برعب وذهول أن الرشوة " ليست كافية " وأن القتلة والحبر ذاته عوقبوا على الجريمة التى ارتكبت . حكومة ماترينش قبل عام ١٨٤٨ فى النمسا كانت معادية لليهود ، لكنها ، مع ذلك ، لم تسمح لليهود بتسميم أحد أحبارهم لأنه كان متسامحًا رءوفًا متحررًا أكثر مما ينبغى.

وهكذا انقسم اليهود طائفتين : توجد أولاً مجموعة تنتمى لمجتمع تسلطى قامع لحقوق أفراده ، وهناك أيضًا مجموعة تتقبل أفكار المجتمع الحر الغربى الذى عاشوا فى ظلاله . ومن الضرورى ملاحظة أن أغلب ما نسميه اليوم " صفات اليهود " - أى الصفات التى تميز هذه المجموعة من الناس عن غيرها - جديدة ، غير معروفة طوال تاريخهم القديم . مثلاً ، هناك صفة " السخرية " اليهودية . فى الواقع ، المرح صفة نادرة فى أدبيات اليهود حتى القرن التاسع عشر ، لأن المزاح والنكتة من الصفات المذمومة فى الديانة اليهودية ، إلا فى حال انتقاد الأديان والشعوب الأخرى والسخرية منها . الأدب الساخر من سطوة رجل الدين غير موجود فى التاريخ اليهودى . وكذلك ، لم يتمتع اليهود تاريخيًا بحب العلم ، باستثناء علوم الدين وتعاليمه ، التى كانت نقلية ، بلا أى احترام لحرية العقل . بل إن أجزاء من العهد القديم ذاته حرمت قراءتها ، وتم استبدالها بنصوص تلمودية . دراسات اللغة كانت محرمة . حتى التاريخ اليهودى تم تجاهله . الحس النقدى الذى يقال إنه من خواص اليهود فى عصرنا والرغبة فى

التعلم، صفات جديدة . ومن المؤسف أن بين يهود عصرنا من يتشوق لذلك الماضى ، ويسعى لإحياء ذلك المجتمع المريح المقفل الذى أكل عليه الدهر وشرب . وهناك بين الصهاينة من يودون العودة إليه ، وهم الأعلى سطوة وشأنًا وصوتًا فى إسرائيل .

معوقات طلب العلم :

لا يسعى مجتمع مغلق لإدراك ذاته ، ربما لأن أى وصف عبارة عن نوع من الحس النقدى الذى قد يشجع الأفكار الممنوعة . كلما انفتح المجتمع ، ازداد الاهتمام بتأمل البنية الاجتماعية ، ووصفها ثم انتقاد عيوبها ، المعاصرة والماضية . ولكن إن أرادت مجموعة إرجاع مجتمع متفتح إلى أوضاعه المغلقة المظلمة سابقًا ، فستتحول ذات العلوم التى أدت للتطور والانفتاح مثل : الفلسفة ، العلوم التطبيقية ، التاريخ والاجتماع، إلى وسائل لخيانة العقل . يتم تحريفها حتى تخدم الخداع ، وهكذا تنحط القيمة العلمية لهذه العلوم .

لم تسع الجاليات اليهودية البتة لتأمل أحوالها من وجهة نظر نقدية . من المهم تذكر أن كتابات التاريخ اليهودى اختفت تمامًا منذ بدايات القرن الأول الميلادى حتى القرن الخامس عشر ، وعادت باستحياء فى عصر التنوير ، حين تأثر اليهود بالفكر الإيطالى . وقد خشى الأحبار مغبة كتابة التاريخ اليهودى ، وكان أول كتاب نشر بالعبرية (**فى القرن السادس عشر**) يتناول تاريخ ملوك فرنسا ، والملوك العثمانيين . ثم نشرت بعض الكتابات التى تناولت الاضطهاد الذى عاناه اليهود . أما أول كتاب يهودى يتناول العصور القديمة فقد منعه الأحبار ، ولم يظهر حتى القرن التاسع عشر . وقد اتفق بعض أحبار شرق أوروبا على منع أى دراسات خارج نطاق التلمود ، لأنها تضيع وقت اليهود ، الذى يجدر بهم قضاءه فى الدراسات الدينية ، أو جلب المال لمعاونة الجالية عن طريق دفع الضرائب لأحبارها . وقد نتج عن ذلك أن اليهود خلال مائتى عام لم يعرفوا بوجود أمريكا ، وجهلوا أيضًا تاريخهم ، وقنعوا بوضعهم هذا .

تاريخ من الطغيان :

ولكن كان هناك نقطة واحدة لابد لليهودى من معرفتها .وهى مقاطع وأجزاء التلمود التى عارضت المسيحية وكرهت الغرباء . وقد بدأت هذه السطور بالتحول إلى قضية مهمة فى وقت متأخر ، حوالى القرن الثالث عشر الميلادى ، (وقبل ذلك الوقت هاجمت الكنيسة المسيحية الديانة اليهودية معتمدة على نصوص التوراة إذ جهلت وجود التلمود . وقد بدأت الحملة ضد التلمود حين تنصر يهود عرفوه إلى المسيحية) .

وسنعترف منذ البداية أن التلمود والأدب التلمودى يحوى لغة قاسية تهاجم المسيحية . فمثلاً ، باستثناء التهجم على السيدة مريم (البتول) والدة النبى عيسى (عليه السلام) ، يقولون : إن الرب سيعاقبه حين تقوم الساعة . ومثل هذه الأقوال ستغضب أى مسيحى . وهناك أيضًا أمر لليهود بإحراق الأناجيل المسيحية بشكل علنى أمام الناس (وهذا القانون لا يزال سارى المفعول . إذ تم إحراق مئات من الأناجيل فى ٢٣-٣-١٩٨٠من قبل منظمة تساعد فى تمويلها وزارة الأديان الإسرائيلية .)

وهكذا ، بدأ فى أوروبا ، ومنذ القرن الثالث عشر ، حوار هاجم التلمود . نحن لا نعنى هنا الجهلاء فى مدن ريفية من صغار القساوسة ، بل محاورات تمت فى أفضل الجامعات الأوروبية وبأسلوب علمى محايد .

وماذا كان رد الأحبار ؟ استعملوا الرشوة والوساطات . وهكذا نُشر التلمود كاملاً فى عصر البابا سيكستوس (الذى احتاج للمال دومًا بسبب نشاطاته العسكرية والسياسية) . وقد حدث خلال هذه الفترة أن هوجم التلمود أحيانًا ، ولكن خلال القرون اللاحقة ، ومنذ القرن السادس عشر ، تم فرض الرقابة والحذف فى عدة دول . واستمر هذا الوضع فى روسيا حتى عام ١٩١٧ . بعض الرقباء ، فى هولندا مثلاً ، كانوا أكثر مرونة ، وآخرون أكثر قسوة ، وهكذا حذفت أجزاء أو تم تحريفها .

وكل الدراسات الحديثة للديانة اليهودية ، وخصوصًا التى كتبها اليهود ، نشأت على أساس هذا الصراع ، وحتى اليوم تحمل هذه الدلالات ، سواء أكانت خداعًا ، أم اعتذارًا ، أم عدوانية ، تجاه المسيحية ، مع تجاهل وكبت للحقيقة . الدراسات اليهودية باللغة العبرية تعادى عدوًا خارجيًا ، بدلاً من مناقشة قضايا داخل النص التلمودى ذاته .

من الضرورى ملاحظة أن معاداة تجَمُّع خارجى كان طبيعة الدراسات التاريخية فى جميع المجتمعات القديمة (باستثناء الحضارة الإغريقية) . والوضع ذاته تكرر مع مؤرخى الكاثوليكية والبروتستانتية ، ومع أقدم كتب تاريخ الدويلات الأوروبية نلاحظ وجود الحس الوطنى المتطرف واحتقار الدويلات الأخرى . وأخيراً يأتى وقت حين يسعى الفرد لفهم الجماعة التى يحيا فى وسطها وينتقد ما يراه من أخطاء فى تفكيرها وشطط فى سلوك بعض أفرادها . وكلا هذين التطورين يحدثان معًا . فقط حين تتحول دراسة التاريخ إلى حوار مستمر - بدلاً من حرب تستخدم علم التاريخ - تبدأ الدراسات التاريخية الإنسانية ، التى تسعى وراء الصدق والاتزان وتتحول آنذاك إلى سلاح فعال للإنسانية والتعلم .

ولهذا السبب ، تسعى الدول المتسلطة لإعادة كتابة التاريخ حسب مصالحها ، أو تعاقب المؤرخين الذين لا يسيرون حسب منهجها . وحين يتحول مجتمع بأكمله إلى الاستبداد ، وتتم كتابة التاريخ الاستبدادى ، كثيراً ما يكون الدافع ضغوطًا من الأسفل، لا من الحكومة ، بل من الشعب ذاته . هذا هو ما حدث خلال التاريخ اليهودى، وهو أول معوقات العلم التى لابد من التغلب عليها .

وسائل الدفاع :

وما الوسائل التى استخدمتها التجمعات اليهودية للدفاع عن التلمود حين تعرض للنقد ؟ يمكن تحديد عدة أساليب ، لكل منها آثار نلاحظها على سياسات دولة إسرائيل الحالية .

أول الأساليب التى سأذكرها هو التحدى الذى يختفى خلف قناع الطاعة الظاهرية . وهكذا تم حذف بعض الفقرات الشديدة الحدة من جميع اللغات الأوروبية .

كلمات مثل غير يهودى ، (جوى بالعبرية أو الأغيار أو الأميون بالعربية) التى تظهر فى جميع النصوص الأصلية باتت "كافر" عابد للأصنام " أو حتى " كنعانى " ، وهى كلمات يمكن تفسيرها للأجانب، وإن فهم القارئ اليهودى أنها بدائل للكلمات الأصلية المحذوفة .

ومع ازدياد حدة الهجوم ، بات الدفاع أكثر صلابة ، وأدى أحياناً لنتائج مأساوية. خلال مراحل من تاريخ القياصرة ، حذفت هذه الكلمات أيضاً . واستبدلها الأحبار بـ "عربى" أو "مسلم" (بالعبرية Yishmaeli) وهى كلمة تعنى الاثنين ، أو حتى أحياناً مصرى ، متوقعين أن السلطات الروسية لن تحتج على هذه الكلمات . وفى الوقت ذاته ، احتفظ الأحبار بالنصوص المحذوفة أو المحرفة من التلمود . تصدر طبعات التلمود قديماً يؤكد أن جميع المصطلحات العدوانية فى الكتاب تهاجم ملحدى العصور القديمة، والكنعانين ، لا " سكان الدول التى نعيش فى ظلها ". وبعد احتلال بريطانيا للهند واستعمارها ، قرر بعض الأحبار الادعاء بأن التهجم فى التلمود كان موجهاً ضد الهنود .

من الواضح أن كل هذا كان عبارة عن خداع . وما إن تم تأسيس دولة إسرائيل، واطمأن الأحبار على أمنهم ، حتى أعادوا جميع الفقرات القاسية إلى الطبعات الجديدة بلا أى تردد . ولأن إعادة جمع وطبع هذا الكتاب ستكون باهظة التكلفة ، فإن كتيب " ما حذف من التلمود " يعاد طبعه مراراً وبسعر مخفض فى إسرائيل بعنوان "Herosonot Shas" . وهكذا يقرأ المرء النص ، ويتعلم التلاميذ فقرات مثل تلك التى تحث كل يهودى ، حين يمر بجوار مقبرة ، من الترحم على من يرقدون فى القبور إن كانوا يهوداً ، ولعن أمهاتهم إن انتموا لديانات أخرى . الطبعات القديمة حذفت الجزء الخاص باللعن ، أما الجديدة فتعيد كلمات مثل أغراب وغير يهود ، وتشرح معانيها فى الحواشى .

بسبب الضغوط الخارجية ، حذف الأحبار بعض أجزاء التلمود ، وإن أبقوا على الممارسات ذاتها . لابد لليهود من تذكر أن مجتمعهم استخدم أساليب بربرية لغسل عقول أفراده . وهذه الأساليب ليست رد فعل للاضطهاد الذى واجهه اليهود فحسب ، بل تعدٍ على البشرية جمعاء . لابد لليهودى المتدين من أن يلعن أمهات الأموات فى المقبرة التى يمر بها ، إن كان متديناً . بدون مواجهة هذه الحقيقة ، نتجاهل ونسمم حاضرنا ومستقبلنا .

استمرار الخداع :

لم يستمر المحدثون من دارسي اليهودية في الخداع ، بل كانوا أكثر جرأة من أجدادهم . أترك هنا جانبًا دراسات عن معاداة السامية ، لا تستحق التأمل الجاد . أقدم بعض الأمثلة عن الخداع في عصرنا .

عام ١٩٦٢ ، صدر ما يسمى " كتاب المعرفة " ، وهو يحوى أهم قوانين العقيدة اليهودية وممارساتها في طبعة بلغتين ، بحيث احتوت صفحة النص العبرى والمقابلة لها ترجمته إلى الإنجليزية . وكان النص هنا كاملاً ، بلا حذف أو تنقيح . والدعوة إلى قتل الملحدين كاملة في النص العبرى . " من الواجب قتلهم باليدين . " أما الترجمة المخففة فقالت " لابد من العمل من أجل القضاء عليهم . " ولكن النص العبرى يستطرد ذاكراً الملحدين المعنيين : " مثل عيسى وتلاميذه ، عسى أن تفنى أسماء الأشرار " . وهذا السطر لم يترجم في الصفحة المقابلة إلى الإنجليزية . وأكثر من ذلك ، على الرغم من شيوع الكتاب بين اليهود الناطقين بالإنجليزية ، لم يذكر أحد هذا الخداع للقراء .

المثال التالى يأتى من عمل أقل جدية ، وأكثر شعبية ، وهو " متعة اللغة العبرية " للسيد ليو روستن . وهذا العمل اللطيف ، الذى أعيدت طباعته عدة مرات ، عبارة عن قائمة بكلمات عبرية شائعة بين اليهود الناطقين باللغة الإنجليزية . يحوى الكتاب ، بالإضافة للتعريف وبعض القصص الطريفة التى توضح استخدامات كل كلمة ، شرحًا لجذورها . كلمة شايجستين - التى تعنى شابًا غير يهودى - استثناء لأن النص يقول باختصار : " عبرية الأصل " بدون أن يخوض في جذور الكلمة . ولكن ، وبجوار كلمة شيلكسا ، وهى مؤنث شايجتس ، يقدم المؤلف الأصل العبرى ، شيكتز - التى تعنى تلوث مشوه . وهذه كذبة ، كما يعرف كل ناطق بالعبرية . فالقاموس يوضح أن شايجتس تعنى " حيوان قذر ، بشع ، فاسق ، فتى غير جدير بالاحترام ، شاب غير يهودى . "

مثالى الأخير يتناول سلوك التنسك اليهودى تجاه غير اليهود . ومن المعروف أن لحركة هاسيدسم المتطرفة مئات الآلاف من الأتباع ، لبعضهم سلطة وتأثير في إسرائيل ، سواء في ميدان السياسة أو الجيش . وأهم كتب هذه المجموعة يدعى - هاتانيا - ويؤكد أن من هم ليسوا يهوداً " يفتقدون لذرة خير . " وهذا الكتاب يعاد طبعه مراراً ، ويدرسه الأحبار بشكل روتينى للتلاميذ ، حتى باتت أفكاره شائعة في

المدارس والجيش. وقد لاحظ أحد أعضاء الكنيست ، شولاميت آلوانى ، أن الإعلام الإسرائيلى ردد بعض هذه الأفكار قبيل غزو إسرائيل للبنان فى مارس ١٩٧٨ ، من أجل دفع الأطباء لعدم معاونة الجرحى من غير اليهود . وهذه النصيحة التى تذكرنا بالعهد النازى لم تذكر العرب ، الفلسطينيين أو اللبنانيين ، بل حددت كل من هم ليسوا يهوداً - (جويم) . أحد رؤساء دولة إسرائيل السابقين ، شازار ، كان مؤمناً بمبادئ التنسك اليهودى ، والكثير من السياسيين دافعوا عنها ومجدوها بشكل علنى . بل إن جميع من كتبوا عن هذه الحركة باللغة الإنجليزية تجاهلوا هذا الجانب العدوانى فى فكر الحركة ، على الرغم من تصريحات زعمائهم المتعطشة للدماء وتهجمهم الدءوب على العرب . ولو فكرنا فى الجرحى الذين لقوا حتفهم – لأن الإعلام حث الأطباء والممرضات على عدم معاونتهم – لأدركنا بشاعة الجريمة التى ارتُكبت .

أما سبب شعبية هذه الحركة ، فهو جهل الناس بحقائق فكرها. خصوصاً الكتّاب بالإنجليزية أخفوا الحقائق عن القراء . ومن أشهر المخادعين الكاتب المعرف مارتن بوبر. ففى عدة أعمال دافع عن حركة هاسيد (وفرعها هاباد) بدون ذكر أفكارها بشأن غير اليهود . وقد تمت ترجمة هذه الأعمال إلى العبرية ، وأثرت فى التعليم العام فى إسرائيل ، مما شجع قيادات الحركة فى سعيهم وراء خلق الصراعات وسفك الدماء، وكراهية من ليسوا يهوداً.. وبوبر أيضاً تجاهل كراهية الحركة للنساء ، وسعيها وراء الخمر ، وخضوعها للأحبار بشكل يقارب العبودية . وهى صفات ذكرها بعض نقاد الحركة من اليهود . وانتصرت أفكاره لأن الناس تعطشت بعد الحرب العالمية لكل ما ينتمى " للتراث اليهودى " . ولم يكن بوبر وحيداً . يسحاق كوفمان تأثر بأفكار الحركة وطالب بقتل سكان فلسطين من غير اليهود ، وهوجو برجمان طالب بتهجير الفلسطينيين إلى العراق ، وكان هناك غيرهم ممن شاركوهم فى أدبيات الكراهية .

وهكذا يتوجب علينا التحاور مع كبار المفكرين من اليهود إن مجّدوا اللا إنسانية. ولابد لنا من محاربة مدعى النبوة والكذابين ، حتى إن وافقهم المجتمع الإسرائيلى . لنتذكر نصيحة الحكيم لكريشوس : " التدين يدفع بالفرد للخير ، ولكن التطرف والمغالاة فى التدين يدفعان بالإنسان لأقصى درجات الشر" . والتدين ليس دائمًا ، كما يدعى ماركس ، أفيون الشعوب ، ولكنه أفيون للمتطرفين ممن يغالون فى التدين . أما المفكرون الذين يبررون باسم الدين كراهية الإنسانية ، فهم مهربو المخدرات .

ويمكننا من هذا التحليل ، الوصول إلى استنتاج ، وهو أن الأسلوب الناجع لفعل الشر والخداع – فى الوقت الذى تبقى اليدان طاهرتين من الدم والعنف – هو إفساد عقول الناس ودفعهم للتسلط والقتل . إذ إن أقسى أنواع التسلط فى الضفة الغربية تنتج عن التعصب اليهودى . الناس يتصورون أن الطغيان يعتمد على العنف الجسدى. ولكن يبدو لى أن جذوره تنبع من أعماق الذات . فالأحبار – ومن يدافعون عنهم – والكتاب والصحفيون والسياسيون الصامتون ، كلهم يكذبون . هم لا يواجهون خطر الموت ، بل فقط الضغوط الاجتماعية . يكذبون لأنهم يتوهمون أن الكذب واجب عليهم باسم الوطنية التى تدفع بهم للصمت حين يشاهدون كل يوم التفرقة العنصرية ضد الفلسطينيين .

ونلاحظ هنا مجموعة أخرى قد تكون أكثر شراً . فالكثير ممن هم غير يهود (ومنهم مسيحيون ، وماركسيون) يعتقدون أنه يجدر بهم تجاهل أخطاء اليهود لتعويضهم عما لحق بهم من اضطهاد . والتهمة الشائعة التى تواجه كل من يشتكى من أخطاء اليهود تجاه الفلسطينيين أو يذكر الماضى اليهودى ، بمعاداة السامية لها تأثيرها خارج إسرائيل ، فى دول غير يهودية . إن هؤلاء الأفراد المؤثرين فى دول الغرب ، وخصوصًا الولايات المتحدة ، عاونوا الأحبار ودارسى اليهودية على نشر أكاذيبهم بلا مقاومة تذكر .

وإن بدت ظاهرة تشجيع الشر – خاصة إن كان يهوديًا ، أكثر قوة منذ عام 1945، حين ظهرت حقائق المحرقة النازية ، فمن الخطأ تصور أنها بدأت آنذاك . بين اليساريين ، كان هناك صديق لماركس ، هو موسى هس ، الذى يعتبر من أول دعاة الاشتراكية . ولكنه كذلك كان عنصريًا ، إذ دعا لجنس يهودى طاهر ، لم تختلف دعوته عن رغبة النازيين بطهارة العرق والدم عن طريق سفك دماء الآخرين . ولكن اليسار الألمانى ينتقد العنصرية الألمانية ، ويغض الطرف عن العنصرية اليهودية . الأحزاب اليسارية لا تناقش الفكر اليهودى البتة ، بل تتقبله على علاته . وذات الوضع يتكرر فى الولايات المتحدة .

وهكذا لا نحتاج إلى مواجهة التطرف اليهودى والعنصرية بين اليهود فحسب ، بل محاورة من يسمون " التقدميون " فى الغرب ، وإن لم يستحقوا هذه التسمية البتة .

الفصل الثالث

العقيدة والتفسير

هدف هذا الفصل هو شرح مبادئ الديانة اليهودية . ولكن فى البداية لابد من التخلص من بعض الأخطاء الشائعة ، خصوصاً أفكار من يتحدثون عن " تراث يهودى مسيحى مشترك . " أو عن " القيم المشتركة بين الديانات التوحيدية المختلفة" .

سأتعامل الآن مع أكثر هذه الأساطير شيوعًا ، وهى فكرة أن اليهودية ديانة توحيدية . وهى فكرة خاطئة ، كما يعرف دارسو التراث العبرى ، وتثبت دراسة العهد القديم . فالكثير من أسفاره تعترف بوجود أرباب أخرى وبقوتها ، لكن – يهوى – وهو أقوى الأرباب ، غيور من منافسيه ويمنع الشعب من عبادتهم . فقط فى أسفار متأخرة من الكتاب المقدس ، يقوم بعض الرسل بالتأكيد على وجود رب واحد .

وما يعنينا هنا ليس الكتاب المقدس ، بل الديانة اليهودية التاريخية ، وهى حتى اليوم لا تؤمن بالتوحيد . أفكار التنسك اليهودى (والقبالاه) التى تم تطويرها خلال القرنين الثانى والثالث عشر ، والتى شاعت فى القرن السادس عشر ، أضعفت من الأفكار التوحيدية فى مراكز التدين اليهودية . وقد حارب اليهود أفكار القبالاه خلال فترة التنوير ، ولكنها بقيت مؤثرة حتى هذه الساعة على أحبارهم .

معرفة هذه الأفكار ضرورية لسببين . فأولاً ، بدون دراستها لا يعرف الفرد الفكر اليهودى خلال القرون الماضية . ثانيًا ، لا تزال هذه الأفكار تلعب دوراً سياسيًا مهمًا ، لأنها عقائد خفية لقادة سياسيين متدينين ، ولزعماء الحركة الصهيونية سواء انتموا لليمين أو اليسار .

وكتاب القبالاه يؤكد على وجود عدة أرباب تنتج عن مسبب واحد بعيد . وأول هذه الأرباب هو " الحكمة " أو " الأب " ، والربة " المعرفة " أو " الأم " . ومن زواجهما ينتج

طفلان : الابن ، وله أسماء أخرى . والبنت ، وتسمى السيدة ، الملكة ، إلخ . وقد منع الشيطان ، وهو شخصية قوية مستقلة فى هذا التفكير ، زواج الربين الأخيرين ، ثم خلق الجنس اليهودى لإصلاح الشرخ الذى سببه آدم وحواء بمعصيتهما ، وأسفل قمة جبل سيناء جسّد موسى الرب الابن ، ونجح فى الاتصال بالربة البنت . ولكن عبادة اليهود للصنم الذهبى – العجل – أدت لفصلهما مرة أخرى . وكل حادث فى التفكير اليهودى يرتبط بزواجهما بشكل أو بآخر . إنشاء المعبدين الأول والثانى ساعد على إتمام الزواج ، ودمارهما لاحقًا والسبى البابلى لا يدل على انفصالهما فحسب ، وإنما على اتجاه اليهود نحو أرباب أخرى . إذ يقترب الشيطان من الربة البنت ، ويتجه الرب الابن نحو صيغ شيطانية مؤنثة ويرتبط بها .

وظيفة اليهود المتدينين هى مساعدة إتمام هذا الاتحاد بين الرب والربة ، وطقوس الصلاة اليهودية اليومية ترمز لمراحل مختلفة متعددة منه. بعض أنواع الصلاة – حسب تفسير القبالاه لها – تهدف لخداع الملائكة (الذين يعتبرون أربابًا صغارًا مستقلين) أو لخداع الشيطان . فى لحظة معينة خلال صلوات الصباح ، يتفوه اليهود بكلمات آرامية من أجل خداع الملائكة حتى يفتحوا الباب الذى تدخل منه الصلاة إلى الجنة على الرغم من أنهم يحاولون منع دخولها . فالملائكة – حسب هذا التفكير – لا يفقهون سوى العبرية ، وتحيرهم الصلاة بلغة أخرى . ولذلك يفتحون الأبواب ، وفى هذه اللحظة ، تدخل الصلوات العبرية والآرامية معًا .

هناك مثال آخر : فقبل أن يغسل اليهودى يديه ، يصلى صلاة خاصة تتكون من جزئين . الصلاة الأولى للرب ، من أجل زواج الابن والبنت ، والثانية للشيطان ، الذى يحب صلاة اليهود لدرجة أنه ينشغل بها لوهلة فيترك الربة البنت . بل إن المؤمنين بالقبالاه يعتقدون أن بعض الضحايا التى تحرق فى المعبد تذهب للشيطان ، لتشغله عن الأضحيات التى تقدم للرب .

هناك عدة نقاط أساسية لابد من ذكرها لفهم علاقة هذا النظام باليهودية القديمة، والحركة الصهيونية الحديثة . أولاً ، لا يمكن اعتبار نظام القبالاه توحيديًا ، إلا إذا اعتبرنا الهندوسية والعقائد الرومانية القديمة توحيدية . ثانيًا ، طبيعة هذه الديانة تتجسد فى سهولة تطبيقها . الإيمان يلعب دورًا تافهًا فى هذا الدين . المهم هو الطقوس ، لا مغزاها ، أو العقيدة المرتبطة بها . ولذلك ، حين رفض بعض اليهود

القبالاه ، بقوا يمارسون ذات الطقوس ، وإن مارسها البعض تقرباً للرب ، وآخرون لكى يُشغل بها الشيطان . وبما أنهم يمارسون ذات الطقوس ، ويصلون معاً ، فإنهم ينتمون إلى المجتمع ذاته ، مهما كرهوا عقائد بعضهم البعض . أما إذا غير أحدهم الممارسات، الصلاة التى تقدم لغسل اليد مثلاً ، فآنذاك سيحدث شرخ كبير .

والشىء ذاته يقال عن الديانة اليهودية . فمادام الطقس صائباً ، لا أهمية تذكر لمغزاه . " استمعى يا إسرائيل ، الإله هو ربنا ، وهو واحد" . التى يقولها اليهودى المتدين كل يوم ، تحوى معانى عدة : قد تعنى أن الرب واحد ، وتعنى كذلك قرب موعد زواج الربين الابن والبنت . أما إن قيلت هذه الصلاة بأى لغة باستثناء العبرية ، فذلك سيغضب جميع الأحبار ، بغض النظر عن معتقداتهم .

الأهمية القصوى لهذه الطقوس ، وكراهية من هم ليسوا يهوداً ، ويقيمون فى فلسطين ، النزعة القدرية نحو جميع مساعى السلام مع الدول العربية ، هذه وغيرها من المبادئ لا يفقه معناها من لا يعرف أفكار اليهودية . لقد استخدم بن جوريون بعض العقائد لصلحته وترك بعضها الآخر . ولكن لا يمكن تجاهل تأثير الماضى على الحاضر. حين يفهم الناس الماضى سيتحررون من سلطته .

تفسير التوراة :

كثير من المعلومات الشائعة عن اليهودية خاطئة . كل ما ذكرناه من معلومات وجد فى النصوص القديمة الأصلية . وأحياناً فى كتب حديثة مكتوبة لقراء مختصين فى هذا المجال باللغة العبرية . مثل هذه المعلومات غير متاحة باللغة الإنجليزية حتى الساعة . المسيحيون كذلك يتصورون أن الديانة اليهودية تعتمد فى أساسها على التوراة ، وأن للعهد القديم من السلطة فى اليهودية ما للجديد فى المسيحية . وهذا سؤال يتعلق بالتفسير . ففى شأن الإيمان ، هناك الكثير من الحرية . أما التفسير ، فهو موحد تماماً ، حسب أسس التلمود ، لا التوراة . الكثير من الأفعال والأوامر اليهودية تفهم من قبل اليهود بطريقة مخالفة ، وأحياناً مغايرة ، للفهم المسيحى لها ، الذى يستند على قراءة حرفية للنصوص . وحتى اليوم ، يوجد فرق شاسع فى إسرائيل

بين اليهودية التى تدرس فى المدارس الدينية ، وتلك التى تدرس في المدارس الأخرى ، التى تعتمد على العهد القديم عموماً .

دعنا ندرس بعض الأمثلة لتوضيح الفوارق بين الرؤيتين :

١ – الوصية الثامنة ، لا تسرق ، تحرم سرقة أو خطف شخص يهودى . السبب هو أن الوصايا العشر تشير لفواحش تؤدى لقتل مرتكبها . والسرقة ليست من الخطايا التى تؤدى لقتل السارق . وحتى اختطاف غير اليهود مباح لليهودى فى القانون التلمودى . وهكذا نلاحظ أن لتفسير الجملة ، لا تسرق ، معانى تخالف معناها الحرفى.

٢ – النص المعروف " العين بالعين والسن بالسن " يعنى " العين – مال مقابل العين " أى دفع دية ، لا عقاب جسدى .

٣ – ومن أشهر الأمثلة على عكس المعنى الحرفى النص القائل : " لا تجب فى دعوى مائلاً وراء الكثيرين للتحريف . " (خروج ٢٣:٤) وهو فى الواقع يحض على متابعة الجماعة .

٤ – فى أحيان كثيرة ، تضاف لكلمات مثل " رفيق " غريب " أو حتى " رجل " معنى خاص . النص المعروف " تحب قريبك كنفسك " (لاويين ١٩:١٨) يعنى أن تحب رفيقك اليهودى ، لا أى إنسان . كذلك النص القائل : " لا تقف على دم قريبك . " (لاويين : ١٩:١٦) يعنى معاونة يهودى فى خطر ، ولكن من المحرم مساعدة من ليس يهودياً . أما الحث على الكرم تجاه الفقراء والأغراب ، فيشمل اليهود فحسب . وحتى قوانين التعامل مع الأموات المذكورة فى أرقام : ١٩:١٦ فتشمل جثث ومقابر اليهود فحسب . وهكذا تم تدمير المقابر الإسلامية ، وفندق هلتون – تل أبيب فى الواقع مقام على واحدة من هذه المقابر . ولكن المساس بأى مقبرة يهودية فى العالم يؤدى لردود فعل شديدة من قبل الحكومة الإسرائيلية .

٥ – أخيراً ، وليس آخراً ، دعوة أشعياء للإنسانية إذ يقول مثلاً : " فحين تبسطون أيديكم أستر عينى عنكم وإن أكثرتم الصلاة لا أسمع أيديكم ملآنة دماء " (١٥:١) تحوى معانى رمزية . فالأحبار يبسطون أيديهم لمباركة المصلين ، أى أنه لا يحق لقاتل ممارسة العمل الدينى .

من الواضح أن اليهود يقرأون الكتاب المقدس بشكل مغاير تماماً لغيرهم من الناس.

والفرق واضح حتى فى إسرائيل حين يقرأ الجميع النص بالعبرية . التجربة العملية، منذ عام ١٩٦٧ ، أكدت ذلك . الكثيرون من اليهود فى إسرائيل ممن ليس لهم دراية بالديانة اليهودية حاولوا إحراج الدولة بتذكيرها ببعض النصوص التى تدعو للإنسانية فى العهد القديم . ولكن هذه الأساليب فشلت تماماً لأن النص التوراتى يعنى للدارس معانى مختلفة تماماً عن المعنى الشائع .

وإن لم يفهم اليهود بعضهم بعضاً حين يناقشون النص الذى يقرأونه معًا بالعبرية، فالأمور ستكون أسوأ إن درست التوراة كجزء من المسيحية ، بل إن المزيد من قراءة ذلك النص تؤدى للمزيد من سوء الفهم . فالمعنى بالنسبة لدارسى اليهودية يوجد فى التلمود .

بنية التلمود :

لابد من إدراك أن مصدر السلطة لجميع الممارسات اليهودية ، والأساس الذى تبنى عليه بنيتها القانونية ، هو التلمود ، أى التلمود البابلى ، بينما تخدم بقية النصوص التلمودية (والتلمود المسمى بالفلسطينى) كسلطة ثانوية .

يتكون التلمود من جزئين . هناك أولاً " المشنا " ، وهو نص قانونى يتكون من ستة أجزاء ، كل منها يقسم لعدة أقسام ، كتبت فى فلسطين حوالى عام ٢٠٠ قبل الميلاد من نصوص شفهية قانونية تكونت خلال القرنين الماضيين . أما الجزء الثانى والأكثر أهمية فهو " جمارا " الذى يحوى نقاشات وتأملات فى المشنا . والجمارا يتكون من جزئين ، الأول كتب فى بابل ما بين ٢٠٠-٥٠٠ قبل الميلاد ، والثانى فى فلسطين فى وقت سابق غير محدد . التلمود البابلى (أى المشنا والجامارا البابلى) أكثر اتساعًا وترتيبًا ، وهو الوحيد الذى يعتمد عليه . أما التلمود الفلسطينى فهو أقل أهمية كنص قانونى تشريعى، ومعه عدة نصوص تسمى أدبيات تلمودية ، وتحوى مادة تركت خارج النصين الأولين.

وباستثناء المشنا ، كتبت نصوص التلمود بالعبرية والآرامية ، بل وتعتبر اللغة الأخيرة أكثر أهمية فى التلمود البابلى ، والتلمود لا يحوى مادة قانونية فحسب . فبلا

أى سبب واضح ، تقطع النقاشات القانونية بقصص عن الأحبار ، الملائكة والشياطين ، السحر ، المعجزات . وعلى الرغم من شيوعها بين الناس ، فقيمة القصص أقل من الأجزاء الأخرى . النصوص القانونية هى الأكثر أهمية ، وخصوصًا تلك التى تطرح للنقاش قضايا تعتبر شائكة . والتلمود يعرف أنواعًا مختلفة من اليهود ، بشكل طبقى ، كما يلى : الأقل قيمة هم الجهلاء ، يليهم من يعرف العهد القديم، ثم من يفهم المشنا أو الجمارا ، والصفوة هم من درسوا ويستطيعون مناقشة الأجزاء القانونية من الجمارا . هؤلاء فحسب هم القادرون على قيادة اليهود .

قوانين التلمود شاملة وشمولية ، يمكن توسيعها مع مرور الزمان ، ولكن بدون أن تتغير أسسها البتة . وهى تشمل جميع جوانب الحياة الفردية والاجتماعية ، وعقوبات لكل مخالفة يمكن للعقل تصورها . قواعد السلوك لكل موقف مذكورة ، لا يمكن التساؤل بشأنها . وما يمكن ويتم مناقشته هو توسيع وتطبيقات هذه القوانين . دعنا نقدم بعض الأمثلة :

يمنع ممارسة أى عمل يوم السبت . والعمل يتم تقسيمه إلى ٣٩ نوعًا ، لا علاقة لها بصعوبة العمل ، أو يسره . القضية عبارة عن تعريف قسرى لأنواع مختلفة من النشاط . الكتابة مثلاً ممنوعة . وهنا يأتى السؤال : كم حرفًا يكتبه المرء حتى يمارس خطيئة الكتابة يوم السبت ؟ الإجابة : اثنان . وهل الخطيئة ذاتها تنطبق بغض النظر عن أى يد استخدم المرء ؟ كلا . ولكن ، من أجل حماية الناس من السقوط فى هذه الخطيئة، يضاف لها قانون ثانوى يحظر الفرد من لمس أى مادة كتابية (ورقة ، أقلام ، إلخ) يوم السبت .

طحن المحاصيل كذلك محرم يوم السبت . ينتج عن هذا التحريم أن أى نوع من أنواع الطحن ممنوع . وينتج عن الأخير أن جميع أنواع الممارسة الطبية محرمة حتى لا يتم الطحن السبت . ولا جدوى من ذكر أن هذا الوضع لا ينطبق على عصرنا . . المحرم يبقى محرمًا بغض النظر عن عقلانيته . يقول أحد القساوسة القدماء ، ويدعى ترتليان : " أومن بالفكرة الدينية بغض النظر عن مدى توافق فكرى معها " . وهذا الوضع ينطبق على أغلب قوانين التلمود ، إن استبدلنا كلمة "أو من" بكلمة "أمارس " .

وقد حدثت تحولات كثيرة فى حياة اليهود مع مرور الوقت . فمثلاً ، عمل اليهود فى الزراعة ، وسكنوا فى أراضى ما بين النهرين . ولكن ، ومنذ عام ٨٠٠ قبل الميلاد ،

حتى ٣٠٠ قبل الميلاد ، تقل المعلومات التاريخية ، ولا يعود المجتمع اليهودى يحوى الفلاحين . تغيرت مواقع حياة الأفراد وأساليبهم فى العيش . أما كيفية تعامل المجتمع العبرى مع هذه التغيرات ، فهو نظام التدبير .

نظام التدبير :

كما لاحظنا ، قوانين التلمود قاسية لا تسمح بأى مرونة حتى حين تكون غير ملائمة بسبب تغير الظروف . التلمود يتطلب تفسيرًا حرفيًا ، ولا يمكن رؤيته بشكل رمزى البتة . ولكن خلال مراحل تاريخية بعينها ، كانت عدة قوانين غير ملائمة لحياة الطبقات الحاكمة والأحبار والأثرياء . وهكذا اخترعوا نظامًا يتيح لهم احترام القانون بشكل ظاهرى ، مع مخالفة معناه ، وهذا هو نظام التدبير الذى كان أهم أسباب انحطاط اليهودية فى العصور القديمة . (سبب آخر كان التنسك اليهودى) . دعنا نقدم بعض الأمثلة على هذا النظام :

١ - نسبة الربح (الربا) : يمنع التلمود اليهودى من أى ربح ينتج عن دين يقدمه يهودى لآخر (وإن أكد على ضرورة أكبر ربح ممكن من غير اليهود) . قوانين كثيرة تلمودية مفصلة تمنع اليهود من الاستفادة من أى نسبة ربح مهما كانت ضئيلة . جميع المشتركين فى هذا النظام - حتى الشهود وكاتب العدل - يعدون من المارقين ، ولا تقبل شهاداتهم فى المحاكم ، إذ إن فعلهم هذا إعلان لخروجهم على طاعة الرب . من الواضح أن هذا القانون ملائم لاحتياجات الفلاحين اليهود فى مجتمعات صغيرة ، حيث يقومون بإعارة المال لمن يدينون بديانات أخرى . ولكن الوضع تغير تمامًا فى بولندا فى القرن السادس عشر . فقد كبر المجتمع اليهودى ، وصار اليهود الأغلبية فى عدة مدن . لم يستطع إعارة النبلاء سوى القلة الثرية من اليهود ، بينما تعامل غالبيتهم مع بعضهم البعض .

فى هذه الظروف ، صنع ما يسمى نظام " التدبيرالاقتصادى " بحيث يربح من يعير المال لآخر ، وإن كان طرفا التعامل من اليهود ، بحيث لا يكسر القانون بشكل حرفى . من يقدم المال لآخر لا يعيره ، بل " يستثمر " المال لديه . المعير يستثمر المال فى أعمال من يدينه ، ويشاركه فى الربح . أما فى أحوال الخسارة ، فيطلب منه جلب بعض الأحبار للشهادة ، والحبر عادة يرفض التدخل فى هذا التبادل التجارى . كان

المطلوب كتابة بعض السطور بالآرامية التى لا يفهمها غالبية الناس ، بحيث يكسب اليهودى المال من آخر بطريقة قانونية .

٢ - العام السابع : حسب قانون التلمود ، لابد أن تترك الأرض الزراعية للعام السابع بلا أى عمل زراعى أو حصاد . وهناك أدلة على احترام اليهود لهذا القانون منذ القرن الخامس قبل الميلاد حتى اختفت الزراعة اليهودية من فلسطين . وحين لم يعد هناك ضرورة لهذا القانون ، بقى نظرياً . ولكن فى الثمانينيات من القرن التاسع عشر ، مع بدء الحركة الاستيطانية ، قدم الأحبار نظام تدبير للمزارعين . وحسب هذا النظام ، يأخذ الحبر الأرض العام السابع ، ويعيرها لغير اليهود ليعملوا على زراعتها طوال هذا العام ، ثم تعاد الأرض لصاحبها فى نهايته . والأحبار من غير الصهاينة يشككون فى هذا النظام على أساس أن القانون اليهودى يمنع بيع الأرض لغير اليهود. ولكن الأحبار الصهيانة يقولون إن ما يحدث عبارة عن إدانة ، لمدة عام .

٣ - حلب الأبقار صباح السبت محرم على اليهود . ولم توجد أى صعوبة فى التعامل مع هذا القانون : إذ طلب صاحب الأبقار من أحد عماله من غير اليهود حلبها. المستعمرون الأوائل فى فلسطين اعتمدوا على العرب للقيام بهذه الخدمة . ومع تأكيد الحركة الصهيونية على ضرورة عمل اليهود ، بات وجود نظام تدبير ضرورى . وتم ذلك بالشكل التالى . فأولاً اكتشف بعض الأحبار وجود قانون يتيح حلب البقرة صباح السبت حتى لا تمرض ، وعلى شرط عدم الاستفادة من اللبن . وهكذا يقوم أحد اليهود صباح السبت بوضع إناء تحت البقرة صباح السبت ، ويتركه ويذهب للصلاة ، نظراً لعدم وجود أى مانع من القيام بهذا العمل . ثم يأتى آخر بنية صافية وهى حلب البقرة بدون الاستفادة من لبنها . فيجد الإناء ويتركه فى مكانه ، ويحلب البقرة ثم يذهب للصلاة . ويعود صاحبه فيما بعد ، ويجد الحليب فى الإناء فيرفعه ويضعه فى ثلاجة . ويتكرر ذات النظام صباح السبت اللاحق .

٤ - السبت وعمل غير اليهودى : بقيت دائرة الأعمال المحرمة يوم السبت تتسع ، وكذلك اتسعت الضرورات التى لابد من إنجازها يوم السبت . منع الطحن كان سهلاً للفلاح ، الذى طلب من أحد عماله القيام بالوظيفة . ولكن الأمر اختلف لأصحاب الطواحين الهوائية والمائية فى شرق أوربا ، وهى وظيفة شاعت بين اليهود فى العصور الوسيطة . ولكن ، حتى قضية بسيطة ، مثل شرب كأس حليب دافئ فى الصباح ، كان مشكلة عصيبة بدون معاونة غير اليهودى .

تطلب عمل هؤلاء الأفراد من غير اليهود تدبيراً خاصاً . فالقانون التلمودى يمنع اليهودى من أن يطلب من غير اليهودى إنجاز أى عمل محرم عليه . وهكذا صنع نوع من التدبير يسمى – التلميح – ويعتمد على منطق أن التعبير عن الرغبة الخاطئة مقبول، إن كان غامضًا . مثلاً ، يسمح لليهودى أن يلمح لخادمه يوم السبت قائلاً : "الجو بارد" "الحجرة مظلمة ." ولكن التلميح الأكثر غموضاً أفضل . " لو كان الجو أكثر دفئًا ، لاسترحنا جميعًا ". ولابد للخادم غير اليهودى من إدراك المغزى ، وإنجاز المطلوب ، وإلا لطرد من وظيفته فوراً .

الأسلوب الثانى يستخدم فى أحوال حين يتطلب من الخادم إنجاز أعمال بعينها كل سبت . التعاقد يتم لشهر أو لعام بدون ذكر يوم السبت البتة ، ولكن العامل لا يعمل إلا يوم السبت فى الواقع . وهذا النظام ويدعى " Havla'ah استخدم لإنارة شموع المحفل مساء السبت .

يوجد نظام مشابه لعمل يوم السبت ولكن لغاية أخرى . فلا يحق لليهودى الحصول على أى أجر لعمل يقوم به فى يوم السبت . والمثال الأساسى هنا هو الأحبار وأساتذة التلمود والوعاظ . أحياناً لا يوجد أى أجور لهذه الأعمال . بالنسبة للأحبار ، كان الوضع معقداً ، إذ إن التلمود يحرم أن يكسب المرء أى رزق عن طريق تعليم الدين. وهكذا تنص عقودهم على أن ما يأخذونه لا علاقة له بعملهم الفعلى ، بل تعويض. (Dmey Batalah) .

صفتان أساسيتان لهذا النظام تتطلبان المعالجة :

أولاً ، من الواضح أن نظام التدبير مبنى على الخداع – أى التحايل على القوانين الإلهية لتحقيق احتياجات الناس . وهكذا ضعفت أخلاقيات الدين اليهودى ذاته ، وبات يعتمد على طقوس فارغة وخرافات ، لها – على الرغم من ذلك – تأثيرات هائلة . فهذه الخرافات هى ما يؤمن به الناس ، لا الأجزاء الثرية بالمعنى الإنسانى فى العهد القديم والتلمود ذاته . فمثلاً ، صلاة الترحم على روح الميت حتى تصل روحه إلى الجنة تقال بلغة آرامية لا يفقهها أغلب الناس . اليهود يهتمون بهذه الأجزاء أكثر من غيرها .

ومع التحايل على القوانين الدينية هناك خداع للآخرين ، عادة لمصلحة الأثرياء . إذ لا توجد أى تدابير للفقراء . فمثلاً ، لا يحق للفقير تناول أى نوع من الغذاء الممنوع،

وإن كان أرخص . وكذلك نلاحظ أن نظام التدبير صنع من أجل الفائدة المادية .
إن الجمع بين النفاق والرغبة فى الثراء كان من صفات اليهود لفترة طويلة . والناس فى إسرائيل يدركون ذلك ، على الرغم من وسائل الإعلام التى تبرر الأفكار الدينية .
لا تملك المؤسسة الدينية شعبية كبيرة فى إسرائيل ، والسبب فى ذلك هو سمعتها السيئة، سواء بسبب الخداع ، والجشع ، أو الفساد . وإن كانت غالبية اليهود مخلصة فى تدينها، فذلك لم ينتج عن نشاط المؤسسة الدينية ، بل على الرغم منها .

الفصل الرابع

تداعيات التاريخ

كتب الكثير لتقديم تفسير اجتماعي للديانة اليهودية . وذلك غير ممكن نظراً لأن البنية الاجتماعية والهيكل العقائدى للمجتمع اليهودى تغيرا عبر التاريخ . بل ويمكن تحديد أربع مراحل تاريخية أساسية :

١ – المرحلة الأولى : منذ تكوين الممالك القديمة فى إسرائيل ويهوذا ، حتى تدمير المعبد الأول (٥٨٧ ق . م) والسبى البابلى . وجل العهد القديم يتعامل مع هذه المرحلة، وإن كتبت العديد من نصوصه لاحقًا . اجتماعيًا ، شابهت الممالك اليهودية القديمة الدويلات الموجودة آنذاك فى فلسطين وسوريا ، – وكما توضح كتب الأنبياء المتأخرين فى التوراة – تشمل التشابهات العقائد التى آمن الناس بها بل وحتى الطقوس التى مارسوها . الأفكار التى شاعت لاحقًا ، شاملة النزعة الهرمية ، والإيمان برب واحد أقوى من أرباب الأمم الأخرى ، كانت موجودة فى هذه المرحلة ولكن بين قلة من القساوسة والرسل ، الذين توقف نجاحهم على الدعم الملكى .

٢ – مرحلة المركزين ، فلسطين وما بين النهرين ، منذ العودة من بابل (٥٣٧ ق . م) حتى ٥٠٠ بعد الميلاد . وهذه المرحلة تتميز بوجود مجتمعين إسرائيليين منفصلين ، كلاهما يعتمد على الزراعة ، حيث فرضت الديانة اليهودية بقوة وسلطة الإمبراطورية الفارسية . يصف أحد كتب العهد القديم حياة إزرا اليهودى الذى أعطاه الإمبراطور الفارسى السلطة لاختيار القضاة والنواب فى فلسطين ، بحيث يحترم الناس قانون الرب ، وقانون الملك ، ويعاقب المارقون بالموت، أو النفى ، أو مصادرة الأملاك ، أو الحبس . وهكذا يبدو واضحًا أن الديانة اليهودية فُرضت بالقوة على المجتمعات اليهودية ، أحيانًا عن طريق دول خارجية .

وقد بقى كلا المركزين مستقلين خلال أغلب تلك الفترة ، فقمعت جميع محاولات التحرر من استبداد النظام الدينى القائم . وقد حدث استثناء لهذا الوضع حين تأثرت طبقة الأحبار الثرية ذاتها بأفكار إغريقية (من ١٦٦ - ٣٠٠ قبل الميلاد) ، ثم فى عصر هيرود العظيم (منذ 50 قبل الميلاد حتى سبعين ميلادية) . وقد حدثت صراعات داخلية نتيجة لهذا الوضع ، ولكن ما إن انتصر أى طرف ، حتى فرض مبادئه على اليهود فى كلا المركزين .

وخلال معظم هذه المرحلة ، خصوصاً بعد انهيار الإمبراطورية الفارسية وحتى حوالى سنة ٢٠٠ ميلادية ، كان اليهود خارج هذين المركزين أحراراً من ضغوط الأحبار والقضاة اليهود . توجد رسالة تعود إلى عام ٤١٠ قبل الميلاد تحوى نصاً لإمبراطور فارس ، وهو داريوس الثانى ، يحث اليهود على ممارسة طقوس خاصة للاحتفال بأحد أعيادهم (الفصح) . ولكن الممالك القديمة لم تعن بهذه الطقوس كثيراً .

سمحت حرية اليهود خارج فلسطين بظهور أدب يهودى مكتوب باللغة الإغريقية رفضه اليهود اللاحقون وتقبله المسيحيون وحافظوا عليه . كان صعود المسيحية ممكناً بسبب الحرية النسبية المتاحة للتجمعات اليهودية خارج المركزين الأساسيين . تجارب القديس بول مهمة : فحين اتهمه أحد اليهود بالهرطقة ، رفض الحاكم الرومانى جالهو النظر فى القضية ، مؤكداً أنها لا تدخل فى نطاق اختصاصاته . ولكن فى فلسطين ، اضطر الحاكم الرومانى فستوس للتعامل مع قضايا اعتبرها خاصة .

وقد انتهى هذ الوضع عام ٢٠٠ م ، حين فُرضت الديانة اليهودية من قبل السلطات الداخلية على جميع اليهود فى الإمبراطورية .

٣ - المرحلة الثالثة تسمى الكلاسيكية ، وسنناقشها لاحقًا لأهميتها .

٤ - المرحلة الحديثة وتتميز بضعف متزايد لسلطات الأحبار وقواهم ، ومحاولاتهم المستميتة لاستعادتها ، ومن أهمها الصهيونية . والمصطلح - الصهيونية - بدأ فى هولندا فى القرن السابع عشر ، وظهر فى فرنسا والنمسا فى أواخر القرن الثامن عشر ، وفى أغلب دول أوروبا الأخرى فى أواسط القرن التاسع عشر ، وفى بعض الدول الإسلامية فى القرن الـ ٢٠ . (اليهود اليمنيون كانوا لا يزالون يعيشون المرحلة الكلاسيكية ، التى ميزت العصور الوسيطة ، عام ١٩٤٨) .

بين المرحلتين الثانية والثالثة ، أى اليهودية الكلاسيكية ، هناك عدة قرون ليس لدينا عنها أى معلومات حتى الساعة . فى الدول المسيحية لا يوجد أى سجلات حتى أواسط القرن العاشر ، والمعلومات التى يسجلها اليهود فى تجمعاتهم لا تتوفر حتى القرن الحادى عشر ، وتزداد فى القرن ١٢ . قبل ذلك ، نعتمد تمامًا على معلومات رومانية ومسيحية . وفى الدول الإسلامية يوجد المزيد من المعلومات . ومع ذلك ، فالواقع هو ندرة المعلومات بين القرنين الخامس والثامن .

خواص أساسية للمرحلة الكلاسيكية :

دعنا إذًا نبدأ بالقرنين ما بين ١٠٠٠–١٢٠٠ ، حين تتاح معلومات كافية عن تجمعات اليهود المختلفة من مصادر يهودية وخارجية . والكثير من خواص هذه المرحلة لا تزال شائعة فى عصرنا . وأهم ما يميزها عن العصور السابقة أن لها ثلاث صفات :

أولاً : اختفى الفلاح اليهودى من بلاد ما بين النهرين . فعلى الرغم مما عانوه من اضطهاد ، صعد اليهود إلى مراكز أعلى فى المجتمع . وأفقر اليهود ، الصانع ، الحداد، الموظف ، كان أفضل حالاً من الفلاح . بل إن الكثير من اليهود عملوا فى مراكز وسيطة ، بين الفلاح والمستهلك ، أو الفلاح والدولة . وفى كل مكان ، ظهر على التجمع اليهودى نزعة احتقار الفلاحين ، أكثر من غيرهم من المجتمعات غير اليهودية ، وهذه الظاهرة ، التى لم أشاهد لها مثيلاً فى أى مجتمع آخر ، واضحة تمامًا لأى إنسان درس الأدب العبرى فى القرنين التاسع عشر والعشرين .

لم يعترف الكثير من دعاة الاشتراكية المعاصرين فى إسرائيل البتة بمشاعر الاحتقار التى يحسون بها تجاه الفلاحين . الصهاينة كانوا الأسوأ فى هذا الشأن : فقد احتجوا على المزارع الكاثوليكية على أساس أنها تعادى السامية . وحتى اليوم تجد اليهود يحتقرون الفلاحين فى روسيا . وهذه النزعة العنصرية التى تستند إلى تمجيد أخلاق وعقلية اليهود تؤدى إلى عدم تفهم معاناة أكثر من اضطهدوا بين البشر – الفلاحين .

ثانيًا : اعتمد اليهود على سلطة الملوك والنبلاء . فى الفصل التالى ندرس قوانين يهودية تعادى الأمميين ، أى غير اليهود ، وخصوصًا تلك التى تحث على قذفهم وعدم

تقدير طباعهم . مع استثناء واحد ، وهو ملك قوى ، أو حاكم مسيطر . الملك يُمدح ويمجد ويطاع فى القضايا المدنية وبعض القضايا الدينية . الأطباء اليهود الذين يُمنعون من إنقاذ حياة الأمميين يوم السبت ، يُطلب منهم بذل أقصى جهد لإنقاذ الملوك والحكام. وهذا هو سبب اعتماد الملوك على الطبيب اليهودى . وليس الأطباء فحسب . فقد اعتمد الملوك على اليهود لجمع الضرائب وعملوا بجهد أكثر من أى مسيحى لأن دينهم حثهم على الإخلاص لمن يحكمهم .

اعتمد الوضع القانونى لليهود على مزايا خاصة – يقدمها لهم الملوك أو النبلاء . ومن هذه المزايا الاستقلال ، أى أن يحكم الأحبار تجمعات اليهود . ومنها وجود طبقة خاصة من الموظفين اليهود الذين يخدمون اليهود فى الدولة ، ولا يدفعون الضرائب . بل يحق لهم فرضها على باقى اليهود . وهذا الاتفاق ، الذى بدأ فى عصر الإمبراطورية الرومانية ، استمر مع مجىء المسيحية .

منذ القرن الثانى حتى الخامس الميلادى ، كان وضع اليهود فى الإمبراطورية الرومانية ما يلى : وجد حبر (عاش فى فلسطين) اعتبر رسمياً زعيماً لجميع اليهود فى الإمبراطورية ومسئولاً عنهم . بل إن سلطته فاقت سطوة حاكم فلسطين . فالإمبرطور ثيوديسوس العظيم ، وهو مسيحى متدين ، أعدم حاكم فلسطين حين أخطأ فى حق الحبر الأكبر .

وفى الوقت نفسه كان للأحبار ، الذين اختارهم الحبر الأكبر ، حقوق كثيرة منها عدم دفع أية ضرائب . بل حق لهم فرضها على المجتمع اليهودى ، وتغريم أفراده، وجلدهم ، وغيرها من العقوبات . وقد استخدم الحبر الأكبر القوة من أجل كبت المخالفين ومعاقبة كل من اتهمه بفرض الضرائب الباهظة على فقراء اليهود (كما يذكر التلمود).

نعرف من مصادر يهودية أن الأحبار استخدموا النفى ، وأساليب أخرى لتأكيد الوحدة الدينية فى المجتمع . ونسمع أيضًا بكراهية فقراء اليهود للأحبار ، واحتقار الأحبار لهم إذ سموهم " بالجهلاء " . وهكذا استمر هذا الوضع وحمته سلطة الإمبرطورية الرومانية . فى المجتمعات الصغيرة ، يلاحظ وجود الطبقة الثرية والمتوسطة التى يتاح لأفرادها تعليم توراتى وتلمودى جيد . أما فى الأماكن التى

تزايدت فيها أعداد اليهود ، بحيث ظهرت طبقة فقيرة ، فيظهر الشرخ الاجتماعى واضحًا ، ويبدو التحالف بين الأحبار والأثرياء من اليهود ، واستغلال الطبقات الفقيرة لمصلحتهما ومصلحة العرش والنبلاء . حيث خدم الأحبار عمومًا الدولة ، وكلما ازدادت سطوتها وظلمها ، تزايد دفاعهم عنها .

ثالثًا : بقى المجتمع اليهودى معاديًا لمن يحيا فى وسطهم من غير اليهود ، باستتثاء الملك والنبلاء . ونتائج هذه الصفات الثلاث هى عبارة عن تاريخ اليهودية فى الدول المسيحية والإسلامية .

كان وضع اليهود فى أفضل أحواله فى دول قوية تتمتع بصفات إقطاعية ، فى دولة مثل بولندا قبل عام ١٧٩٥ وأيبريا قبيل القرن الخامس عشر ، قبل ظهور النزعة الوطنية . بل إن اليهودية الكلاسكية تزدهر فى ظل حكومات مفصولة تمامًا عن شعوبها، إذ تخدم دور الطبقة الوسيطة – وإن لم تتمتع بالاستقلال . ولذلك عاداهم الفلاحون ، والطبقات الوسيطة الأوروبية (التى بدأت بالظهور) وأجزاء من الموظفين ، وحماهم النبلاء . أما حين ضعف الإقطاع ، وارتبط النبلاء بالملك لحكم البلاد وتنميتها ، بصيغة وطنية أو قومية ، ففى هذه الأحوال ساءت أوضاع اليهود .

كمثال على هذا الوضع ، سنحلل باقتضاب أحوال اليهود فى العالم الإسلامى خلال المرحلة الكلاسيكية .

لم يتم البتة نفى اليهود من البلاد الإسلامية ، نظرًا لتعارض النفى مع هذه الديانة السمحاء .

وازدهرت المجتمعات اليهودية فى دول فصلت حكوماتها عن شعوبها ، وحكمت بقوة السلاح والتجارة . وخير مثال على ذلك هو إسبانيا الإسلامية ، حيث نمت ثقافة يهودية (تشمل الشعر ، النحو ، الفلسفة ، إلخ ...) . منذ سقوط الخلافة عام ١٠٠٢م، وبداية عصر الطوائف الذى اعتمد على القوة فى الحكم . ظهور القائد العسكرى المعروف سامويل صناصيد (الذى توفى عام ١٠٥٦ ، ويعد من أعظم شعراء اليهود) اعتمد على أن مملكة غرناطة التى خدمها كانت تعتمد على قوة عسكرية بربرية تحكم

العرب . وتكرر ذات الوضع فى الممالك الأخرى . ولكن وضع اليهود ضعف مع بدايات تكون ممالك ارتبطت بشعوبها ، فتعرضوا للاضطهاد ، واضطروا إلى الهجرة إلى إسبانيا المسيحية ، حيث كان الملوك أقل قوة .

وذات الوضع يتكرر فى الشرق الإسلامى . فأول دولة قامت فيها سلطة لليهود هى الإمبراطورية الفاطمية ، خصوصاً بعد احتلالها لمصر عام ٩٦٩ م ، لأنها اعتمدت على جيوش إقطاعية ، ومماليك ، وتجار لحمايتها . وقد تعاطف صلاح الدين مع اليهود فى مصر ، والأجزاء الأخرى من الإمبراطورية لا لطبعه الرءوف ورحمته فحسب ، بل كذلك لأن معظم قواته كانت من المماليك الذين جُلبوا من بلاد أخرى ، ولأنه وصل للسلطة عن طريق تغيير الحكومة التى خدمها والده وعمه قبله .

أما أفضل مثال عن دولة سعد بها اليهود منذ سقوط الإمبراطورية الفارسية ، فهى الإمبراطورية العثمانية ، خصوصاً خلال القرن السادس عشر . من المعروف أن النظام العثمانى لم يوظف الأتراك ، ولا المسلمين الذين ولدوا لأسر إسلامية معروفة فى مواقع حساسة داخل الدولة أو الجيش . بل اعتمد على عبيد تم أسرهم فى طفولتهم وتعليمهم فى مدارس خاصة . وحتى نهاية القرن السادس عشر ، لم يقدر تركى على الوصول لأى مركز سلطة . وقد ضعفت سطوة اليهود تدريجيًا فى الإمبراطورية العثمانية بعد ذلك ، حين ازداد اعتماد العثمانيين على الأتراك أو العرب .

من المعروف أيضًا أن بعض المفكرين العرب يدعون أن أوضاع اليهود كانت أفضل فى الشرق الأوسط منها فى أوربا . ونحن لا نشكك فى أن الإسلام عامل اليهود بشكل أفضل من المسيحية ، ولكن السؤال المهم هو : أى دول فعلت ذلك ، ولماذا تحسنت أوضاع اليهود حينًا وساءت حينًا آخر؟! .. والجواب واضح الآن .

هناك أيضًا عامل آخر . فحين تحسنت أوضاع اليهود ، امتلك الأحبار المزيد من السلطة . فمثلاً ، نتج عن تسامح صلاح الدين مع اليهود أن قام كبار أحبارهم بتعذيبهم. لا يسمح مثلاً للقس اليهودى بالزواج من أرملة ، ولكن هذا القانون كسر فى العصر الفاطمى . أما فى عهد صلاح الدين ، فسمح للحبر الأعظم بالقبض على جميع القساوسة اليهود الذين تزوجوا من أرامل ، وجلدوا حتى تخلوا عن زوجاتهم . العثمانيون كذلك أعطوا للمحاكم اليهودية السلطة اللازمة لقمع اليهود .

ولهذا السبب ، يصعب استخدام قضية أوضاع اليهود فى الدول الإسلامية القديمة لتقديم آراء سياسية معاصرة [١] .

اضطهاد اليهود :

يستخدم الصهاينة قضية تعرض اليهود للاضطهاد للدفاع عن القوانين التلمودية ضد الأمميين . ولابد من دراسة هذه الظاهرة ، خصوصًا لأن الكثير من البولونيين يمتلكون السلطة اليوم في إسرائيل والولايات المتحدة وغيرها . وبسبب تاريخهم ، تجد هذه الطريقة فى التفكير شائعة بينهم .

باستثناء الحركة النازية ، كانت الحركات المعادية لليهود شعبية ، لا تسيرها الدولة. وقد سعى النازيون للقضاء على تجمعات أخرى من البشر مثل : الغجر، والسلافيين ، وأسرى الحرب . ولكن سعي دولة للقضاء على تجمعات بأسرها ظاهرة نادرة . السبب الذى يقدمه الصهاينة عادة لاضطهادهم للفلسطينيين هو معاداة السامية واضطهاد اليهود لعصور طويلة .

خلال أسوأ مراحل الاضطهاد ، حين تعرض اليهود للقتل ، وقفت الأرستقراطية والبابا والإمبراطور والطبقة الحاكمة والأثرياء فى صفهم . أما أعداء اليهود ، فكانوا من الطبقات الفقيرة . وقد دافع الأثرياء والمتنفذون عن اليهود نظراً لوجود مصالح مشتركة ، أو دفاعًا عن القانون ، أو الرهبة من الطبقات الدنيا والخوف من أن تتحول التظاهرات المعارضة لليهود إلى ثورات عارمة ضد الأثرياء والنبلاء . ومع ذلك ، فالحقيقة هى أنهم وقفوا فى صف اليهود . وجميع المجازر التى حلت باليهود نتجت عن ثورات فلاحين أو حركات شعبية حين فقدت الحكومة سلطتها . وهذا الوضع ينطبق

(١) من الواضح ، على الرغم مما يقوله المؤلف أن اليهود لاقوا فى الشرق الأوسط معاملة أفضل بكثير من تلك التى لاقوها فى الغرب الأوروبى . فقد كان لهم محاكمهم الخاصة ، وعاملهم الحكام المسلمون خير معاملة . لذا يلاحظ أستاذنا الكبير ، د. شوقى ضيف ، فى كتابه عالمية الإسلام : " كل من يعرف تاريخ اليهود بين المسلمين، وتعايشهم فى ديارهم طوال العصور الإسلامية وحمايتهم لهم وبخاصة فى الأندلس والمغرب قرونًا بعد قرون يعجب أشد العجب من عدائهم الشديد – فى عصرنا – للمسلمين الفلسطينيين ، وإخراجهم من وطنهم وديارهم بالقوة مع التنكيل الشديد . "(٥٥) .

حتى على روسيا . القياصرة هاجموا اليهود سراً ، من خلال برامج حكومية خفية . ولكن فى مراحل ضعفهم فقط . (بعد اغتيال الإسكندر الثانى عام ١٨٨١ ، وخلال عام ١٩٠٥) . وحتى فى هذه المراحل ، حاولوا السيطرة على العنف الموجه ضد الأقلية اليهودية فى بلادهم حتى يستتب الأمن ويعود النظام للبلاد . خلال فترة القوة ، حين حكم نيقولاس الأول ، أو الإسكندر الثالث ، لم تتقبل الدولة التهجم على الأقلية اليهودية، وإن لم يكن للأقليات عادة ذات الحقوق التى تمتع بها أغلبية المواطنين .

هذه القاعدة العامة تلاحظ فى جميع المذابح التى تعرض لها اليهود فى شرق أوروبا . خلال الحملة الصليبية الأولى ، لم تعتد الجيوش على اليهود ، بل قام بالاعتداء الفقراء والفلاحون . وفى كل مدينة ، حاولت السلطات حمايتهم . والمظاهرات ضد اليهود فى بريطانيا خلال الحملة الصليبية الثالثة هاجمت كذلك موظفين آخرين تابعين للدولة . وقام الملك تشارلز الأول بمعاقبة المخطئين . التعدى على اليهود خلال وباء الموت الأسود حدث على الرغم من أوامر الإمبراطور ، والأمراء الألمان . وفى المدن الحرة ، مثل ستراسبورج ، سبقت لحظات العدوان ثورات نتج عنها استبدال القيادات بغيرها .

وربما يكون أهم مثال على مجازر اليهود هو ثورة التشميلنسكى فى أوكرانيا (١٦٤٨) التى بدأت بإضراب للضباط وتحولت بسرعة لحركة شعبية عنيفة . الفقراء ، وعامة الشعب ، الأرثوذكس الذين اضطهدتهم الكنيسة الكاثولكية ، هبوا هبة رجل واحد ضد أسيادهم من الكاثوليك البولونيين . وضد معاونيهم من موظفين ويهود . وهذه الثورة العارمة ضد الاستبداد وما صاحبها من قمع وعنف وقتل وإرهاب مضاد، بقيت فى خيال اليهود إلى اليوم . ولكن لا كثورة فلاحين مضطهدين ، بل كحركة منظمة ضد اليهود بلا أى سبب . بل إن الصحافة اليهودية حتى اليوم تعتبر أى تصرف روسى أو أوكرانى معاد لإسرائيل " إرث تشيملنسكى يجسده أحفاده" .

المعاداة للسامية فى عصرنا :

تغيرت طبيعة الاضطهاد لليهود فى العصور اللاحقة . فمع ظهور الدولة الحديثة ، وانهيار نظام العبودية ، والوصول لبعض الحقوق الفردية ، اختفت الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية الخاصة باليهود ، وذهبت معها سطوة التجمع اليهودى على أفراده ، حتى

بات متاحًا لليهودى الانضمام للمجتمع الذى يحيا فى وسطه . وقد كان لهذا التحول رد فعل عنيف من قبل اليهود (وخصوصًا الأحبار) ومن عادوا فكرة المجتمع المفتوح واعتقدوا أن التحرر لعنة .

تظهر معاداة السامية أولاً فى فرنسا وألمانيا ، ثم فى روسيا ، بعد عام ١٨٧٠ . ولا يوجد أي صدق للادعاء أن النظام الرأسمالى أفرز معاداة السامية . بل إن الدول الأكثر تحرراً منها هى الأكثر تقدمًا فى رأسماليتها ، مثل : بريطانيا وبلچيكا .

وقد كانت معاداة السامية الباكرة (١٦٠٠ - ١٨٨٨) رد فعل رجال متحيرين ، خشوا المجتمع الحديث بكل خواصه ، الجيدة والسيئة ، وآمنوا بوجود مؤامرات تسير على مدى آلاف الأعوام . وقد اعتبروا اليهود سببًا لكسر أنظمة المجتمع القديم ، ولكل ما يقلق من مصاعب العصر الحديث . ولكن منذ البداية واجه عدو السامية مشكلة صعبة ، وهى كيف يعرف الضحية ؟ وما هى العلاقة بين اليهودى الموسيقى ، الصانع ، والمتسول ، خصوصاً بعد تفكك الروابط القديمة ؟ وقدمت نظرية الجنس اليهودى الحل لهذه المعضلة .

المسيحية والإسلام لم يعاديا اليهودية البتة لأسباب عنصرية ، بل ارتبطا بها . ويقال إن القديس توماس عاتب امرأة عدة مرات إذ لم تتقبل فكرة أن العذراء مريم كانت يهودية . أما الأسطورة العرقية ، فتؤكد أن اليهود كانوا مستقلين ، أقوى من التاريخ ، السلطة الاجتماعية ، وكل شىء ، وهذه هى الخاصة الأساسية لمعاداة السامية . بعض الزعماء ، مثلاً ، عارضوا مبادئ أ . دورمانت ، المؤلف الفرنسى المشهور بمعاداة اليهود فى كتابه الرائج اليهودى الفرنسى (١٨٨٦) . وقد قدم أعداء السامية من الألمان كتبًا مشابهة .

ومن الضرورى توضيح أن بعض الجماعات المحافظة استغلت معاداة السامية لمصالحها ، وأن أعداء السامية استغلوا هذه الجماعات أيضًا ، وإن اختلفوا فى كل شىء آخر . الأعداء عادة لم يكونوا أثرياء اليهود ، بل من تعامل معهم . دورمانت هاجم أسراً حاكمة ، ونبلاء ، ورجال دين ، وحتى البابا ذاته .

يعتمد مدى تأثير معاداة السامية فى عصرنا ، وقدرتها على استخدام المحافظين، على عدة عوامل :

فأولاً : يوجد تراث قديم معاد لليهود ، يسبق الديانة المسيحية ، فى عدة دول أوروبية . أما مدى النجاح فى استخدامه ، فيتوقف على الظروف الاقتصادية والاجتماعية فى كل موقع .

الكنيسة البروتستانتية تقبلت معاداة السامية حيناً ، فى استونيا مثلاً ، ولكنها فى ألمانيا وسويسرا عارضتها وانتقدتها .

ثانياً : معاداة السامية تعبير عن كراهية الأجانب ، أو الرغبة فى مجتمع " طاهر " لا يحوى إلا جنساً بعينه . وفى عدة دول أوروبية حوالى عام ١٩٠٠ (وحتى عصرنا) كان اليهودى هو الغريب الوحيد . كما كان ذلك واقع الحال فى ألمانيا . الكراهية تتركز على الحاضر الموجود ، لا الغائب البعيد ، خصوصاً فى ظروف ذلك الزمان ، حين غاب السفر والسياحة وبقى أغلب الناس فى بلادهم فى أوقات السلام .

ثالثاً : إن اتجاهات التحالف بين المحافظين وأعداء السامية وازت قوى وقدرات أعدائها ، وهم دعاة التحرر والاشتراكية - تاريخياً ، القوى التى مارست بعدة طرق التراث الذى بدأ بالحرب من أجل استقلال ألمانيا (١٥٦٨ - ١٦٤٨) وحتى الثورة البريطانية والفرنسية . فى أوربا حتى الساعة تجد من يدافع عن الثورة الفرنسية يرفض معاداة السامية . أما من انتقدها فقد يتحالف مع أعداء السامية ، ومن يبغضها ويود تدمير إنجازاتها هو الداعية لمعاداة السامية .

ومع ذلك ، فمن الضرورى التفرقة بين المحافظين وأعداء السامية . فالعنصرية (ومعاداة السامية جزء منها) تزدهر فى ظروف اجتماعية معينة ، ثم تشتد قوتها بسرعة ، ولا يمكن فهمها حسب قوانين الصراع الطبقى ، أو مصالح الدول . ولعل المعرفة الاجتماعية تزداد يوماً حتى نفهم أسباب النزعات العنصرية فى نفسية البشر . حيث لا يوجد زعيم فى العالم استطاع التنبؤ بمدى الشر الذى فجرته النازية .

رد الفعل الصهيونى :

تاريخياً ، تعتبر الصهيونية رد فعل لمعاداة السامية ، وكذلك تحالف محافظ معها . وإن لم يدرك الصهاينة مع من تحالفوا .

وحتى صعود معاداة السامية المعاصرة ، تفاعل اليهود الأوربيون أكثر من اللازم . وبدا ذلك واضحًا ، ليس فقط فى خروجهم عن تجمعاتهم التقليدية ، ودعوتهم للتنوير اليهودى الذى بدأ فى ألمانيا والنمسا واتسع ليشمل شرق أوروبا ، حتى بات قوة مؤثرة نتج عنها إعادة إحياء الأدب العبرى . ولكن الحركة عمومًا آمنت بفكرتين : أولاً : ضرورة تحليل ونقد المجتمع اليهودى ، وخصوصًا الدور الاجتماعى للديانة اليهودية فى المرحلة الكلاسيكية ، والأمل فى انتصار قوى الخير فى أوربا . وهذه القوى هى التى عاونت فى تحرر اليهود .

كان نمو معاداة السامية وشيوعها ، واتفاق القوى المحافظة عليها ، ضربة قاصمة للتنوير اليهودى . فقد تحرر بعض اليهود فى بعض المجتمعات ، وبقوا غير متحررين فى دول أخرى . يهود الإمبراطورية النمساوية ما وصلوا أبدًا لحقوق المساواة مع غيرهم حتى عام ١٨٦٧ . فى ألمانيا ، أعطى بسمارك اليهود المساواة مع الآخرين عام ١٨٧١ . أما فى الإمبراطورية العثمانية ، فكان اليهود ضحية سياسة تفرقة قانونية رسمية حتى عام ١٩٠٩ . وفى روسيا ، ورومانيا ، حتى عام ١٩١٧ . وهكذا ، فإن معاداة السامية الحديثة بدأت خلال عقدين منذ تحرر اليهود فى وسط أوربا ، وقبل تحرر يهود روسيا وهم أكبر تجمعات اليهود آنذاك .

وهكذا ، تجاهل الصهاينة نصف الحقائق ، وعادوا إلى مواقف الانفصال التى شاعت بين اليهود خلال اليهودية الكلاسيكية ، والادعاء أن غير اليهود دومًا بغضوا اليهود ، وأن الحل الوحيد هو نقل اليهود إلى فلسطين ، أو أوغندا . بعض نقاد الصهيونية الباكرين لاحظوا أن فكرة استحالة التعايش بين اليهود وغير اليهود تجمع الصهاينة وأعداء السامية ، وكذلك أن جمع اليهود فى مكان واحد سيؤدى لتركيز الكراهية ضدهم فى ذلك المكان ، وهو ما حدث بالفعل .

وفى الواقع ، فقد وجدت دائمًا علاقات حميمة بين الصهيونية وأعداء السامية . توهم الصهاينة أنهم يقدرون على استخدام معاداة السامية لصالحهم . توجد أمثلة كثيرة على هذا الوضع : تعاون هرتزل مع الكونت فون بليزفى ، القس المعادى لليهود فى عصر القيصر نيكولاس الثانى . جابوتلسى اتفق مع بتليورا ، القائد اليوكرينى الذى قتلت قواته حوالى مليون يهودى فى عام ١٨٨٨ - ١٩٢٠ .

وقد يكون أهم الأمثلة على هذا الوضع سعادة بعض الزعماء الصهاينة بوصول هتلر للسلطة فى ألمانيا ، إذ شاركوه فكرة أهمية الجنس وكراهية خلط اليهود بالجنس الآرى . هنأوه بالانتصار على دعاة التحرر . د. جواكيم برنز ، وهو حبر صهيونى هاجر لاحقًا إلى الولايات الأمريكية ، وبات رئيسًا للمحفل الصهيونى العالمى ، وشخصية رئيسية فى التنظيم الصهيونى الدولى (وصديق شخصى لجولدا مائير) نشر عام ١٩٣٤ كتابًا خاصًا ، Wir Juden (نحن اليهود) للاحتفال بما يسمى ثورة هتلر وهزيمة القوى التحررية ، يقول فيه :

> **معنى الثورة للأمة الألمانية سيوضحه من صنعوها وصاغوا صورها . لنا ، نحن اليهود ، المعنى واضح ، وهو هزيمة النزعات التحررية التقدمية . القوة السياسية التى دعت لأن يندمج اليهود فى المجتمعات التى يحيون فى وسطها قد سقطت .**

يقول د. برنز بشأن انتصار النازية التى تعارض زواج اليهود من أوربيين "لا يحزننا هذا" . " فحجْر اليهود سويًا " إنما هو " تحقيق لرغباتنا . " ويستطرد قائلاً:

> **نريد بدلاً من الانصهار فى المجتمع قانونًا جديدًا : وهو انتماؤنا إلى الأمة والعرق اليهوديين . دولة تنشأ على مبدأ طهارة العرق والأمة سيحترمها اليهودى الذى ينتمى لها . وهو لن يحتاج للانتماء لدولة أخرى ، والدولة لا تريد إلا اليهود الذين ينتمون لها. لا نريد المنافقين . نتوقع من كل يهودى الإيمان والإخلاص . فقط من سيحترم عرقه ودمه سيقدر الأمم الأخرى .**

والكتاب ملىء بأفكار تجامل النازية ، وتشمت بفشل القوى التحررية والثورة الفرنسية ، بل ويتنبأ الكاتب بأن رسوخ أسطورة الجنس الآرى ستساعد أسطورة الجنس العبرى كذلك .

والواقع هو أن الصهاينة يتصورون أن الفلسطينيين هم ذات الفلاحين الذين شاركوا فى ثورة تشكملنيسى ، وأنهم أعداء السامية ، حلفاء النازية .

ومن المؤكد أن د. برنز ، مثل غيره من المتعاطفين ودعاة النازية ، لم يعرف إلى أين اتجهت الحركة . وكذلك لا يدرك الكثيرون إلى أين تتجه الصهيونية فى عصرنا :

إلى أى خليط من كراهية اليهود للأديان الأخرى ، الأغراب ، وإلى استخدام كل أنواع الاضطهاد لليهود بشكل لا تاريخى من أجل تبرير وتمرير اضطهاد اليهود للشعب الفلسطينى .

مواجهة الماضى :

كل يهودى يرغب فى تحرير ذاته من الماضى اليهودى يحتاج لمواجهة مشاعره حيال معاداة الناس لليهود فى العصور القديمة ، خصوصاً ثورات الفلاحين الذين قتلوا من استطاعوا الوصول إليه من اليهود . ومن ناحية أخرى ، كل المعتذرين عن أحوال الديانة اليهودية ، الداعين للفصل والعنصرية يحتاجون لاتخاذ موقفهم بشأن ذات القضية . الحقائق التى لا يمكن التشكك فيها، وهى أن الثوار نكلوا باليهود (وغيرهم ممن اضطهدوهم) تستخدم من قبل المدافعين عن الصهيونية ، بذات الطريقة التى يستخدمون بها فكرة الإرهاب لعدم تقديم العدالة للفلسطينيين .

إجاباتنا لابد أن يتم تطبيقها على جميع الأحوال . اليهودى الذى يود التحرر من العنصرية ومن الجانب العنصرى لديانة اليهود ، سيكتشف أن ثورات الفلاحين لم تكن ضد اليهود فحسب ، بل شاعت طوال التاريخ . فبعد ثورة تشيملنسكى ، ثار الفلاحون الروس بقيادة ستيفا ريازين . وبعد مائة عام أخرى ، حدثت ثورة بوجاتشيف . فى ألمانيا ، حدثت ثورة الفلاحين عام ١٥٢٥ . وفى فرنسا ، حدثت ثورة الجاكولاى عام ١٣٥٧ – ١٣٥٨ ، وغيرها . الكثير من الثورات فى جميع أرجاء العالم تميزت بالعنف والدموية ، وذلك يشمل حتى الثورة الفرنسية . وما هو موقف المثقفين تجاه هذه الحقيقة: هل يقول المؤرخون البريطانيون إن الفلاحين الثوار فى أيرلندا " معادون للبريطانية ؟ ". ولكن المثقفين اليهود يتصورون أن الفلاح الثائر عنصرى ، على الرغم من استفادة اليهود من معاناته .

" من لا يتعلم من مواجهة التاريخ يضطر لتكراره " حقيقة نراها فى حالة اليهود الذين يعيدون الماضى للحياة فى سياساتهم الصهيونية . فإسرائيل اليوم تعمل كشرطى يضطهد المجتمع حوله ، تماماً مثل يهود بولندا عام ١٧٩٥ . يبدو وكأن الصهيونية أعادت إسرائيل إلى اليهودية الكلاسيكية ، وفى ظروف أشد خطورة .

لابد لنا من مواجهة الماضى اليهودى وعلاقته بالحاضر ، بدلاً من الكذب بشأنه وتقديسه . الصدق ضرورى فى هذه المواجهة ، وإضافة إلى ذلك ، الإيمان بمبادئ أخلاقية إنسانية وسياسية .

وقد كتب الحكيم الصينى منسيوس (القرن الرابع قبل الميلاد) ما يلى :

> **أقول إن الناس يتعاطفون مع بعضهم البعض للسبب التالى : لو شاهد رجل طفلاً يسقط فى بئر ، لحاول مساعدته . وذلك ليس من أجل الوصول لرضا والدى الطفل ، أو مجاملة للناس ، أو خوفًا من العقوبة إن فشل فى إنقاذه . وهكذا نرى أن للإنسان شعورًا بالتعاطف والخجل ، بالصواب والخطأ . وهذا التعاطف هو بدء الإنسانية ، والشعور بالخجل هو بدء الأخلاق ، والشعور بالصواب والخطأ هو بدء الحكمة . ولكل إنسان هذه المشاعر ، ومن لا يؤمن بوجودها فى أعماقه يدمر نفسه .**

والواقع ، كما سنرى فى الفصل اللاحق ، هو أن تعاليم التلمود تتعارض تمامًا مع هذه المشاعر. من أجل ثورة يهودية ، حتى تصير ديانة إنسانية ، وتسمح لليهود بإدراك وفهم ماضيهم ، والتحرر من سطوته ، لابد من انتقاد أخطاء ارتكبت خلال التاريخ اليهودى ، ومراجعة حتى بعض القواعد التلمودية . بلا خوف أو مجاملات ، لابد لنا من الحديث عن ماضينا .

الفصل الخامس

قوانين ضد الأجانب

كما أوضحنا فى الفصل الثالث ، فإن النظام القانونى لليهودية الكلاسيكية - كما مارسها اليهود - منذ القرن التاسع حتى أواخر القرن الثامن عشر ، تعتمد على التلمود البابلى . ومع ذلك ، وبسبب تعقيد الصيغ القانونية المذكورة فى التلمود ، فقد أعيدت صياغتها حتى تكون أقرب لفهم الفرد غير المتخصص . وكان لبعض التفاسير لهذه القوانين سلطة كبيرة . ولهذا السبب سنعتمد على هذه الشروح التى تقدم صورة صادقة لمعنى النص التلمودى .

أقدم صيغ القانون التلمودى هى - مشراب تاراب - التى كتبها موسى بن ميمون فى القرن الثانى عشر . وأهم أنظمة التفسير - الشائعة فى عصرنا - هو - سولهان آروخ - الذى ألفه يوسف كارو فى أواخر القرن السادس عشر . واختصر فيه كتاباً أطول كتبه للمختصين . وكتاب سولاه آروخ قد درسه وعلق عليه الكثيرون . فبالإضافة للشروح الكلاسيكية التى تعود للقرن السابع عشر ، هناك شرح مهم فى القرن العشرين ، وهو مشرنوب بروراب . وأخيراً ، فإن موسوعة التلمود ، التى ألفها أهم علماء الأحبار ، تحوى دراسات أساسية جيدة عن التلمود . وعلى هذه التفاسير الشائعة للتلمود سنعتمد فى هذا الفصل .

القتل :

تؤكد الديانة اليهودية أن قتل يهودى من الكبائر (ومثلها: الزنى، وعبادة الأصنام). المحاكم اليهودية الدينية والسلطات المدنية تعاقب بقسوة من يقتل يهودياً . أما إن قتل

يهودى آخر بدون تعمد ، فجريمته تعد ضد " قانون الرب " وللرب ، لا الإنسان ، محاسبته عليها .

أما إن كان القتيل غير يهودى ، فالوضع مخالف تماماً . اليهودى الذى يقتل غير يهودى متعمداً يعتبر قد ارتكب جريمة ضد " قانون الرب " لا يعاقب عليها القانون .

وهكذا تقول بعض كتب التفسير إنه لا يحق قتل غير اليهودى ، ولكن يمكن إيذاءه بطريقة غير مباشرة . مثلاً ، إن سقط فى حفرة يمكن رفع السلم وتركه فيها . ولكن فعلاً سيسبب وفاة غير اليهودى محرم إن كان سيسبب العدوانية تجاه اليهود .أما إن كان القاتل والضحية من غير اليهود ، فلابد للمحكمة اليهودية من إعدامه . وإن كان الضحية غير يهودى . وتحول القاتل لليهودية ، فلا عقوبة تسرى عليه .

ولجميع هذه القواعد تأثيرات عملية على دولة إسرائيل . فعلى الرغم من أن قوانين الدولة الرسمية لا تفرق بين اليهودى وغير اليهودى ، فالأحبار يقدمون هذا النصح لأتباعهم ، وخصوصاً بما أن القانون ضد غير اليهود ينطبق فقط على " غير اليهود فى أحوال السلم " . فالكثير من المصادر تؤكد أن أى فرد غير يهودى ينتمى لدولة معادية يمكن قتله . ومنذ عام ١٩٧٣ ، يتم تدريس هذه السياسات للجنود . وأول نصائح رسمية قدمت فى كتيب نشرته القيادة المركزية للجيش الإسرائيلى ، الذى عمل فى الضفة الغربية . وفى هذا الكتيب ، نقرأ ما يلى :

حين تصل قواتنا لمدنيين فى غارة أو أثناء غزو ، فى أحوال عدم التأكد من أنهم غير قادرين على إيذاء قواتنا ، فحسب قوانين ديننا يجدر بنا قتلهم . ولا يمكن فى أى وقت الثقة بعربى ، مهما بدا متحضرا فى سلوكه .

وذات القوانين مفصلة فى الرسائل التالية بين جندى إسرائيلى وحبره ، فى الكتاب الدينى السنوى ، Midrashiygat Noam ، الذى يتناول الكثير من القواد والنشطاء السياسيين بالتحليل :

رسالة من الجندى موشى إلى الحبر سببين :

إلى الحبر الغالي :

أولاً ، أرجو أن تكون وأسرتك بخير حال . اعذرني إن لم أكتب لكم منذ زمن . وأرجو أن أستطيع زيارتكم في إجازة قريبة ، إن استطعت لذلك سبيلا .

وبعد . خلال نقاش مع رفاقي في الكتيبة ، تساءلنا: إن كان سلاحنا " طاهرًا "إن قتلنا رجالاً غير مسلحين ، أو نسوة وأطفالاً؟ وهل يحق لنا الانتقام من العرب ؟ أجاب: كل فرد حسب معرفته . تحيرت ولم أصل لجواب . فهل يحق لنا قتل العرب حتى يُفنوا جميعًا ، أم يجدر بي أن أقتل الجنود فحسب ؟

مشكلة ثانية هي هل يحق لي أن أعرض نفسي للخطر لو أبقيت امرأة حية ؟ فالنسوة أحيانًا يلقين بالقنابل . وهل يحق لي تقديم كأس ماء لامرأة عربية إن رفعت يدها مدعية الاستسلام ؟ يمكن أن يكون في ذلك خدعة لقتلي . أختم رسالتي بالشكر الجزيل لك، ولأسرتك – موشي .

الإجابة :

تحيات يا عزيزي موشي :

أبدأ رسالة الاستجابة على أسئلتك هذا المساء ولن أستطيع إتمامها . إذ ستكون رسالة طويلة . أود تقديم إجابات شافية ، ومن أجل ذلك سأستشهد بأقوال الحكماء ، وأعتمد على الذاكرة وتفاسير ما قالوه .

لبقية الأمم الحرب لعبة لها قواعدها ، مثل الشطرنج أو كرة القدم. ولكن اليهود لا يعتبرون الحرب لعبة بل ضرورة قصوى وهذا هو معيارنا الذي يحدد ما نفعله . فأولاً ، يقولون إن قتل اليهودي لغير اليهودي جريمة نكراء ، وإن لم يحق لمحكمة معاقبته ، فسوء فعله مثل أي جريمة أخرى . ومع ذلك ، فلأحد عظام الأحبار وهو الحبر شيمون يقول : " اقتل أفضل من هم من غير اليهود . فأفضل الثعابين لا تستحق سوى قطع رأسها" .

قد يكون معنى : اقتل " فى مقولة ر. شيمون رمزى ، إذ قد يعنى سيطر على غير اليهودى . وبهذه الطريقة نتجنب تناقض أقواله مع الأقوال التى استشهد بها سابقًا . وربما يكون ما قاله رأى شخصى ، لا يتفق معه حكماء آخرون . ولكننا نجد التفسير الصادق فى التوبالوت ١٢ ، ٢٦ . فهناك ، نرى التعليق الصائب على القاعدة التلمودية أنه لا يجب مساعدة غير اليهودى إن سقط فى حفرة ، وكذلك لا يجب دفعه ، مما يعنى أنه لا يجدر قتل أو إنقاذ من هم من غير اليهود . يكتب توسافوت ما يلى :

" أما مقولة اقتل أفضل من هم من غير اليهود ، فتعنى اقتلهم خلال الحرب . فلابد من التفرقة فى التعامل بين فترتى الحرب والسلم . قتل غير اليهودى محرم خلال فترات السلام ، أما خلال الحرب ، فلابد (من الواجب الدينى) قتلهم ".

وهذا هو الفرق بين اليهودى وغير اليهودى . فالقاعدة التلمودية القائلة : " من يأتى لقتلك ، اقتله أولاً ". تنطبق على اليهود ، ولكن فقط إن شكوا بشكل حقيقى أن القادم يود قتلهم . لا يحق لهم قتله إلا إذا كانت نواياه شريرة ، وهذه هى قاعدة " طهارة السلاح " – المذكورة فى نصوص الدين ، لا القواعد الحديثة التى يتقبلها الجيش الإسرائيلى والتى أدت لوفاة الكثيرين بين صفوف جنودنا . أترك لك مع رسالتى جزءاً من جريدة تذكر خطاب الحبر كالمان كاهانا ، يوضح بشكل محزن كيف تؤدى قاعدة طهارة السلاح للموت .

وأنا أختم رساتى هنا ، راجيًا أن تجد فيها فائدة .

السلام معك ، ومع جميع اليهود .

المخلص شيمون .

إجابة موشى :

إلى السيد المبجل ، الحبر الجليل :

أرجو أن تكون وأسرتك الكريمة ، بخير حال وأحسن صحة .

أشكرك على عنايتك بى ، التى تجسدها رسالتك الطويلة . فأنا أعرف أنك تستجيب لأسئلة الكثيرين ، وما يتبقى من وقتك أقل مما تحتاج إليه لإنجاز دراساتك الخاصة .

ولذلك أشكرك بعمق .

فهمت ما يلى من رسالتك :

" فى أثناء الحرب ، لا يحق لى ، بل لابد من قتل كل عربى وعربية أراهما ، إن شككت فى تعاونهما مع الطرف الآخر . ولابد لى من قتلهما حتى إن تعارض ذلك مع قوانين الجيش . أما قانون " طهارة السلاح " ، فيجدر بالكليات العكسرية دراسته وتبسيطه بحيث يصير واضحًا سهل الفهم . فحتى المتدينين بين الجنود لا يفهمونه جيدًا بعد . وأتمنى أن تسعى وراء هذا الأمر بجدية ، حتى نسير على خطى أجدادنا . أختم رسالتى ، راجيًا أن أستطيع زيارتكم خلال شهر .

مع جزيل الشكر والتقدير . موشى

من الواضح أن قواعد الديانة اليهودية بشأن القتل تتعارض ، لا فقط مع قوانين الدولة ، ولكن ، كما تلمح الرسالة ، مع قانون الجيش ذاته . وليس هناك مجال للشك فى أن هذه القواعد تؤثر على مجرى العدالة ، خصوصًا فى الجيش . فالحقيقة هى أن اليهود ، حين ارتكبوا القتل ، فى سياق عسكرى ، أو شبه عسكرى ، وحتى حين ارتكبوا المجازر ، كما حدث فى كفر قاسم عام ١٩٥٦ ، فى جميع هذه الأحوال ، كانت العقوبات أقل بكثير مما ينبغى أن تكون .

إنقاذ الحياة :

قضية القيمة المطلقة لحياة الإنسان والواجب المفروض على كل فرد لإنقاذ حياة غيره – أمر مهم فى حد ذاته . وهو كذلك مهم فى سياق اليهودية ، حين نتذكر أنه ، منذ الحرب العالمية الثانية ، أدان اليهود العالم بأكمله – أو أوربا – لوقوفها جانبًا حين

تعرضوا للقتل الجماعي . في الديانة اليهودية ، لا واجب أهم من إنقاذ حياة يهودي. ذلك الواجب الذي يفوق كل المسئوليات والمعوقات ، باستثناء الكبائر الثلاث : القتل ، الكفر ، زنا المحارم .

أما غير اليهود ، فالقانون التلمودي هو عدم إنقاذهم ، وإن حرم قتلهم . التلمود يؤكد تلك الحقيقة . " لا ترفع غير يهودي من بئر سقط فيها ، ولا تسقطه فيها " . موسى بن ميمون يقول : " أما من هم من غير اليهود في أحوال السلام ، فالدين يحرم قتلهم ، ولكن يحرم على اليهودي كذلك إنقاذهم إن أمن مغبة ذلك . فمثلاً ، إن سقط أحدهم في البحر ، فلا داعي لإنقاذه . فمن هو غير يهودي ليس الصديق الذي تشمله القاعدة التي تقول : " لا تقف على دم رفيقك " .

ولا يحق لطبيب يهودي إنقاذ حياة غير اليهودي . بل إن موسى بن ميمون ، وهو طبيب معروف ، صريح بهذا الشأن . فهو يذكر أن " الرفيق " ليس " غير اليهودي " ويؤكد " إنه من المحرم إنقاذ حياة مريض غير يهودي ، حتى مقابل مال " .

ولكن رفض الطبيب اليهودي إنقاذ حياة غير اليهودي قد يؤدي لمعاداة غير اليهود لليهود ويخاطر بحياتهم . وحين يحدث ذلك ، يعاون الطبيب المريض، ولكن مقابل مبلغ من المال ، هكذا يقول موسى بن ميمون : " ولكن إن خشيت عدوانيته، فأنقذه مقابل شيء من المال . فإنقاذه مجانًا محرم " . وفي الواقع ، فإن موسى بن ميمون كان طبيب صلاح الدين الأيوبي . وهو يقر بضرورة أن يدفع المريض للطبيب " رمز على أن العلاج واجب مفروض " . ولكنه كذلك يسمح أحيانًا بالعلاج مجانًا ، إن لم يجد أي سبيل آخر .

وهذه القاعدة ، منع إنقاذ حياة غير اليهودي ، وإيقاف القاعدة حين الخوف من العدوانية ، تكررها شخصيات جدية أخرى ، مثل : أريا تورم ، وشولهان آروك في القرن الرابع عشر . بيت يوسف يقول أيضًا مستشهدًا بموسى بن ميمون : " يحق لطبيب يهودي تجربة دواء جديد على مريض غير يهودي ، إن كان لذلك فائدة " .

وقد اتفق كافة العلماء على أن القواعد التي نذكرها تنطبق على جميع من هم من غير اليهود . الصوت الوحيد المعترض هو ر. موسى ريفكس ، وهو كاتب لتعليق غير مشهور على Shulkan Arukh ، الذي يكتب ما يلي :

حكماؤنا يقولون غير يهودى لوصف من عبد الأصنام ، ولم يؤمن بالنبى موسى ، الذى أخرج اليهود من مصر ، أو بخلق الرب للعالم . ولكن غير اليهود الذين نعيش فى ظلالهم اليوم ، بعد أن تشتت شعبنا ، يؤمنون بخلق العالم والرسول موسى ، وهذه مبادئ ديننا ، ويصلون لخالق السماوات والأرض . لا مانع من معاونتهم، بل تتوجب علينا .

المدافعون عن اليهودية دومًا يستشهدون بهذه الفقرة التى تعود إلى النصف الثانى من القرن السابع عشر . والواقع أنها جيدة ، ولكن لا تشمل سوى المسلمين والمسيحيين ، وتتجاهل مؤمنين بديانات أخرى ، وهم غالبية البشر . والفقرة على كل حال توضح إمكانية وجود تفاسير إنسانية للتلمود . ولكن الواقع هو أن أغلب السلطات اليهودية رفضت أفكار ريفكس ، بدلاً من توسيع مجالها .

كسر استراحة السبت لإنقاذ حياة :

القيام بالعمل اللازم لإنقاذ حياة يهودى يوم السبت فرض دينى .

لا يهتم التلمود بقضية إنقاذ حياة غير اليهودى يوم السبت ، أو فى باقى الأيام . ولكن القضية يتم تناولها فى سياقين .. فأولاً : إن وجدت مجموعة من الناس ، يحتمل وجود يهودى بين أفرادها ، فهل يجب كسر إجازة السبت لإنقاذ حياتهم ؟ أحد الأحبار، وهو شولهان آروخ ، يعتقد أن قوانين الاحتمالات تحسم هذه القضية . فمثلاً ، لنتصور سقوط عمارة يسكنها يهودى ومعه تسعة من غير اليهود يوم السبت . وأن أحد العشرة فى الخارج . هل يجب رفع حطام العمارة يوم السبت للتأكد من سلامة اليهودى ؟ شولهان آروخ يجيب بالإيجاب ، نظراً لأن إمكانيات وجود اليهودى فى العمارة كبيرة . ولكن لنتصور أن تسعة كانوا فى الخارج ، وواحد فقط فى الداخل – ولا نعرف من ؟ فى هذه الحالة لا يتوجب رفع حطام العمارة ، نظراً لأن إمكانيات وجود اليهودى فى الداخل قليلة . مثال آخر : إن تعرض قارب يحوى بعض اليهود لعاصفة بحرية كان واجب اليهود كسر إجازة السبت لإنقاذهم . ولكن الحبر الأكبر، أويفا إيجر (توفى عام ١٨٣٧) يقول إن هذا القانون يطبق فقط حين يتم التأكد من

وجود يهود على سطح القارب . أما فى حال عدم معرفة أى معلومات عمن يتواجد على سطحه ، فلا يحق لليهود كسر استراحة السبت ، إذ يجدر بالمرء التصرف حسب قوانين الاحتمالات ، والواقع هو أن غالبية سكان العالم ليسوا يهوداً . وهكذا ، بما أن الركاب ليسوا يهوداً ، فلا مانع من غرقهم .

وثانياً : القانون الذى يطالب بإنقاذ حياة غير اليهودى درءاً للخطر يتوقف تنفيذه يوم السبت . حين يطلب غير اليهودى خلال أيام الأسبوع مساعدته ، يضطر الأخير للموافقة خوفاً من الأذى الذى قد يلحق به وبجماعته . أما السبت ، فيحق لليهودى الاعتذار لأن دينه يحرم عليه ذلك . هناك مثلاً قصة فى التلمود عن امرأة يهودية طُلب منها مساعدة غير يهودية أثناء الولادة . فقالت القابلة : يحق لى مساعدتكم طوال الأسبوع ، ولكن السبت لا أستطيع أن أساعد سوى اليهود . وهل هذا تفسير أم تبرير؟ القانون باختصار ، هو ألا يساعد اليهودى غير اليهودى يوم السبت ، حتى مقابل مال .

ومع ذلك ، فهذا القدر غير مقنع أو غير كاف لتجنب المعاداة . ولذلك تساهل بعض الأحبار مع هذا القانون وسمحوا بمعاونة غير اليهود ، وخصوصاً الأثرياء منهم ، الذين يقدرون على إيذاء اليهود ، وهكذا يؤكد ر. بول سيركس ، مؤلف بين حداش ، وأحد أهم أحبار بولندا فى القرن السابع عشر ، على ضرورة إنقاذ " العمداء ، النبلاء ، والأرستقراطيين ، نظراً لخطورة عدم ممارسة ذلك . ولكن ، إن أمكن مخادعة غير اليهودى والتخلص منه ، فإن الطبيب اليهودى سيمارس الخطيئة إن تعاون معه" . ولاحقاً خلال ذات المرحلة ، صدر حكم آخر مشابه ، فى مدينة منيز الروسية ، التى جمع جزئيها جسر مُنِع اليهود من المرور عبره يوم السبت . ولكن حبر المدينة قرر أنه يحق لطبيب يهودى اجتيازه إن طلبه المحافظ . فبما أن الناس يرون الطبيب يجتاز الجسر لعلاج اليهود المرضى ، فإن المحافظ قد يغضب إن رفض الطبيب معاونته .

القضية الأساسية فى هذا النقاش هى العذر ، لا العلاج ، أو صحة المريض . النصوص كذلك تؤكد على حق مخادعة غير اليهود ، لا معالجتهم ، ما دام التحرر من العدوانية ممكناً .

من المؤكد أن أغلب الأطباء اليهود لا يعرفون هذه القواعد . وبعض الأطباء من المتدينين قد يفضلون الالتزام بقانون هيوقراط بدلاً من قوانين الأحبار . ولكن نصائح الأحبار قد أثرت على البعض ، والغالبية ، إن لم تكن قد اتبعت هذه القوانين ، فهى لم تحتج عليها .

وبعد دراسة موقف اليهودى تجاه حياة غير اليهودى ، سنتعامل مع قوانين أخرى تظهر ذات النزعة العنصرية . سنذكر فقط بعض القوانين ، نظراً لكثرتها :

الجرائم الجنسية :

الاتصال الجنسى بين امرأة يهودية متزوجة وأى رجل باستثناء زوجها من المحرمات ، ومن الكبائر الثلاث فى الديانة اليهودية . أما المرأة غير اليهودية ، فسواء تزوجت أم لا ، فإن فكرة الزواج لا تنطبق عليها . يعتبر التلمود أن ممارسة يهودى للزنا مع امرأة غير يهودية فاحشة توازى الجنس مع الحيوانات . والموسوعة التلمودية تؤكد أن اليهودى الذى يمارس الخطيئة مع امرأة غير يهودية لا تحق عليه جريمة القتل. ولكن ذلك لا يعنى تقبل الديانة اليهودية لهذه العلاقة . ولكن العقوبة تفرض على المرأة . فلابد من إعدامها حتى لو كان الرجل قد اغتصبها ، فالشر قد حل بها بسببه . ولكن اليهودى يجلد ، وإن كان من الأحبار ، فسيتضاعف عدد الجلدات التى يواجهها .

الوضع الاجتماعى :

لا يحق لغير اليهودى الوصول لوظيفة تتحكم فى أى جزء من حياة اليهود ، مهما ضعفت قيمتها العملية (وأشهر مثال على ذلك هو قائد العشرة جنود فى الجيش الإسرائيلى) . وهذه القاعدة تنطبق كذلك على من يتحول إلى اليهودية (نظرياً حتى الجيل العاشر) .

غيراليهود يعتبرون من الكذابين ، ولا يمكن قبول شهاداتهم فى المحكمة . ووضعهم شبيه بوضع المرأة اليهودية ، ولكنه أسوأ فى الواقع . فاليهودية تشهد فى بعض القضايا ، وتصدقها المحكمة المدنية . أما غير اليهودى – فلم يحدث حتى الساعة أن قبلت أى محكمة دينية فى إسرائيل شهادته .

تحدث صعوبة حين تحتاج محكمة لإثبات حدث لم يشهده سوى غير اليهود . ومثال على هذا أحوال الأرامل . فالديانة العبرية تهب الأرملة الحق فى الزواج ثانية –

ولكن فقط إن شاهد أحدهم زوجها يموت ، أو تعرف على الجثة . المحكمة تعترف فى هذه الأحوال بقول يهودى سمع غير اليهود يؤكدون ذلك ، ولكن بدون مساءلتهم بهذا الشأن ، فإجابة غير اليهودى على سؤال اليهودى تعتبر كذبة .

المال والملكية :

١ – يحرم التلمود تقديم الهدايا لغير اليهود . ولكن الأحبار تساهلوا مع هذا القانون لأن رجال الأعمال يقدمون الهدايا لتكوين الصلات الضرورية أثناء العمل . وهكذا يسمح لليهودى تقديم الهدايا أثناء العمل لأن ما يقدم لا يعد هدية ، بل استثماراً. الهدايا للأغراب غير مقبولة . وذات القانون ينطبق على الصدقات التى تقدم لمساعدة فقراء اليهود . أما التصدق على غير اليهود فيسمح به من أجل السلام . ومع ذلك ، فتوجد إنذارات ضد تعويد غير اليهودى على تقبل صدقات اليهود ، بحيث يمكن قطعها بدون خلق عداوة غير ضرورية .

٢ – المفقودات : إن عثر يهودى على أغراض مفقودة من يهودى ، يطلب منه إرجاعها ، أو الإعلان عنها . أما إن كان صاحب المفقودات من غير اليهود ، فالتلمود يحرم إرجاع ما فقده له . فى العصور الحديثة ، حين تفرض القوانين إعادة المفقودات لأصحابها ، طلب الأحبار من اليهود احترام قانون الدولة التى يعيشون فيها ، ولكن بدون بذل جهد للعثور على صاحب المفقودات إن كان من غير اليهود .

٣ – الخداع فى العمل . مخادعة أى يهودى لآخر محرمة . ومن المحرم كذلك خداع غير اليهودى بأسلوب صريح . المباح هو الخداع المبهم ، إلا إذا أدى لإيجاد عداوة ضد اليهود . المثال المعروف هو خطأ فى الحساب أثناء الشراء . إن أخطأ يهودى فى الحساب ملحقًا بنفسه الضرر ، فواجب اليهودى الآخر تصويبه . أما إن أخطأ غير يهودى ، فيجدر باليهودى القول : " اعتمد على حسابك " حتى يتجنب عدوانيته إن اكتشف الخطأ لاحقًا .

٤ – الغش : غش يهودى عن طريق رفع سعر بضاعة محرم . ولكن الغش غير محرم مع غير اليهود .

٥ – النهب : السرقة ، بدون قوة ، محرمة تمامًا فى اليهودية . السرقة بالقوة (النهب) محرمة إن كان ضحيتها من اليهود . ولكن نهب اليهودى بالقوة لأملاك غير اليهودى محلل ، خاصة إن كان تحت حكم اليهود . وهذا يوضح سبب عدم احتجاج الأحبار على نهب اليهود لأراضى الفلسطينيين فى إسرائيل .

أوضاع غير اليهود فى إسرائيل :

بالإضافة للقوانين العامة ضد غير اليهود ، هناك قوانين خاصة تتعلق بالتعامل مع غير اليهود المقيمين فى إسرائيل ، أو من يمرون خلالها . وهذه القوانين مصنوعة للتأكيد على سلطة اليهود فى هذه الدولة ، وأى دراسة لهذه القوانين توضح أنها تطبق من قبل الصهيونية فى إسرائيل .

يمنع اليهود من بيع الأراضى – الحقول والمنازل – فى إسرائيل لغير اليهود .

يسمح بإيجار منزل فى إسرائيل لغير اليهودى ولكن بشرطين : أولاً ، لا يستخدم المنزل للسكن بل لأهداف أخرى ، مثل تخزين الأغراض . ثانيًا ، لا يمكن إيجار منازل ثلاثة مجاورة لمنزل المستأجر . والهدف من هذا الشرط هو منع الأمميين من التجمع فى مناطق اليهود . وكما يوضح زعماء جوش إيمونيم ، سؤال التعامل مع الفلسطينيين يعتمد على وضع اليهود . إن كان لهم حول وقوة ، فواجبهم هو طرد الفلسطينيين .

أحبار إسرائيل وتابعوهم يستشهدون دائمًا بهذه القوانين . فمثلاً ، استشهد الأحبار بالقوانين التى تحرم تأجير ثلاثة منازل مجاورة لغير اليهود فى مؤتمر عقدوه عام ١٩٧٩ لمناقشة اتفاقيات كامب ديفيد . واعتبر المجتمعون أن الحكم الذاتى أكثر مما يجب تقديمه للفلسطينيين . واليسار الإسرائيلى لا يجرؤ على مواجهة هذه الآراء .

بالإضافة لهذه القوانين التى تشمل الأمميين المقيمين فى إسرائيل ، هناك قوانين كثيرة كتبت فى التلمود تحث على إبادة الأمم القديمة التى عاشت فى فلسطين ، مثل: الكنعانيين ، والعمالقة . بعض الأحبار المؤثرين على ضباط الجيش ، يعتبرون أن الفلسطينيين امتداد لتلك الأمم القديمة ، بحيث تصبح الأوامر مثل :" لا تبق على حياة أى كائن يتنفس " تطبيقات معاصرة . والكثير من مجندى إسرائيل الذين يذهبون إلى غزة يستمعون لمحاضرات تؤكد أن الفلسطينيين " مثل العمالقة " . بل إن الأحبار برروا

بعض المجازر ، وشاعت خطبهم هذه بين المجندين فى الجيش . وهناك أمثلة كثيرة على أقوال الأحبار المتعطشين لدماء الفلسطينيين ، مستندة على هذه المبادئ .

الإذلال :

الكثير من القوانين الدينية تخلق الاحتقار والكراهية للأمميين .

فى صلاة الصبح يحمد اليهودى الرب لأنه لم يخلقه أمميا . الجزء الختامى من تلك الصلاة يقول : " نشكر الرب لأنه لم يخلقنا مثل بقية الأمم التى تركع للأصنام وتصلى لأرباب لا تخدمها". وهذا السطر الأخير قد حذف من كتب الصلاة ، ولكنه كان يقرأ شفهيًا فى شرق أوروبا . وقد أضيف الآن للكثير من كتب الصلاة الجديدة . وفى القسم الأخير من الصلاة اليومية ، هناك لعنة تحل بالمسيحيين ، واليهود المتنصرين : " وعسى ألا يكون لهم أمل ، ويموتوا جميعًا فوراً ". وهذه الصيغة تعود إلى نهاية القرن الأول الميلادى ، حين كانت المسيحية مجموعة صغيرة مضطهدة . قبل القرن الرابع عشر خففت إلى " عسى أن يحيا من يخون اليهودية بلا أمل . " وبعد ميلاد إسرائيل ، أعيدت الصلاة إلى صيغتها الأولى . وبينما كانت الكنيسة الكاثولكية تغير صلاتها ، وتلغى الدعوة لرحمة الرب لليهود وهدايتهم ، وهى الصلاة التى عدها الأحبار معادية للسامية ، بدأت تجمعات اليهود تصلى متمنية موت المسيحيين . هناك أيضًا قوانين تمنع أى شكر أو تقدير لأعمال الأمميين . إلا حين يؤدى المدح لتقدير اليهود والأشياء اليهودية . لا يزال المتدينون يحترمون هذا القانون . فمثلاً ، حين التقت الإذاعة الإسرائيلية بالكاتب آجنون ، بمناسبة حصوله على جائزة نوبل للأدب ، امتدح الأخير المؤسسة الأكاديمية الأدبية ولكنه قال : " أنا أعلم أنه لا يحق لى مدح الأمميين ، ولكن يوجد مناسبة للمدح " . أى أنهم قدموا الجائزة ليهودى .

ومن الممنوع كذلك مشاركة الأميين أفراحهم ، إلا إذا سبب ذلك عدوانية ضد اليهود . وهناك أيضًا قوانين تمنع الصداقة بين اليهود والأمميين . فمثلاً ، لا يحق ليهودى تناول شراب شارك فيه أممى . وسبب هذا القانون هو إيمان الأحبار بأن الأمميين يصلون لأرباب أخرى ، وقد يطلبون من أربابهم مباركة الخمر الذى يشربونه ، مما يجعله محرماً على اليهودى . وهذا القانون ينطبق على جميع المسيحيين ، وبصيغة

أخـــرى على المسـلمـين ، (القنينة التى يلمسـها مسلم يمكن بيعـها أو إهـداؤها ، وإن حرم شربها) .

وحين يقرأ الاطفال من اليهود هذه القوانين ، يتعلمون باكرًا أن امتداح الأميين خطيئة ، وأنهم جميعًا كفار ملعونون ، بل إن كتب الأطفال أسوأ من التلمود ، لأنها تشرح القوانين ، وتؤثر على عقول الصغار غير المدركين . ومن هذه الكتب أختار واحداً هو الأكثر شعبية وشهرة ، وتعاد طباعته كثيرًا ، وتدعمه الدولة . واسمه كتاب التربية ، وكاتبه حبر مجهول من إسبانيا خلال القرن الرابع عشر . والكتاب يشرح الضرورات الـ (Mitzror) ٦١٣ لليهودية حسب ترتيبها فى الكتاب المقدس ، معتمداً على التفسير التلمودى . وسبب خلود الكتاب هو بساطة لغته ويسر أسلوبه .

ومن أهم أهداف الكتاب شرح معنى كلمات مثل "حديقة" "رجل" "إنسان" فى التوراة . القسم الذى نذكره يتعلق بالقاعدة : " لابد أن تحب قريبك كـما تحب نفسك" يسمى " واجب حب اليهود " ويفسره المؤلف بالشكل التالى :

أن تحب كل يهودى يعنى أن تعنى به وبماله كما نعنى بنفوسنا ومالنا . فقد كتب : " لابد أن تحب رفيقك كما تحب نفسك ". والحكماء من الأحبار يقولون : " عامل الناس كما تحب أن يعاملوك . " والكثير من الالتزامات الدينية تنتج عن هذه القاعدة . فمن يحب إنسانًا لا يسرق ماله . أو يخونه مع زوجته ، أو يسرق أرضه ، أو يلحق به أى ضرر .

أما بالنسبة للنص القائل بضرورة إبقاء العبد الأممى إلى الأبد ، وتحرير العبد اليهودى بعد سبعة أعوام ، فالكاتب يقول ما يلى :

ما يعنيه هذا القانون هو أن اليهود صفوة البشر . إذ خلقوا لمعرفة الرب وعبادته ، ولذلك يستحقون أن يخدمهم العبيد . وإن لم يستعبدوا الأمم الأخرى ، لاضطروا لاستعباد بعضهم بعضاً ، فيفقد بعضهم القدرة على تبجيل الرب المعبود . ولذلك ، يطلب منا امتلاك العبيد ، حين يعدون جيداً ويكفون عن النطق بالكفر حتى لا يكونوا خطرًا علينا . وهذا هو ما يعنيه القول :

"لا تضطهد إخوتك فى إسرائيل ، لا تقسو عليهم" . أى لا تستعبد اليهود الذين يعبدون الرب مثلك .

أما بالنسبة للقانون الذى يطالب اليهودى بالحصول على نسبة ربح من مال يعيره لغير اليهود ، يقدم الكاتب التفسير التالى :

معنى هذه الفكرة هو أنه لا يحق لنا مساعدة من لا يعرفون الرب ولا يعبدونه وحين لا نساعد من لا يستحق المساعدة ، نجتاز الاختبار ونحقق ما يريده الرب – عظم قدره – منا . وبذات الطريقة ، يساعدنا الرب حين نحتاجه ، ولا يساعد الأمم الأخرى.

يفرق الكتاب كذلك بين اليهود وغيرهم فى عدة فقرات أخرى . حين يشرح مثلاً منع عدم دفع مرتبات الموظفين متأخرة ، يؤكد أن الخطيئة أقل سوءاً إن كان تطبيقها على غير اليهود . والقانون الذى يمنع اللعنة : " لا تلعن أى يهودى ، رجلاً أو امرأة " وكذلك ، فالقوانين ضد تقديم النصيحة ، كراهية الآخرين ، تحقيرهم أو الانتقام منهم ، تطبق فقط على اليهود . أما القانون ضد تقليد طباع غير اليهود ، فلا يعنى فقط " الابتعاد عنهم " بل " ذم طباعهم وسلوكهم والسخرية منهم" .

ومن الضرورى التأكيد على أن هذه التفاسير تقدم صورة واقعية لتعاليم تلمودية . الأحبار والمدافعون عن اليهودية يعرفون هذا، ولذلك لا يحاولون انتقاد هذه الأفكار فى وسط التجمعات اليهودية . ولكنهم ينتقدون بقسوة كل يهودى يناقش هذه القضايا مع الأمميين ، وينكرون وجود هذه الأقوال إن تحدثوا عنها . مثلاً ، يؤكدون أن اليهودية تحث على الرحمة – وينسون أن الرحمة تتحقق فى التعامل مع اليهود فقط .

وأى فرد يحيا فى إسرائيل يعرف مدى شيوع القوة والوحشية فى التعامل مع غير اليهود . عادة تم إخفاء هذه المشاعر ، ولكن منذ عام ١٩٦٧ ، وصعود بيغن للسلطة، بدأ البعض يتحدثون بهذا الشأن . مثلاً ، من يستغلون العمالة العربية يقولون فى التليفزيون إن العمل القاسى نصيب الأمميين . مجموعة جوش إيمونيم تتحدث عن ضرورة اضطهادهم ، وتستخدم القوانين التلمودية لتبرير خططها لطرد العرب من فلسطين .

وحتى الصهاينة الذين يرفضون هذه القواعد لا يتصرفون حسب أسس أخلاقية إنسانية ، بل حسب المصلحة . فمثلاً ، يدعون أن استغلال الفلسطينيين سيفسد المجتمع اليهودى ، أو أن تهجير الفلسطينيين غير عملى فى الظروف الحالية ، أو أن الأفعال الإرهابية ضد الفلسطينيين تعزل إسرائيل عمن حولها . ولكن جميع الأحبار فى الواقع يشاركون اليهود التقليديين كراهية الأجانب ، الأمميين .

رؤية اليهود للمسيحية والإسلام :

تحوى اليهودية كراهية عميقة للمسيحية ، وجهلاً بشئونها . وقد ساءت الأوضاع بسبب سوء معاملة المسيحيين لليهود ، ولكن جذور هذه النزعة تعود لأوقات حين اضطهد اليهود المسيحيين . ولهذه النزعة سببان : فأولاً : توجد كراهية اليهود للمسيح (عيسى عليه السلام) والفكرة اليهودية عن المسيح لا ترتبط البتة بالنقاش الحالى بشأن المسئول عن قتله . فليس من الحق معاقبة يهود اليوم على ما حدث منذ ألفى عام. ولكن القضية هى التهجم القاسى على المسيح فى التلمود والتفاسير التلمودية ، والتى لا يزال كثيرون يؤمنون بها حتى يومنا هذا فى إسرائيل . فهذه المعلومات لعبت دوراً أساسياً فى تكوين وجهة النظر اليهودية تجاه المسيحية .

حسب ما يقوله التلمود ، فإن محكمة الأحبار قامت بصلب المسيح بسبب الحث على الزنا ، وعلى عدم إطاعة الأحبار ، إذ قال " من كان منكم بلا خطيئة" . . لا يوجد أى ذكر للرومان بهذا الشأن . أما النصوص العبرية الأخرى ، مثل نص تولدوت يسبو، فتتهم المسيح بممارسة السحر كذلك . وهكذا بات اسم المسيح رمزاً لكل ما هو شرير ، وهذا التراث لا يزال موجوداً فى عصرنا . أما الأناجيل ، فهى لا تقرأ فى المدارس فى إسرائيل حتى يومنا هذا . كذلك ، ولأسباب دينية ، وبسبب الجهل ، اعتبر الأحبار المسيحية نوعاً من أنواع الإلحاد . فهم يرفضون فكرة التثليث والنبوة الربانية . وجميع أفكار ورموز المسيحية تعتبر " أصناماً " - حتى من قِبَل اليهود الذين يعبدون وثائق قديمة وأحجار وملكيات " رجالٍ مقدسين " .

رؤية اليهودية للإسلام مقبولة نسبياً . مع أن الأحبار اتهموا النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) بالتسرع فى تفكيره وتصرفه " متهوجا " حين تعامل مع يهود

الجزيرة العربية ، إلا أن الكلمة مقبولة بالمقارنة مع ما قالوه عن المسيح . [1] وهم أيضًا لا يطالبون بحرق القرآن ، وإن اعتبروه مجرد كتاب اعتيادى . غالبية الأحبار لا يعتبرون الإسلام ديانة إلحادية . ولذلك يعتبر الأحبار المسلمين " أمميين عاديين " ، ولا يعاملونهم بالحسنى أو بالشر . وموسى بن ميمون يستشهد بأقوال فلاسفة الإسلام ، ويحترمهم . وقد كان طبيبًا خاصًا لصلاح الدين ، كما ذكرنا سابقًا، وجعله الأخير الحبر الأكبر على يهود مصر . ومع ذلك ، فهو يؤكد القانون ضد إنقاذ حياة غير اليهود (إلا فى أحوال التقية) .

(١) الواقع هو أن اليهود لم يحترموا الحقوق ، بل خرقوا المواثيق ، فى تعاملهم مع الرسول عليه الصلاة والسلام . ولذلك ما كان متسرعًا ، حين اضطر فى نهاية المطاف لإبعادهم عن المدينة ، تخلصًا من شرهم ، وما سببوه للمسلمين من أذى بخداعهم وجشعهم . بل كان عليه الصلاة والسلام دومًا حليمًا صبورًا رءوفًا بهم .

الفصل السادس

النتائج السياسية - تداعيات ما حدث خلال ثلاثة آلاف عام

طرق تفكير اليهودية الكلاسيكية تجاه غير اليهود أثرت كثيراً على الصهاينة ، الذين يؤثرون بدورهم على دولة إسرائيل . منذ عام ١٩٦٧ ، باتت سياساتها تتأسس على العقائد ، لا المصالح فحسب . وتأثير العقائد هذا لا يلاحظه الأجانب المختصون ، الذين كثيراً ما يتجاهلون دور الديانة اليهودية فى سياسات إسرائيل . وهذا هو سبب الاستنتاجات الخاطئة التى يقدمونها مراراً .

الواقع هو أن الدين خلق مشاكل سياسية لإسرائيل أكثر من أى عامل آخر . المساحة التى تحتلها النقاشات الدينية ، سواء بين الأحزاب الدينية المختلفة ، أو بين المتدينين والعلمانيين ، فى الجرائد العبرية ، تفوق أى قضية أخرى ، إلا فى أحوال الحروب أو حين يتم تهديد الأمن . أثناء كتابة هذا النص فى أغسطس ١٩٩٣ ، طرحت الأسئلة التالية على صفحات الجرائد : هل يمكن دفن الجنود الإسرائيليين الذين يقتلون فى المعركة مع اليهود ، حتى وإن كانت أمهاتهم غير يهوديات ؟ وهل يحق للمسئولين عن الدفن تطهير الميت قبل دفنه – وإن لم يكن قد طهر أثناء طفولته (بدون مساعدة أسرته) ؟ قضايا مثل هذه تهم الرأى العام اليهودى أكثر من التفاوض مع الفلسطينيين .

فشلت مساعى قلة من السياسيين الإسرائيليين فى تجاهل العقيدة اليهودية والاهتمام بمصلحة الدولة فحسب . فى أوائل عام ١٩٧٤ ، بعد نكسة حرب أكتوبر ، سعت إسرائيل لإضعاف تأثير مؤسسة التحرير الفلسطينية ، التى لم تعترف بها الدول العربية بعد كممثل شرعى وحيد للفلسطينيين . وقد قدمت إسرائيل فكرة تشجيع التأثير الأردنى فى الضفة الغربية، وتقرر الاحتفال بعيد ميلاد الملك الأردنى الحسين برفع

أعلام الأردن . ولكن المستوطنين – الذين كانوا قلة آنذاك – سمعوا بالفكرة فهددوا جولدا مائير وديان بمظاهرات قوية، لأن رفع علم دولة « غير عبرية » فى إسرائيل يتعارض مع المبدأ المقدس القائل بأن هذه الأرض ملك لليهود فحسب . وهكذا خضعت الدولة لمطلب صهيونى ، ووافق الملك الحسين على الاعتراف بمنظمة التحرير كهيئة شرعية تمثل الفلسطينيين . وحتى اليوم تؤثر النقاشات الدينية على المفاوضات الفلسطينية أكثر من أى عامل آخر .

يقول اللورد كرومر: " لا نحكم دولة ، بل نحكم حكام الدولة " . ولكن العقيدة اليهودية ترفض الاعتراف بفكرة كهذه . فعقيدة تحرير الأرض تعنى أنه يجب تحرير ١٠٠٪ من الأراضى الفلسطينية بحيث يملكها يهود . وحتى فكرة حكم عمدة محلى غير يهودى داخل إسرائيل مرفوضة من حيث المبدأ . ولذلك لا تتراجع إسرائيل عن أرض محتلة بسهولة . خسارة أعداد كبيرة من الجنود ، فى حرب ١٩٧٣ ، ومعارك ١٩٨٣ – ١٩٨٥ فى لبنان ، أدت لانسحاب إسرائيل لأن للحياة اليهودية قداسة دينية . المستحيل هو أن تسمح إسرائيل بخلق دولة غير يهودية على أرض الدولة اليهودية لأسباب سياسية .

والعقيدة اليهودية تؤثر أيضًا على غالبية اليهود خارج إسرائيل . ولليهود الأمريكان – بالذات – تأثير كبير على سياسات الدولة الإسرائيلية، لأنهم يقدمون لها المساعدات بشكل دائم . أما الصورة الشائعة فى العالم عن إسرائيل ، فهى مشوهة تمامًا .

لا تؤيد الولايات المتحدة إسرائيل لمصالح مشتركة فحسب ، بل إن التأثير القوى للتجمعات اليهودية فى الولايات المتحدة وتشجيعها لجميع سياسات إسرائيل يشرح الكثير من أسرار سياسات أمريكا فى الشرق الأوسط . وهذه الظاهرة أكثر وضوحًا فى كندا ، التى لا تعتبر من الدول المعنية بالشرق الأوسط ، وإن فاق تعاطفها مع إسرائيل الولايات المتحدة ذاتها . فى دول أخرى مثل : بريطانيا وفرنسا ، تقدم التجمعات اليهودية الدعم لإسرائيل بذات الإخلاص الذى قدمته الأحزاب الشيوعية للاتحاد السوفيتى قبل انهياره . كذلك ، نلاحظ أن اليهود الذين يدافعون عن حقوق الإنسان فى كل مكان يغيرون مواقفهم حين يتعلق الأمر بإسرائيل . بل إن الإسرائيليين يلاحظون أن اليهود فى الخارج أكثر وطنية وعنصرية من يهود إسرائيل . ونذكر وضع اليهود فى أمريكا كمثال .

ما هو سبب ظهور النزعة العنصرية بين يهود الولايات المتحدة ؟ لنلاحظ أولاً شيوع نوادٍ يهودية لا يسمح لغير اليهود بدخولها . والغريب أنهم يبحثون عن أى نادٍ لا يسمح بدخول اليهود ويتهمونه بمعاداة السامية . اليهود المنظمون ، وأولئك الذين يقضون معظم وقتهم مع غيرهم من اليهود ، يسيرون على خطى اليهودية الكلاسيكية . وإن لم يستطيعوا التعبير عن مشاعرهم الحقيقية فى دولة لا يزيد تعدادهم فيها عن ٣٪ من سكانها ، فهم يعبرون عن هذه المشاعر عبر تشجيعهم للدولة اليهودية .

وهل توجد طريقة أخرى لتفسير تحمس الأحبار لقضايا السود فى أمريكا ، وتجاهلهم لحقوق الإنسان الفلسطينى ؟ فالسود كذلك ليسوا يهوداً . الإجابة سهلة : فاليهودية الكلاسيكية كما أوضحنا أعلاه استبدادية . وهكذا يشجع اليهود السود ويتحمسون لقضاياهم ، بطريقة توازى تحمس ستالين لقضايا السود فى جنوب أفريقيا . بل إن حكومة جنوب أفريقيا على الغير ، ولا نتوقع من مجموعتنا الالتزام بها . اهتمام أى يهودى بحقوق الإنسان وتجاهله لمعاناة الفلسطينيين ، يدل على النفاق . دفاع اليهود عن السود دافعه المصلحة الذاتية فحسب .

وهكذا فإن الاختبار الحقيقى لليهود فى داخل إسرائيل وخارجها يتطلب انتقاد الذات ودراسة الماضى . وأهم ما فى هذا النقد هو دراسة رؤية اليهود لغير اليهود . اليهود يطلبون من غير اليهود دراسة ماضيهم وفهمه والاعتراف بما عانوه من اضطهاد . ولكن خلال الأربعين عاماً الأخيرة ، قتل اليهود أعداداً من غير اليهود تفوق بكثير قتلى اليهود . الاضطهاد والتفرقة ضد غير اليهود من سكان الدولة العبرية كذلك تفوق ما يلاقيه اليهود من تفرقة فى أى دولة تعاديهم . وإن بقى الصراع ضد معاداة السامية ضرورياً ، فإن الصراع ضد العنصرية اليهودية مهم كذلك ، بل وقد يكون ضرورة حالياً .

ثانيًا : "المخادعة الصهيونية"

ولبر سنسر

تمهيد

هذه الدراسة [1] – بقلم المؤرخ اليهودى ولبر سنسر – تقدم باختصار التاريخ القاتم للحركة الصهيونية . المؤلف يطنب فى الحديث عن النزعة العنصرية فى هذه الحركة ، ويستشهد بأقوال هرتزل نفسه لإثبات صحة هذه الفكرة . وهو أيضًا يذكر نص وعد بلفور ، ويحلل الظروف التى صدر فيها ، موضحًا كيف صاغه الصهاينة ، ولماذا وافق البريطانيون على إصداره . وهو أخيرًا يتحدث باختصار عن تواطؤ الحركة الصهيونية مع الفاشية فى أوائل القرن الماضى . إنها دراسة مختصرة تشمل رءوس أقلام لمواضيع كثيرة سيتم شرحها بتفصيل أكثر لاحقًا فى هذا الكتاب .

المخادعة الصهيونية

يتصور الناس أن الصهيونية حركة إيجابية إنسانية . وهذا مفهوم . عشرات الأعوام من الدعاية الإعلامية صورت الصهيونية كأنها حركة تقدمية حديثة جلبت إلى أرض خراب . هذا البحث سيكشف حقيقة التاريخ الصهيونى : إذ سنوضح الحقائق ونكشف الطبيعة الحقيقية لهذه الحركة .

(١) Zionist Fraud. By: Wilber Sensor والدراسة موجودة فى موقع فى الإنترنت – هو – : Http:/www. co-doh.com وعنوان هذه المؤسسة هو : Codoh. Mcd p-111, Po : 39016 San Diego. Ca, 92143

حركة تؤمن بعدم مساواة اليهودى والأممى :

الصهيونية حركة عنصرية . حزن مؤسس الحركة ، ثيودور هرتزل ، حين عرف مدى معاداة السامية فى فرنسا . ولذا اعتقد أن فصل اليهود عن باقى الأمم وجمعهم فى أمة خاصة هو الحل الوحيد للمشكلة اليهودية . وقد أوضح هرتزل آراءه فى كتاب **الدولة اليهودية** ، يقول :

> **القضية اليهودية حقيقة واقعة ، ومن الخطأ تجاهلها . المشاكل التى يعانيها اليهود موجودة فى أى دولة عاشوا فيها بأعداد كبيرة . إن لم توجد ، فستأتى معهم ساعة مجيئهم . أفهم معاداة السامية ، وهى قضية معقدة . أحلل معاداة السامية من وجهة نظر يهودية ، ولكن بدون كراهية أو خوف . أعرف أن معاداة السامية تحوى الكثير من السخرية السانجة ، الحسد الاقتصادى ، العنصرية الموروثة ، انعدام المرونة ، ولكن أيضًا بعض ما يعتبر حقًا مشروعًا هو الدفاع عن النفس .**
>
> **معاداة السامية تنمو كل يوم ، كل ساعة ، بين الناس ، وستبقى وتزداد قوة إذا ما بقيت مسبباتها ، ولم يمكن التخلص منها .**
>
> **أما السبب البعيد فهو خسارة حدثت فى العصور الوسيطة حين لم يسمح المجتمع لليهود بالاندماج فى صفوفه . وهكذا بقى النشاط اليهودى خارج المجتمع ، فكوّن اليهود الأحزاب السياسية ، وامتلكوا القدرة الاقتصادية التى لا تزال تزداد يومًا بعد يوم .**
>
> **ألم يقولوا إننا نضع السلاح فى أيدى أعداء السامية ؟ لماذا ؟ لأننا نعترف بالحقيقة ؟ لأنى أعرف أن هناك بيننا بعض الأشرار؟**

القضية وطنية . لابد لنا من تحويل القضية اليهودية إلى قضية سياسية دولية .. نحن شعب . الدولة اليهودية ضرورة دولية ، ولذلك ، ستتكون هذه الدولة .

نريد جزءًا من الأرض يكفى لشعبنا .

لا يوجد قوى ، أو ثرى ، يقدر على نقل شعبًا بأسره من مكان إلى آخر . فقط الفكر يستطيع ذلك . فكرة الدولة سيكون لها القوة اللازمة .

لن تنتج مشاكل اقتصادية ، أزمات ، أو اضطهاد ، عن سفر اليهود ، بل عصر ذهبى فى البلاد التى يتركونها . المسيحيون سيحتلون الأماكن الفارغة بجدارة . التحول سيحدث بشكل مرحلى ، ويكون النهاية لمعاداة السامية .

اليهود يتركون البلاد التى أقاموا بها كرفاق . إن عادوا ، فالمدن المتحضرة ستتقبلهم وتعاملهم كما يعاملون سكان أى دولة أخرى.

وهذه الهجرة ليست فرارًا ، بل انسحابًا منظمًا ، يعرف الناس بحدوثه . الحركة قانونية تمامًا ، ويمكن تحقيقها بمعونة حكومات الدول الصديقة ، التى ستستفيد من ذلك كثيرًا .

كما توضح هذه الفقرات ، الصهيونى يؤمن بوجود مشكلة يهودية . لا يوجد أى صهيونى ينكر هذه المسلّمة الفلسفية :

إن لم نعترف بوجود معاداة السامية وأسبابها ، سننكر حقوق الشعب اليهودى القومية. أيضًا إن استحق أبناء شعبنا الحياة فى وطن خاص بهم ، فذلك يعنى أنهم جسد غريب يلح على أن تكون له هويته الخاصة . نتفهم ، إذًا ، معاداة الشعب الآرى لليهود . بدلاً من تكوين مجتمعات للذود عن ذواتنا ضد معاديى السامية الذين يريدون تقليص حقوقنا ، لابد لنا من تكوين مجتمعات للدفاع عن رفاقنا الذين يريدون الدفاع عن حقوقنا فى المجتمعات التى نحيا فى وسطها . (يعقوب كلاتزكن ، الموسوعة اليهودية).

حركة لم تعترف بسكان الأرض التي أرادت احتلالها :

يدعى الصهاينة أن فلسطين كانت أرضًا بلا شعب قبل مجيئهم إليها . ومن السهولة بمكان كشف حقيقة هذا الموضوع . إذ كتب وزير الخارجية البريطانية ، لورد كورزن ، فى ٢٨ أكتوبر ١٩١٧ ما يلى :

ما هى توقعاتنا بالنسبة لسكان فلسطين خلال الأعوام القادمة ؟ وماذا سيحل بها إن تحررت من طوق الأتراك ، وبقى السكان على قيد الحياة ؟ هناك حاليًا نحو نصف مليون فرد ، منهم العرب السوريون ، ومجتمع مختلط يحوى العرب ، اليهود ، الكنعانيين ، الإغريق ، المصريين ، وبعض الأجانب . وهم أصحاب الأرض ، التى يملكها الإقطاعيون ، أو تكون مشاعًا لسكان القرى ، وأكثرهم مسلمون . ولن يتقبلوا المزيد من المهاجرين اليهود ، أو يرضوا بخدمتهم .

وقد كانت فلسطين فى بدايات الحركة الصهيونية جزءًا من الإمبراطورية العثمانية التركية . حاول هرتزل التفاوض باسم الصهيونية مع السلطان العثمانى . وهذه المفاوضات أثبتت أن الصهاينة عرفوا أن لفلسطين شعبًا يحيا عليها .

حين تحدث هرتزل مع السلطان عبد الحميد ، لم يفكر البتة بتهجير العرب من فلسطين وتركها لليهود . بدا وكأنه غير مدرك فى حساباته بوجود شعب يسكن عليها . بحسن نية ، لم يحسب لسكان البلد الأصليين أى حساب . (ليونارد شتاين ، الصهيونية) .

هل هناك ما هو أغرب من هذا ؟ ترسم خطط واسعة تحدد أقدار آلاف بل ملايين الناس ، ولكن الرجل الذى رسم هذه الخطط لم يفكر حتى فى فحص أوضاع الأرض التى يود تحقيق خططه فيها . ولا ينبهه أىٌّ من رفاقه إلى خطئه .

عامًا بعد عام اجتمعت الحركات الصهيونية .. لم يتحدث أى فرد بشأن الفلسطينيين فى أى من هذه المؤتمرات .

تم تكوين تسع عشرة مستوطنة إسرائيلية فى فلسطين قبل العام ١٩٠٠ . وكل هذه المستوطنات سكنها أفراد تعاملوا مع العرب بشكل دائم ، وتراسلوا مع الصهاينة فى أوروبا وأمريكا .

عرف الصهاينة جيداً ظروف العرب فى فلسطين وردود أفعالهم على الأوضاع الموجودة فيها .

" الاستنتاج الوحيد هو أن الصهاينة ما رأوا فى العرب إلا عائقًا ، وتجاهلوا وجودهم " . (فلسطين ، الحقيقة ، جيفرز ، ص. ٤٠ - ٤٢) .

حركة تتناسى التزاماتها السابقة :

باستثناء الطمع فى أراضى الآخرين ، تتميز الصهيونية بتجاهل وعودها السابقة. حارب العرب مع بريطانيا فى الحرب العالمية الأولى ضد الأتراك . إذ وعدتهم بريطانيا بالتحرر فى دولة موحدة إن انتصرت فى الحرب . وقد كتب السيد هنرى مكماهون ، المسئول البريطانى فى مصر ، هذا الوعد البريطانى للعرب فى رسالة بتاريخ أكتوبر ٢٥ ، ١٩١٥ إلى الشريف حسين فى مكة .

> **محافظات مثل مرسينا والإسكندرونة وأجزاء من سورية الغربية لا تعتبر عربية ، ولذلك نستثنيها من الأراضى التى نقترحها . مع هذه التغييرات ، وبدون إغضاب رؤساء القبائل التى تعاقدنا معها، نوافق على هذه الحدود . بريطانيا العظمى مستعدة للاعتراف ومساعدة العرب على الاستقلال ضمن الحدود التى ذكرها الشريف المكى . (فلسطين الحقيقة . ص . ٧٦) .**

تظاهر السياسيون البريطانيون بأن الوعد الذى قدمه السيد هنرى مكماهون لا يشمل فلسطين . ولكن وثيقة سرية بشأن التزامات بريطانيا تجاه الملك حسين تذكر ما يلى :

> **فلسطين تعتبر جزءاً من الأرض التى ذكرتها رسالة السيد هـ . ماكماهون إلى الشريف حسين فى ٢٥ من أكتوبر ١٩١٥ .**

أما ادعاء اليهود بحقوقهم فى فلسطين فتستند إلى رسالة آرثر بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ التى وعدت بالمساعدة البريطانية لتكوين وطن لليهود فى فلسطين . وقد أرسلت هذه الرسالة بعد عامين من وعد هنرى مكماهون فى ٢٥ أكتوبر ، ١٩١٥ .

حركة قامت بتعريف نفسها :

المكتب الخارجى .

٢ نوفمبر ، ١٩١٧

سيدى اللورد روتشايلد :

يسعدنى أن أبعث لكم ، باسم الحكومة البريطانية ، تعاطفنا مع الطموحات الصهيونية اليهودية التى أقرها مجلس الوزراء .

" نتطلع بعين الرضا لتكوين وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وسنسعى جاهدين لتسهيل تحقيق هذا الهدف ، وإن كنا نؤكد على الحقوق السياسية والدينية لغير اليهود من سكان فلسطين حاليًا ، أو على الحقوق والأوضاع السياسية التى يتمتع بها اليهود فى البلاد الأخرى .

وهذه الوثيقة هى نص التمليك الذى زرع إسرائيل فى الشرق الأوسط . وهى أسوأ نص قدمته قوة عظمى فى التاريخ . إذ كتبها الذين تلقوها وكانت ثمنًا لاستغلال سياسى مشين .

لم تتخل بريطانيا عن وعدها للعرب بسبب اهتمامها " بوطن قومى لليهود . " السبب الأساسى ذكره ديفيد لويد جورج ، رئيس وزراء بريطانيا أثناء الحرب :

ليس هناك دليل أكثر وضوحًا على ضرورة وعد بلفور من سعى ألمانيا للتفاوض مع الأتراك بحثًا عن خطة بديلة سيتقبلها الصهاينة . تكون المجتمع الألمانى اليهودى ، وفى يناير ١٩١٨ ، وعد طلعت ، وزير الخليفة العثمانى ، بمساعدة اليهود فى تحقيق متطلباتهم الشرعية فى فلسطين .

من الأسباب التى دفعت بدول التحالف إلى تقبل الوعد أوضاع روسيا . فاليهود الروس وقفوا فى صفنا منذ البداية ، وشعرنا أن وعد بلفور سيبقيهم معنا .

أدركنا أيضًا أن لمثل هذا الوعد تأثيرًا قويًا على يهود العالم خارج روسيا . فى الولايات الأمريكية ، كان تأثير اليهود فعالاً فى سوق الذهب . وهذه كانت الظروف الأساسية التى دفعت بريطانيا لتقديم وعد بلفور عام ١٩١٧ . (مذكرات ديفيد لويد جورج ، ٧٢٦) .

مصادر عديدة تؤكد أفكار السيد لويد جورج ، خصوصًا كتاب السيد ساموبل لاندمان " بريطانيا العظمى ، اليهود وفلسطين" . والمؤلف هنا صهيونى معروف وصل إلى مرتبة سكرتير المؤسسة الصهيونية فى المملكة المتحدة فى عام ١٩١٢ ، وهو رئيس تحرير مجلة الصهيونى ١٩١٣ - ١٩١٤ . وجهة نظره رسمية ، وهى تطابق تمامًا فكر لويد جورج:

السيد جيمس أ. ملكولم اتخذ القرار ، لإقناع السيد مارك سايكس ، وهو سكرتير وزارة الحربية ، وبعد ذلك السيد جورج بيكو ، فى السفارة الفرنسية فى لندن ، والسيد جوت المسئول عن أوضاع الشرق بأن الطريقة الوحيدة لإقناع رئيس أمريكى بدخول الحرب هى كسب تعاطف اليهود الصهاينة عن طريق وعدهم بفلسطين ، وبهذه الطريقة تم تنشيط القوى الصهيونية الموجودة فى الولايات الأمريكية وفى كل مكان آخر .

إن وعد بلفور تعاقد بين الحكومة البريطانية واليهود . مسئولية اليهود هى إقناع الرئيس ولسن بمساعدة الحلفاء . (بريطانيا ، اليهود وفلسطين ، ٣ - ٦) .

وهكذا خان البريطانيون حلفاءهم فى الحرب ، وهم العرب ، والتزموا بالصهاينة الذين تعهدوا بجلب الولايات المتحدة إلى صف بريطانيا .

الواقع هو أن بلفور لم يكتب هذا العهد الذى عرف به . فقد كتبه الصهاينة البريطانيون والأمريكان عدة مرات ، وحين اتفقوا على الصيغة الملائمة ، قدموها إلى بلفور الذى نشرها باسمه . السياسيون ، مثل روبرت سيسيل ، قاموا ببعض

التعديلات. أما كاتب النص الأساسي ، فهو الأمريكي الصهيوني مدرس جامعة هارفرد، فلكس فرانكفورتر ، وكتب النص في مؤتمر باريس للسلام عام ١٩١٧ .

حركة تعهدت بالمساواة ، ثم لم تلتزم بتعهداتها :

تعهد الصهاينة بالمساواة في معاملة العرب موجود في وعد بلفور ذاته . وهذا التعهد نتج عن سعي الكثير من الأفراد لشهور ، وكان الخداع هدفه الأساسي .

إن هذه الوثيقة لا تحوي جملاً ، بل فنًا كتابيًا . انتقلت مسودات النص بين أوربا والولايات عدة مرات ، ودرسها عدة أفراد بدقة ، ولم تضف كلمة إلا بعد تفكير وتروٍّ . وأخيراً ، بعد أن رفض النص ، وأعيدت صياغته عدة مرات ، اختيرت الكلمات . لا يوجد في التاريخ نص تطلب جهداً أكبر ، ، ودقة أكثر في صياغة كل كلمة من هذا الوعد .

كل ما في هذا النص درس بدقة ، ووضع بحذر . لا توجد أي أخطاء ، أو أحداث عابرة ، أو سوء فهم . أي إبهام أو غموض هنا متعمد . إن هذا النص ليس سوى خداع متعمد ومدروس .

بعض الأمثلة على الخداع الموجود في الوعد تكفي : النص يؤكد مثلاً على حقوق غير اليهود من المواطنين المقيمين في فلسطين . الواقع هو أن تسعين في المائة من سكان فلسطين حين قدم الوعد كانوا من غير اليهود . النص حوَّلهم منذ البداية ، عن طريق التظاهر بالدفاع عن حقوقهم ، إلى أقلية . النص يسميهم " غير اليهود في فلسطين " . النص يسمي الـ ٦٧٠٠٠٠ أقلية ، ويعتبر الـ ٦٠٠٠٠ يهودي أغلبية . النص يتحدث أيضًا عن الحقوق المدنية ، ولكن ما هي هذه الحقوق ؟ النص لا يحدد أي شيء .

حين وصل الصهاينة إلى فلسطين ، أوضحوا طبيعة العلاقة بينهم وبين العرب . السلطات الحكومية في فلسطين ما بين عامي ١٩١٨ – ١٩٢٠ كانت بريطانية . ولكن السلطات الصهيونية تنافست مع البريطانيين في السيادة . أما العرب والبريطانيون ، فاتجاهاتهم كانت – حسب ما ذكر الحاكم العسكري البريطاني – لويس بولز ، كالتالي

يبدو واضحًا لى أن الصهاينة ينافسوننى فى كل مجال يفترض أن لى الحق فى السيطرة عليه . وأنا أشعر بأن هذا الوضع خطر للغاية على السلام العام وعلى رأى الناس فى السلطة البريطانية. لا فائدة تذكر من محادثة المسلمين والمسيحيين بشأن احترامنا لتعهداتنا . الحقائق تؤكد العكس ؛ فقد باتت اللغة العبرية من اللغات الرسمية ، وتأسست محاكم يهودية ، وباتت علاقات الصهاينة وثيقة بالسلطة . حقوق السفر المتاحة للصهاينة أكدت لغير اليهود من السكان أننا نتعاطف مع طرف أكثر من الآخر . أما الصهاينة ، فيتهموننا بمعاداتهم . الوضع لا يحتمل ، ولابد لنا من مواجهته .

وقد احترمنا أوامر قياداتنا ، واعتبرنا فلسطين منطقة محتلة ، ونفذنا القوانين العسكرية ، ولكن كل هذا ما كفى الصهاينة ، الذين يطالبون بالمزيد من التأييد كل يوم . يقولون إنهم يريدون وطنًا ، ولكنهم فى الواقع يريدون دولة يهودية . ولذلك أحض ، باسم السلام ، والتقدم ، على إيقاف سلطات الصهاينة فى فلسطين . " (فلسطين الحقيقة ، ١٧٥) .

حركة تتنكر لمن دافع عنها ...

كان هدف الاستعمار البريطانى هو حماية الصهاينة من العرب . السيد فلاديمير جابوتنسكى يوضح هذا فى خطاب ألقاه عام ١٩٢٣ بعنوان " الإرادة الحديدية : نحن والعرب

الاستيطان الصهيونى سيتوقف ، أو يستمر بدون موافقة السكان الأصليين . وهذا الاستيطان قادر على النمو فقط إن حمته قوة عظمى ، لا ترتبط بالسكان المحليين . إرادة حديدية ، تقف فى مواجهة السكان المحليين . وهذه هى سياستنا نحو العرب .

يستحيل الاتفاق معهم الآن أو فى المستقبل . إن أردت استيطان بلد يعيش فيه الناس ، فلابد من معسكر ، أو رجل ثرى ينشئ المعسكر . أو أوقف المشروع الاستيطانى . فبلا قوات مسلحة تحمى هذا الاستيطان ، يصير تحقيقه مستحيلاً ، لا خطر ، أو صعب ، بل مستحيل . الصهيونية مغامرة استيطانية ولذلك تنجح أو تفشل على أساس القوة المسلحة . من الضرورى معرفة العبرية ، ولكن مع الأسف الأكثر أهمية هو القدرة على إطلاق النار ، أو لا داعى للسعى للاستيطان" .

أدرك البريطانيون بسرعة أنهم خلقوا لأنفسهم مشكلة كبيرة حين حموا الصهيونية . الثورات العربية عام ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ، ١٩٢٩ ، و ١٩٣٦ - ١٩٣٩ جلبت لجان التحقيق البريطانية التى أكدت جميعًا أن سبب التوتر فى فلسطين هو الهجرة اليهودية إلى بلد يسكنها العرب . فى عام ١٩٣٧ توصلت لجنة تحقيق يقودها اللورد بيل ، إلى أن الحل هو تقسيم فلسطين إلى دولتين ، دولة عربية ، ودولة يهودية ، تحمى بريطانيا المنطقة الفاصلة بينهما . وافق الصهاينة بامتعاض على الفكرة ، ورفضها العرب . منذ هذه اللحظة ما عاد للبريطانيين أى فائدة للصهاينة .

وفى عام ١٩٤٤ بدأت مجموعة صهيونية تدعى أرجون حرب عصابات لطرد البريطانيين من فلسطين . أفعال هذه العصابة شملت قتل الجنود البريطانيين ، نهب المواقع العسكرية ، واغتيال المسئول البريطانى فى مصر ، تفجير فندق الملك ديفيد فى القدس ، إلخ ، حتى ترك الجيش البريطانى فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨ .

حركة تواطأت مع ألد أعداء اليهود :

اعتمدت الصهيونية على فكرة أساسية مفادها استحالة التعايش بين اليهود والأمم الأخرى . ولذلك استطاعت التحالف مع مجموعة أخرى اشتركت فى ذات الفلسفة ، وهى النازية . وقد بدأ التواطؤ منذ تكون نظام هتلر . اتفاقية هافارا ، تعود إلى عام ١٩٣٣ ، وبواسطتها ، تم نقل ١٠٪ أو حوالى ٥٠٠٠٠ - ٦٠٠٠٠ من يهود ألمانيا البالغ عددهم ٥٠٠٠٠٠ - ٦٠٠٠٠٠ . وهذه الاتفاقية ساعدت الصهاينة على تهجير اليهود إلى إسرائيل ، وإخراجهم من ألمانيا ، كما أراد هتلر . وقد شجع هتلر

الحركة الصهيونية . ونشرت مقالات كثيرة تمتدح الصهيونية فى الإعلام الألمانى . العلم الوحيد الذى رفع فى ألمانيا باستثناء العلم الألمانى كان العلم الصهيونى . وكذلك ، وجدت معسكرات خاصة لتدريب اليهود على العمل الزراعى فى فلسطين .

حاييم وايزمان ، الرئيس المستقبلى لإسرائيل رفض فكرة ربل - شاخت ، لإخراج جميع يهود ألمانيا خلال خمسة أعوام . وقد رفض الخطة لأنها أتاحت لليهود اختيار المكان الذى سيرحلون إليه . فضّل أن يبقى اليهود فى ألمانيا بدلاً من السفر إلى أى بلد يختارونه . وهذه الأفكار ذاتها كررها غريمه السياسى ، بن جوريون :

> **إن عرفت أنى أستطيع إنقاذ جميع أطفال اليهود فى ألمانيا عن طريق نقلهم إلى بريطانيا أو نصفهم عن طريق نقلهم إلى إسرائيل، لاخترت الخيار الثانى . فنحن لا نحسب فقط حياة الأفراد ، بل تاريخ اليهود فى العالم .**

حركة ترفض التعاون مع العالم بل تطلب خضوعه لأوامرها :

الصهيونية لم تعتمد على الإقناع ، إقناع العرب ، أو اليهود فى مجتمعاتهم العالمية ، التى رفض الكثير منها الحركة ، ونبهوا لمخاطرها . الصهيونية طلبت من الجميع الخضوع .

وقد تجاهلت الصهيونية مساعى بريطانيا لتحديد أعداد المهاجرين ، وقرارات الأمم المتحدة بإعادة الأراضى المحتلة ، وأبقت المستوطنات المنشأة فى الضفة الغربية . وهى ليست حركة ديمقراطية لأن أساسها هو فكرة عرقية ، وبعض أفكار التنسك اليهودى .

وقد زورت الصهيونية قضيتها . حيث استخدمت الخداع ، والعنف ، والتخويف ، والإرهاب ، كسرت وعودها ، لتحقيق أهدافها . وانضمت إلى صف الشيطان ، وهى ترتدى أثواب الملائكة .

ثالثًا : « الإرهاب الصهيونى المقدس :

دراسة تعتمد على يوميات

موسى شارت ومخطوطات أخرى»

ليفيا روكاش

تمهيد

تعتمد دراسة ليفيا روكاش [1] على نص يوميات وزير خارجية إسرائيل وأحد رؤساء وزرائها خلال النصف الأول من الخمسينيات . وشارُت يعتبر من الحمائم فى الحكومة الإسرائيلية ، . أى أنه أراد الوصول لأغراض الصهيونية ، ولكن عن طريق المفاوضات والدبلوماسية والضغوط الاقتصادية ، بدون استخدام العنف . ولذلك أسقطه الجناح الآخر ، الداعى للعنف ، بقيادة بن جوريون ، إبان حرب ٥٦ .

وقد سعت الحكومة الإسرائيلية لفرض الرقابة على يوميات شارُت قبل نشرها ، ولكن أسرته أصرت على نشر النص كاملاً . وهو يحوى الكثير من تفاصيل حياة الرجل اليومية ، وعمله السياسى ، وتتميز بالصدق فى وصف الخلافات والمؤامرات التى تحيكها الأحزاب المختلفة فى دهاليز وأروقة الكنيست ومجلس الوزراء .

وما كان شارت ، من وجهة النظر العربية ، شخصية إيجابية . فهو أولاً رفض السماح بعودة الفلسطينيين اللاجئين إلى أراضى ٤٨ . ولم يتعاطف مع معاناتهم البتة. ورفض ، حتى نظرياً، فكرة تكونُ دولة فلسطينية فى الضفة الغربية . وهو حين يعارض استخدام الإرهاب ضد العرب ، إنما يفعل ذلك خوفاً على سمعة إسرائيل أمام دول العالم المتقدم ، وخصوصاً الولايات المتحدة وأوربا الغربية . وهذا يدل على ضعف أخلاقى فى شخصية الرجل ، يمنع القارئ من التعاطف معه ، فهو لا يؤمن بمبدأ صائب يلتزم به ، بل يهتم بخلق صورة جيدة للدولة العبرية أمام الآخرين فحسب .

وهو يصف فى يومياته محاولاته لكبح جماح رغبات بن جوريون التوسعية ، ووراءه قيادات الجيش ، ووقوفه ضدها حتى انتهى الأمر إلى سقوطه .

(١) Israel's Sacred Terrorism. By Levia Rokach. Aaug Press : Newyork., 1986.

تقديم

نعوم تشومسكى

دومًا يقدم التاريخ المعاصر للعامة فى إطار عقائدى . أحوال الدول التى يطغى عليها حزب واحد فى الإعلام الغربى معروفة ، لا تستحق التحليل . ولكن القضية أكثر تعقيداً فى مجتمعات تحررت من أساليب السيطرة القديمة . الولايات المتحدة مثلاً من أقل الدول كبتًا للوازع العلمى والبحث عن الحقيقة . ومع ذلك ، فلا يتاح لدراسة تاريخية النجاح إلا إن التزمت بإطار عقائدى بعينه .

"تبدأ الولايات المتحدة دومًا بنوايا طيبة " . بهذا السطر الذى بات من طقوس مناقشة سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية ، يبدأ وليام بتاف دراسة عن تدخل الولايات فى شئون الدول الأخرى ، وإن بقيت الدراسة فى حدود ما يمكن أن يقال (عقوبة التدخل ، إنترناشيونال هارولد تريبيون ، ١٩٧٩) . لتقبل هذه الأفكار ، لابد لفرد لا يقدر على تحمل التوتر من تجاهل المعلومات الكثيرة المتاحة فى مجتمع حر. مثلاً ، توجد سجلات تدل على التخطيط المسبق محفوظة لدى البنتاجون ، خصوصًا فى ملفات الأعوام الأولى لسياسات التدخل فى الأربعينيات والخمسينيات ، حين تم تكوين وإعداد الكثير من السياسات الخارجية . أما المثقفون والكتاب ، فيبقون مع الإعلام ، رافضين التشكيك فى هذه النظريات ، بحيث يقدم للقراء تاريخ أحادى ، بلا أى نقد للسياسات الخارجية يتم تجاهل من لا يلتزمون بهذه السياسة ، على أساس " انعدام الشعور بالمسئولية " " السذاجة " "عدم القدرة على سبر أغوار الحقيقة التاريخية " وغيرها .

مع أن علاقة الولايات المتحدة بإسرائيل لا تخلو من التوتر ، إلا أنها كانت دومًا ، كما يقول الإعلام : " علاقة خاصة عميقة . " وهذا واضح ماديًا ، عبر المساعدات فى مجالى المال والسلاح ، وعن طريق التعاون الدبلوماسى ، وأحيانًا القيام بعمليات مشتركة ، كما فعلت إسرائيل للدفاع عن مصالح أمريكا فى الشرق الأوسط عام ١٩٧٠ فى أزمة شملت سوريا والأردن والشعب الفلسطينى . وهذه العلاقة الخاصة تظهر على المستوى العقائدى كذلك . مع استثناءات عابرة ، هناك عقائد ثابتة شائعة ، وأولها فكرة أن إسرائيل ضحية الإرهاب ، والتعديات العسكرية ، والكراهية بلا سبب . بل إن بعض المحللين لا يزالون يدعون أن إسرائيل هوجمت فى عقر دارها أربع مرات ، وذلك يشمل عام ١٩٥٦ . أحيانًا ، تنتقد إسرائيل لردها على الإرهاب ، ويتم تفهم ذلك حتى إن انتقدته الصحافة . أما الحقيقة ، وهى أن لإسرائيل دورًا أساسيًا فى صنع العنف وخلق الصراع ، فتظهر فقط فى دراسات للمختصين . فى دراسة عن خلفية حرب ١٩٥٦ ، قدم ناراف سفران ، وهو أستاذ العلوم السياسية فى جامعة هارفرد ، نظرية مفادها أن الدول العربية "بدت مصممة على مواجهة إسرائيل". أما الغارة الإسرائيلية على غزة فى فبراير عام ١٩٥٥ ، فقد كانت على سبيل الانتقام بسبب إعدام مصر لبعض المخربين الإسرائيليين . وإن حدث بعد ستة أعوام، كما يدعى سفران ، أن عرف بالفعل أنهم كانوا مجندين من قبل إسرائيل . أما الخلفية الفورية للمعركة ، فتوصف بهجمات الفدائيين وانتقام إسرائيل . الإرهاب الذى دعمته مصر " دفع إسرائيل لدخول الحرب عام ١٩٥٦ ، وكان السبب لرفضها التخلى عن غزة " (إسرائيل – الصداقة الخاصة مع أمريكا ، كامبرج ، جامعة هارفارد ، ١٩٧٨) .

للمحافظة على نظريات كهذه ، لابد من تجاهل معلومات كثيرة متاحة . يتجاهل سفران فى الواقع اليوميات التى تستخدمها ليفيا روكاش هنا ، والتى نشرت على العامة عام ١٩٧٤ ، أو الملفات المصرية التى وصلت لإسرائيل وتم نشرها عام ١٩٧٥ ، ومعلومات أخرى تقلل من قيمة وجهات النظر الرسمية الشائعة فى الإعلام الغربى .

يوميات موشى شارت ، التى تناولتها ليفيا روكاش بالتحليل هنا ، بلا شك من أهم المصادر . وهى تبقى خارج إطار التاريخ الرسمى الذى يقدمه الإعلام المتعاطف مع الصهيونية . وذلك الوضع يستمر ما دامت الولايات المتحدة مرتبطة مع إسرائيل .

ولكن إن كانت صديقة حميمة لدولة عدوة ، مثلاً ، للاتحاد السوفيتى السابق ، لباتت اعترافات شارت معلومات عامة ، ولكف الناس عن التحدث عن هجوم مصر المزعوم على إسرائيل عام ١٩٥٨ .

حين يدرس المرء مراحل تكوين سياسات أى دولة ، فسيلاحظ مواقف متعنتة تطالب باستخدام القوة والعنف لتحقيق الأهداف ، ومواقف مرنة سلسة تدعو للدبلوماسية ولاستخدام الاقتصاد للوصول إلى الأهداف ذاتها ، وإن تغيرت الأساليب . وقد حاول موشى شارت استخدام أساليب الدبلوماسية وكانت هزيمته دلالة على تفوق بن جوريون ، لأن ديان وآخرين أرادوا استخدام القوة لتحقيق أهدافهم . يوميات شارت تقدم صورة واقعية عن الصراع الداخلى كما رآه ، وهى شهادة حية عن التاريخ الباكر للدولة العبرية ، وإن دلت على ما هو مستمر فى الحدوث حتى الساعة . وقد خدمت ليفيا روكاش الحقيقة المختبئة وراء قصص الإعلام الرسمى فى كتابها هذا .

نعوم تشومسكى ، ١ يناير ١٩٨٠

مقدمة المؤلفة

اعتمد الدعم الشعبى لإسرائيل خلال الربع قرن الأخير على عدد من الأساطير أهمها أسطورة الأمن ، التي تعنى وجود مخاطر حقيقية تهدد بقاء الدولة العبرية فى فلسطين ، وهى أسطورة صُنعت بدهاء لإقناع الناس ، وتشجيعهم ، على تقديم المال لمساعدة إسرائيل عسكريًا واقتصاديًا . " الأمان الإسرائيلى " هى الفكرة التى تقدمها حكومتا إسرائيل والولايات المتحدة لمنع الفلسطينيين من تقرير مصيرهم فى بلادهم . خلال العقود الثلاثة الماضية استُعمل هذا التفسير لتبرير كسر إسرائيل للقرارات الدولية التى طالبت بعودة الفلسطينيين إلى ديارهم . وخلال الثلاثة عشر عامًا الأخيرة استخدمت إسرائيل فكرة الأمن كذلك لتبرير رفضها التراجع عن الأراضى العربية التى احتلتها عام ١٩٦٧ . الأمن هو العذر لقتل المدنيين فى لبنان ، ومصادرة الأراضى ، وتكوين مستوطنات فى الأراضى المحتلة ، والاعتقال العشوائى للسجناء السياسيين . مع أن أمن الدول العربية هُدد خلال الأعوام الماضية بحروب خفية وعلنية ، وعلى الرغم من أن قوانين الأمم المتحدة تطالب بتكوين حدود آمنة لجميع الدول .

شيوع فكرة الأمن الإسرائيلى يوضح وجود إيمان شائع برغبة العرب فى القضاء على إسرائيل . وأغلب المؤلفين الغربيين الذين يقدمون هذه النظرية يعتمدون على أفكار قدمتها الصهيونية فى الأربعينيات ، حين تكونت الدولة العبرية ، وفى الخمسينيات حين وصل الرئيس عبد الناصر للحكم . وهم يستخدمون هذه الأفكار لتصوير صراع إسرائيل من أجل الأمن كقضية أخلاقية . والإعلام غالبًا ما يساعد السياسيين الذين يشجعون إسرائيل ويدعمونها بالمال والسلاح .

ولقد تم تجاهل أى حقائق مخالفة لهذه الأفكار فى الغالب . فمثلاً ، كشف ناعوم جولدمان (فى موند دبلوماتيك ، أغسطس ١٩٧٩) أن بن جوريون كان قد اتخذ قرار الحرب قبل مايو ١٩٤٨ ، مما يعنى أن فكرة الوصول إلى حل وسط كانت قد رفضت مسبقًا .

أما نشر يوميات موشى شارت بالعبرية فيقدم خير دليل على خطأ النظرية التى تدعى أن سياسات إسرائيل دافعها الهاجس الأمنى . فبين عامى ١٩٣٣ – ١٩٤٨ ، قاد شارت العلاقات الخارجية للحركة الصهيونية ، حيث كان رئيسًا عامًا للمؤسسة الصهيونية ، ومنذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٥٦ ، كان وزير الخارجية . وخلال عامى ١٩٥٤ – ١٩٥٥ كان رئيس الوزراء أيضًا . أقدم فى الصفحات التالية أجزاء من مذكرات شارت لإثبات ما يلى :

١ – لم تشك القيادة السياسية والفكرية فى إسرائيل فى إمكانية تهديد العرب لها ، بالعكس . فقد تعمدت استفزاز الدول العربية بعد حرب ١٩٤٨ . وقد حاولت الأخيرة تجنب أى معركة مع إسرائيل ، ولكن للبقاء احتاجت لتقديم صورة قوية لشعوبها وللمهجرين من الفلسطينيين ، كرد فعل على العدوانية الإسرائيلية المستمرة . باختصار، كان التهديد العربى أسطورة لم يستطع العرب نفيها ، مع أنهم فشلوا دومًا فى الحرب مع إسرائيل .

٢ – المؤسسة العسكرية والسياسية فى إسرائيل تدفع الدول العربية لمواجهات عسكرية عرفت نتائجها مسبقًا . وكان الهدف من هذه المواجهات هو أن تتحول إسرائيل إلى أقوى دولة فى الشرق الأوسط .

٣ – ومن أجل تحقيق هذا الهدف ، استخدمت الأساليب التالية :

أولاً : اعتدت القوات الإسرائيلية على السكان فى الضفة الغربية وغزة ، اللتين كانتا تحت السيطرة الأردنية المصرية . وكان لهذه الاعتداءات هدفان : أولاً : لإرهاب السكان ، وكذلك لخلق توتر بينهم وبين السلطات العربية التى لم تقدر على حمايتهم .

ثانيًا : تمت أعمال عسكرية ضد قواعد الجيوش العربية على الحدود لإضعاف الحالة النفسية للجنود والأنظمة .

ثالثًا : تمت أعمال إرهابية فى أعماق الدول العربية للتجسس وخلق الرعب وعدم الاستقرار .

رابعًا : ومن أجل تحقيق أهداف الاستراتيجية الإسرائيلية ، استخدمت الأساليب التالية :

١ – تم الاستيلاء على أراضٍ جديدة عن طريق الحرب . ومع أن الاتفاقيات عام ١٩٤٩ – ١٩٥٠ وهبت إسرائيل ثلثا إضافيًا من الأرض فوق ما وافقت عليه الأمم المتحدة ،إلا أن القيادة الإسرائيلية لم ترض بحدودها التى وافقت عليها . ولذلك أرادت المزيد من الأراضى الفلسطينية .

٢ – مساع سياسية وعسكرية لإنهاء جميع مطالب الفلسطينين بأرضهم عن طريق تشريد المهجّرين خلال عامى ١٩٤٧ – ١٩٤٩ إلى أراضٍ بعيدة أو حتى خارج العالم العربى .

٣ – مؤامرات خفية لتمزيق العالم العربى ، وإضعاف الحركات القومية ، وخلق أنظمة فاشلة تستسلم للهيمنة الصهيونية .

ويوميات شارت ، حين تثبت هذه النقاط ، تدمر العديد من التفسيرات التى تعد حقائق تاريخية . ومن هذه الأساطير ما يلى :

١ – يعتبر الكثيرون أن تأميم قناة السويس كان سبب حرب ١٩٥٦ . وهذا يعنى أن هجوم القوات البريطانية الفرنسية قد قدم لإسرائيل عذرًا لتدمير الفدائيين الذين اخترقوا حدودها ، ومواجهة نظام الرئيس عبد الناصر .

تؤكد يوميات شارت أن هذه الحرب خطط لها منذ عام ١٩٥٥ من أجل احتلال غزة وسيناء . بل وبدء الاستعداد لخوض المعركة قبل أن يقصى الرئيس عبد الناصر محمد نجيب من القيادة . وقد تم اتخاذ القرار وتأجيل التنفيذ لأن الظروف الدولية تتطلب الانتظار . وبعد شهرين رفض وزير الخارجية قرار الحكومة بالحرب لاحتلال غزة ، ولذلك اتخذ بن جوريون والصقور القرار بالتخلص منه . وإن لم يكن العدوان الثلاثى قد تم خلال أشهر ، لكانت إسرائيل قد بدأت الهجوم بمفردها حسب مخططاتها وبموافقة أمريكية .

٢ – يعتبر احتلال إسرائيل للضفة الغربية وغزة عام ١٩٦٧ حركة وقائية ضد العدوان العربى . ولكن يوميات شارت توضح أن احتلال غزة والضفة كان جزءًا من خطط الحكومة الإسرائيلية منذ الخمسينيات . وقد علمت القيادات الصهيونية بهذه الخطط فى عام ١٩٥٤ . وفى عام ١٩٥٥ ، تم التضحية بحياة العرب واليهود فى غارات

استفزازية من أجل تقديم عذر لاحتلال الأراضي الأردنية . وكان المانع الوحيد وجود بريطانيا فى الأردن وحمايتها للمملكة الهاشمية .

٢ - لا يزال البعض يتصور أن العدوان الإسرائيلى على لبنان جزء من خطة دفاعية. ولكن يوميات شارت توضح أن بن جوريون عام ١٩٥٤ قدم خطة "لتقسيم لبنان" على أساس طائفى. أما استخدام الصهاينة الإرهاب من أجل خلق صورة تهديد عربى لإسرائيل ، فيوضحه " الشخص الثانى " فى الحركة الصهيونية آنذاك .

تأملت الأحداث التى اصطنعناها ، والعدوانيات التى خلقناها ، والتصادمات التى تسببنا فيها ، والتى أدت إلى الكثير من سفك الدم ، والكوارث معروفة ، وزادت أوضاعنا الأمنية سوءاً .

وبعد أسبوع ، أوضح موشى ديان ضرورة رفض إسرائيل لأى حدود آمنة تقدمها الدول العربية ، أو الأمم المتحدة ، وضمانات الأمن الأمريكية . مثل هذه الضمانات قد " تقيِّد يد إسرائيل "، أى أن التعديات المستمرة على الحدود خلال منتصف الخمسينيات كانت ستنتهى ، ولن يبقى لها داع . وهذه التعديات ، قال ديان : "ضرورية لبقاء الدولة، إذ تحث الشباب على الانضمام للجيش ، وحماية إسرائيل" (٢٦ مايو ١٩٥٥) .

خلق عقلية قلقة مهووسة بالأمن كان ضرورة حتى يتوحد مجتمع يتكون من مهاجرين من أفريقيا وآسيا وأمريكا . ولكنه كذلك كبح جماح أى وازع وجدانى يعارض ما يحدث من تعامل لا أخلاقى مع الفلسطينيين من قبل الدولة . مارس الصهاينة العدوانية والإرهاب قبل وبعد حرب ١٩٤٨ . الشهادة التالية لجندى اشترك فى احتلال قرية دويلمة الفلسطينية عام ١٩٤٨ مجرد دليل آخر يضاف لسلسلة طويلة :

قتلنا ما بين ٨٠ - ١٠٠ عربى بينهم نساء وأطفال . لقتل الأطفال ضربوا رءوسهم بالفئوس . لم يوجد أى منزل بلا جثث . رجال ونساء القرى اقْتِيدوا إلى منازل ، ثم تم تفجيرها . بعض الجنود اغتصبوا النسوة وقتلوهن . تحولنا إلى قتلة ، لا من أجل الانتصار فى معركة ، بل لتصفية السكان . كلما قل عدد العرب المتبقين ، كان الوضع أفضل .

ولكن هذه الأحداث لم تصل لأسماع الناس . اعتبر الغالبية أن الحرب انتصار للحق (اليهودى) على القوة (العربية) . اعتبروا دير ياسين استثناء ناتجًا عن عقلية خاصة ، وهى مجموعة آرجون . الكتب المدرسية ، نصوص التاريخ ، كلها مجدت القيمة الأخلاقية للحرب و " طهارة السلاح " ، والقيم الأخلاقية لليهود .

سياسات الخمسينيات الانتقامية الأمنية عاكست هذه القيم . بعض قواد إسرائيل اعتبروا هذه السياسات لا عقلانية ، إذ تعارضت مع الواقع الموجود فى المنطقة ، ومع التزامات إسرائيل الدولية . هدف تحول إسرائيل إلى القوة الضاربة فى الشرق الأوسط تطلب التخلى عن القيم الأخلاقية التى ادعتها الحكومة سابقًا ، والتحول للعدوان السافر . وهكذا ظهرت سياسة الانتقام . المثال الجديد لإسرائيل كان قوة خلية ١٠١ التى قادها آريل شارون .

وهذا التحول ما كان سهلاً . كما اعترف ديان فى المقولة التى استشهدنا بها أعلاه . لاصطناع القلق ، كان هناك ضحايا من اليهود لابد من قتلهم لخلق مسببات الانتقام ، وخصوصًا حين نجحت الحكومات العربية فى كبح جماح شعوبها الغاضبة . بث الإعلام برامج يومية عن وحشية الأعداء ، وأن التصالح معهم فى حد ذاته ضعف لإسرائيل .

أسلوب شارُت اعتمد السياسة والدبلوماسية بدلاً من إرهاب بن جوريون والتابعين له . وقد اعتقد أن هذا الأسلوب سيؤدى لتقوية إسرائيل وربما توسعها ، بدون تصادم مع الدول العربية ، أو إغضاب الغرب . بل اعتقد بإمكانية التعاون مع العرب لتحقيق طموحاته . كما أدرك بوضوح الفاشية المختفية تحت حجاب فكرة الأمن ، وقيَّم بشكل صائب نتائج الفساد الأخلاقى فى الداخل والعنف فى المنطقة بأسرها . وقد عارضها ، وكان أهم ضحاياها . ولكن هزيمته كانت قدراً . إذ إنه خالف النسبة لا الفكرة ، الأسلوب لا الهدف ، أرقام الضحايا لا العدوان ذاته . نظراً لإيمانه العميق بالصهيونية ، أسعده نجاحها السريع ، وأقلقه ما سينتج عنه على المدى البعيد من ردود أفعال .

وهكذا كان التخلص من صوته المحتج ضرورى لتحقيق طموحات القيادات الإسرائيلية . نقطة ضعفه كانت اعتماده على الغرب لإيقاف التطرف الصهيونى ، بدلاً من إيقاظ الشعب الإسرائيلى وإبلاغه بحقيقة ما يحدث . ما جرؤ على ذلك ، وكان فى ضعفه نهايته . بل إنه تعاون مع دعاة نظرية الأمن الذين تسببوا فى نهايته وحاكوا المؤامرات ضده فى نهاية المطاف .

مذكرات شارُت توضح استحالة تقديم حل صهيونى وسيط ، وفشل أى محاولة تصحيحية من الداخل . هناك منطق واضح للتاريخ خلال الثلاثين عامًا الأخيرة . فى أوائل الخمسينيات تكونت دولة تعتمد على الإرهاب المقدس ضد جيرانها . وفى أوائل الثمانينيات أدركت هذه الدولة وبدأت تشجب ما ارتكبته .

وقد يكون هذا سببًا آخر يحرج الصحفيين الغربيين والدارسين ، لهذا النص . فهم لا يزالون يؤمنون بنظرية الأمن . يوميات شارُت فى الواقع تكشف حقائق تضر الحركة الصهيونية .

(٣)

الإرهاب الصهيونى المقدس

دراسة تعتمد على يوميات موشى شارُت ، ومخطوطات أخرى

ليڤيا روكاش

ولد موشى شارت فى هارسون ، بروسيا ، عام ١٨٩٤ . وقد هاجر مع أسرته إلى فلسطين عام ١٩٠٦ ، حين كان فى الثانية عشرة . وسكنت أسرته القرية الفلسطينية ، عين سينية ، بجوار نابلس . لاحقًا ، وصف موشى وإخوته الثلاثة الفترة التى عاشوا فيها فى هذه القرية ، حين استمعوا لقصص العجائز ، وتعلموا العربية مع أطفال القرية، بأنها كانت أسعد أيام حياتهم .

وقد انتقلت أسرة شارت إلى تل أبيب عام ١٩٠٨ ، حيث درس موشى فى مدرسة هرتسليا الثانوية . خلال الحرب العالمية الأولى ، انضم إلى الجيش العثمانى ، وخدم كضابط فى سوريا . وبعد الحرب ، حين تأسس الاستعمار البريطانى فى فلسطين ، تخرج من مدرسة لندن للاقتصاد ، وبدأ نشاطه السياسى بالانضمام لحزب العمال . وكان من الأعضاء المؤسسين له ، وكان رئيس تحرير مجلة الحزب . ثم تعين ممثلاً لحايم آرلوسوروف ، رئيس الفرع السياسى للمؤسسة اليهودية . وحين اغتيل آرلوسوروف فى تل أبيب عام ١٩٣٣ ، تم اختيار شارُت سكرتيراً خاصاً للحزب . خلال تلك المرحلة كان المدير العام للمؤسسة اليهودية هو ديفيد بن جوريون .

حسب تصور شارت ، فقد بدأ توتر علاقاته مع بن جوريون لمدة خمسة وعشرين عامًا من الاتصال فى قمة الحركة الصهيونية والدولة الإسرائيلية ، بدأً بشك بن جوريون بارتباط شارت وإخلاصه لحاييم وايزمان ، رئيس المؤسسة الصهيونية العالمية.

فى الأربعينيات ، اتهم بن جوريون شارت ، بالاتصال بوايزمان للوصول لاتفاق مع الأمير فيصل السعودى . شارت أكد أنه فى الواقع ساهم بإفشال هذه المفاوضات . ولكن ، حسب أقوال د. ناعوم جولدمان ، فإن شارت كان بالفعل يحاول الوصول لاتفاق سلمى مع العرب لحل مشكلة الوجود الصهيونى فى فلسطين ، واقترح تكوين تجمع شرق أوسطى يحوى الحركة الصهيونية . المفاوض الأساسى بين العرب كان النقراشى باشا ، وزير الخارجية المصرى . وهذه المفاوضات ، التى توقع أن تمنع الحرب العربية الإسرائيلية الأولى ، ما عنت سوى تأجيل توقيت الاعتراف بإسرائيل لبضعة أسابيع . ولكن بن جوريون رفض التفاوض والتأجيل ، واتهم شارت بمعارضة تكوُّن الدولة اليهودية فى إسرائيل ، وهو اتهام نفاه الأخير جملة وتفصيلاً .

الواقع هو أن بن جوريون اختار القوة بينما حبذ شارت الدبلوماسية للوصول لذات الأهداف ، مما سبب التصارع بين الشخصيتين القياديتين ، واستمر الخلاف بينهما حتى تنحية شارت من منصبه عام ١٩٥٦ ، وقد توفى عام ١٩٦٥ .

المذكرات التى نشرها موشى شارت تشمل المرحلة ما بين أكتوبر ١٩٥٣ حتى نوفمبر ١٩٥٦ ، وأعوامه الأخيرة فى رئاسة وزارة إسرائيل ، وفى الخارجية . وتستمر بعد ذلك لمدة خمسة عشر شهراً قضاها معذباً بعد وفاته السياسية . وقد توقف موشى شارت عن الكتابة فى منتصف ٢٩ نوفمبر ١٩٥٧ . وهو يتهم فى آخر صفحاتها أحد رفاقه القدامى بالتآمر ضده .

واليوميات ، التى تتكون من ٢٤٠٠ صفحة فى ثمانية مجلدات ، تحوى الخواطر والملاحظات اليومية ، شاملة حياته الخاصة ، والأسرية ، والحزبية ، واللقاءات الوطنية والدولية المهمة ، الحوارات مع زوجه وأفراد الأسرة، مع أسئلة تتعلق بالأوضاع الوزارية. الطبيعة الخاصة للنص تميزه عن غيره من نصوص اليوميات التى صدرت من إسرائيل مؤخراً . شارت لم يكتب هذا النص وهو يتفكر فى نشره للدفاع عن الذات . بل إن أسرته تعرضت لضغوط قاسية لمنع نشر هذه اليوميات ، أو على الأقل ، السماح بفرض الرقابة عليها . ولكن ابن شارت ، يعقوب ، قرر نشر النص كما هو ، بدون أن يسمح لأى فرد بالعبث به .

لماذا ذهب بن جوريون إلى سداح بوكر ؟ التنسك أسلوب سياسى

حين كتب موشى شارُت أول مذكراته اليومية فى ٩ أكتوبر ١٩٥٣ ، كان بن جوريون قد أعلن رغبته فى الانسحاب من النشاطات السياسية . شارُت ، الذى كان الشخصية الثانية بعد بن جوريون ، بات رئيسًا للوزراء ، واحتفظ كذلك بوزارة الخارجية .

بالنسبة للرأى العام ، كانت أسباب استقالة بن جوريون روحية ، فهو ودَّ إعادة شباب إسرائيل إلى التدين ، واعتزم الحياة مع بعض نساك اليهود فى إحدى المستوطنات الجديدة . فى الواقع ، اضطرت الدولة الإسرائيلية لإنفاق ملايين الدولارات لحمايته فى مكان إقامته الجديد ، وأبلغ رفاقه المقربين أنه سيغيب لعامين فحسب . وراء حملة الدعاية التى مجدت انسحابه ، كانت هناك خطة محكمة أعدها مع رفاقه . فمنذ ذلك الحين ، قبل أن تمر أعوام قليلة على حرب ٤٩ - ١٩٨٤ ، كانت الرغبات فى التوسع على أشدها . لم تكتف الحكومة الإسرائيلية بالأراضى التى احتلتها ، وودت قيادات الجيش احتلال فلسطين بأكملها . بن جوريون خطط لأن تصبح إسرائيل القوة الأساسية فى الشرق الأوسط . ومن أجل تحقيق ذلك الهدف ، تم إعداد قوة عسكرية كبيرة ستعمل تحت غطاء " الانتقام " . ولكن الظروف الدولية لم تسمح بذلك بعد .

اعتمدت إسرائيل على المعونات الاقتصادية والعسكرية من الغرب ، ولضمان وصولها لابد للغرب أن يعتبر إسرائيل أفضل محقق لمصالحه عسكريًا ، وكان ذلك أحد الأهداف الأساسية للهجمات المضادة القاسية التى قامت بها القوات الإسرائيلية . فى الوقت ذاته ، لا يجب أن يقلق العالم ، وخصوصًا أمريكا وأوربا ، بشأن نوايا إسرائيل، لأنهم لن يعاونوها إن أدركوا حقيقة أهدافها التوسعية . انسحاب بن جوريون الرسمى ، واستبداله بشارُت المعتدل ، دل على أن إسرائيل لا تعد العدة لحرب ، ولكن ، ومنذ بدء الأعمال الانتقامية ، توقع العرب حربًا عاتية .

الهدف القصير المدى للخطة كان تخفيف ضغوط العرب على الغرب من أجل التسلح . وفى ذات الوقت ، كان الهدف المعلن لأى غارة هو الدفاع عن سكان إسرائيل ضد هجمات الفدائيين ، وهو هدف سيعززه وجود قائد مثل شارت الذى عرف بميله للسلام . وهكذا ذهب بن جوريون إلى سدية بوكر ، محاطًا بهالة القداسة الزائفة ، واستعد شارُت لمهام منصبه ، أو هكذا تصور . ففى الواقع احتفظ بن جوريون بالسلطة .

الانتقام للحرب السابقة ..

فى ١١ أكتوبر ١٩٥٣ ، ذكر وزير الخارجية ورئيس الوزراء المستقبلى فى يومياته أنه زار بن زفى ، رئيس الدولة :

> **كالعادة ، طرح بن زفى أسئلة مهمة ، مثل هل نستطيع احتلال سيناء ؟ وكم سيكون رائعًا إن بدأ الإعداء بهجوم استطعنا رده وغزونا الصحراء بعد ذلك . خاب أمله إذ أبلغته أن المصريين لا يبدون البتة راغبين فى أى استفزاز لنا (١١ أكتوبر ١٩٥٣) .**

فى اليوم التالى أبلغ بن جوريون شارُت أن بنهاس لافون ، الداعية لسياسة الانتقام ، سيليه كوزير للدفاع ، وأنه يقترح أن يتولى موشى ديان قيادة القوات العسكرية .

> **أجبت فورًا أن موشى ديان قائد عسكرى ، ولكن فى وقت السلام سياسى . ما يعنيه ذلك هو تسييس الجيش . وأن قدراته على التآمر ستؤدى للكثير من الأذى . اعترف بن جوريون بصدق ما أقوله ، وذكرنى بأن ديان يعرف ويعترف بوجود هذه الصفات الشخصية ، ولكنه سيؤدى الوظيفة المطلوبة منه . تركته بقلق شديد .**

اعتبر شارُت المناخ العالمى غير ملائم لإسرائيل : كانت الولايات المتحدة تقوم بتسليح سوريا والعراق ، والبدء بتسليح مصر . وكذلك ، فإن رفض إسرائيل الدائم لقرارات الأمم المتحدة وتعدياتها المستمرة على نهر الأردن ، أدى لتوتر مع العواصم الغربية التى ودت تحقيق سلام يهدئ التوتر فى منطقة الشرق الأوسط . كما لاحظ مسئول الأمم المتحدة ، واجن بينابك : " إن الإسرائيليين يعملون على تغيير الواقع داخل الأراضى العربية . " (١٥ أكتوبر ١٩٥٥) يعلق شارُت على هذا القول بحزن قائلاً: " تساءلت عدة مرات ، وأبلغونى كل مرة أنهم لا يعملون على أى أراضٍ عربية . بعد أن أكد بينابك قوله لى ، سألت آمير الذى اعترف لى بالحقيقة . وهكذا بدوت كاذبًا فى أعين العالم أجمع" . (٣١ أكتوبر ١٩٥٥) .

ولأنه خشى عدوانًا إسرائيليًا ينتج عنه أزمة فى العلاقات مع الغرب ، حاول شارُت إيقاف عملية قبية الانتقامية ، ذاكرًا أن الحدث التافه على الحدود ، قد شجبته الأردن، وأن القوات الأردنية وعدت بمنع تكراره .

أبلغت لافون أن هذا الهجوم سيكون خطأ كبيرًا ، وذكرته أن الأعمال الانتقامية لم تحقق نتائج تذكر سابقًا . ابتسم لافون ، وبقى متمسكًا برأيه . قال لى إن بن جوريون يخالفنى الرأى . (١٤ أكتوبر ١٩٥٣) .

استمعنا فى الأخبار أن القوات الإسرائيلية هدمت ثلاثين منزلاً فى قرية واحدة . وأن الانتقام غير مرتبط البتة سواء فى حجمه أو القوة المستخدمة بالحادث الأصلى . جبت حجرتى حزينًا يائسًا غير قادر على فعل أى شىء . أحزننى تمامًا خبر تدمير القرية العربية . عشرات المنازل التى هدمت ، وعشرات الضحايا الذين هوت الحيطان عليهم . تصورت غضب الغرب صباح اليوم التالى .

وحين استنكرت خطة الانتقام ، لم أتوقع البتة حمام دماء بهذا الحجم . توقعت أن ما احتججت عليه سيكون مثل الأعمال السابقة . إن شككت البتة بأن الناس سيقتلون بهذه الطريقة ، لكنت قد فعلت أكثر بكثير .

الجيش الآن يود معرفة كيف ستفسر الخارجية هذا العدوان . فى لقاء مع القادة ومسئولى الخارجية اقترح شامول بندور أن ننفى دور الجيش فى الموضوع . إن سكان القرى المجاورة أغضبتهم الأحداث السابقة وقرروا الانتقام . ومثل هذه القصة ما كان أحد ليصدقها . أى طفل سيدرك أن العملية عسكرية . (١٦ أكتوبر ١٩٥٣) .

" أبلغنى يهو سافات حارقابى بشأن تحركات القوات الأردنية من أربد إلى نابلس ومن عمان إلى القدس . تيقنت أن هذه القوات

تهدف للدفاع ضد عدوانيتنا التى توقعوا المزيد منها . يستحيل ألا يكونوا قد تصوروا أن قصف القرية هو بمثابة خطة لإشعال فتيل الحرب . (١٧ أكتوبر ١٩٥٥) .

فى الثالثة مساء جاء راسل (مسئول بالسفارة الأمريكية) ، ومعه ملتون فرايد (مسئول آخر) إلى مكتبى .. قلت لهما إنى لا أسعى لتبرير الهجوم القاسى على قبية ولكن أحذر من فصل الفعل عن الأحداث السابقة له ، وأتهم الأردن بسوء النية . ثم انتقدت السياسات الأمريكية على تشجيعها للعرب وفصل إسرائيل . انتقدت الولايات المتحدة التى تتصور أن أفعالنا ستؤدى للحرب . سألنى راسل : ؟ ماذا بشأن قبية ؟ قلت إننى لا أعرف الجواب . اقترح بعض المسئولين العثور على قضية أخرى لتشغل الناس .

فى لقاء الوزراء ، شجبت ما حدث فى قبية لأنه صور إسرائيل للعالم عصابة متعطشة للدماء ، مستعدة لزهق دم الأبرياء بغض النظر عن النتائج . حذرت أن هذا التشويه سيبقى ولن تمسحه الأعوام المقبلة . واتخذنا القرار أننا سنصدر تقريراً بشأن قبية يكتبه بن جوريون .

أكدت على أهمية التأسف ، وأكد بن جوريون على ضرورة فصل الحدث عن الجيش الإسرائيلى ، وذكّر أن السكان المدنيين المقيمين على الحدود تصرفوا من أجل العدالة ، وأن غالبيتهم مسلحون وخدموا سابقًا فى الجيش .. قلت له لا أحد فى العالم سيصدق ما نقوله ، وإن خشيت مغبة الاعتراف بمسئولية الجيش ، الذى يعنى الموافقة على هذه الجريمة البشعة .

حتى شارُت لم يود اتهام الجيش . ولماذا يتهمه ، ما دامت السلطات السياسية هى التى اتخذت القرار ؟ ولكن يمكن ملاحظة شىء آخر . فأمن سكان المستوطنات الحدودية قد يُهدد إن ألقيت تهمة الجريمة عليهم . التشجيع على أعمال الانتقام المتبادلة كان لهدف ما ، بدا واضحًا فى ابتسامة لافون حين حاول شارُت إقناعه باستحالة

إرضاء العالم بهذه التبريرات . منذ البداية ، في الواقع ، كان الهدف من السياسة الانتقامية هو خلق التوتر في المنطقة . وكلما ازداد التوتر ، ضعفت الأنظمة العربية ، وازداد الضغط لسحب المخيمات الفلسطينية إلى أعماق العالم العربي ، وزادت إمكانيات الحرب . وفي الوقت ذاته ، استمر تسليح الجيش .

وفي ١٩ أكتوبر ، اجتمع الوزراء . تحدث بن جوريون لساعتين ونصف الساعة ، مقدمًا معلومات تفصيلية عن ازدياد قوة الجيوش العربية التي ستصل لقمتها عام ١٩٥٦ (١٩ أكتوبر ١٩٥٣) .

بدا واضحًا . أن إسرائيل ستعلن الحرب في ذلك التاريخ . شارُت قال : " بينما استمعت ، اعتقدت أنه يجدر بنا استخدام الدبلوماسية أولاً . لنقدم حلولاً حقيقية لمشكلة اللاجئين ، عن طريق دفع تعويضات ، وتحسين صلاتنا بالقوى القريبة ، والبحث عن وسائل للتفاهم مع مصر . ولكن هذه الأفكار لم تتوافق مع رغبات المؤسسة السياسية .

في ٢٦ أكتوبر ١٩٥٣ ، اجتمعت القيادات الصهيونية الأمريكية واستمعت لمحاضرة ألقاها الكولونيل ماتي بليد . الاستنتاجات كانت – حسب رأي شارُت – واضحة : " أولاً: إن الجيش يعتبر الحدود الحالية مع الأردن غير مقبولة . ثانيًا : إنه يعد لحرب من أجل احتلال ما تبقى من الأراضي التي يجب أن تكون جزءًا من إسرائيل " .

وقد شجب مجلس الأمن الاعتداء على قبية ، مما دفع شارُت إلى منع أي أفعال انتقامية لاحقة بدون استئذانه . اغتيال الطبيب الأردني مثلاً في الطريق أغضب رئيس الوزراء . وعرف فيما بعد أن إسرائيل كانت وراء الحادث . هذه الأفعال وغيرها أدت لتوتر العلاقة بينه وبين القيادات العسكرية . في يناير ١٩٥٤ ، طلب ديان لقاء مع مجلس الوزراء ، واقترح خطة تلو أخرى للتعدي. كان من الممكن التخطيط لفك الحصار على إيلات : يمكن إرسال باخرة تحمل العلم الإسرائيلي وإن هوجمت ، سنقصف القاعدة المصرية بالطائرات . " سألته : " تدرك طبعًا أننا سنعلن الحرب على مصر بهذه الطريقة ؟ " قال : " بالطبع " . (٣١ يناير ١٩٥٤) .

بقيت الحرب مع مصر حلمًا يراود خيال مؤسسة الأمن الإسرائيلية ، ولكن الوقت لم يكن بعد قد حان لتحقيقها . في ٢٥ فبراير ، وضع بن جوريون قيودًا على خطة

لافون التى سعت " فوراً لفصل غزة من مصر " . صمم بن جوريون على الخطة التى أراد الالتزام بها . قال شارُت : " يود بن جوريون التركيز على سوريا حاليًا " . (٢٧ فبراير ١٩٥٤) .

فرصة تاريخية لاحتلال جنوب سوريا ..

فى لقاء سبق ذكره فى ٣١ يناير ١٩٥٤ ، أعلن موشى ديان خططه الحربية . وهنا يصف شارُت ما تم ذلك اليوم .

> **الخطة الثانية كانت انتقامية لإيقاف تدخل سوريا لمنع الصيد فى بحيرة طبريا ، والثالثة هى الرد على تدخل العراق فى سوريا ، ففى هذه الحال ، ستتدخل قواتنا فوراً.**
>
> **الاستنتاج الذى وصلت إليه من متابعة خطط تفكير القيادات ، أقلقنى تمامًا .**
>
> **فى ٢٥ فبراير ١٩٥٤ ، ثارت القوات السورية المرابطة على الحدود ضد نظام أديب شاشكلى . بعد الغداء ، تحدث لافون معى محاولاً إقناعى بأن هذه هى اللحظة الملائمة للتصرف . لابد لنا من التحرك واحتلال الحدود السورية بعد المنطقة العازلة . سوريا تتفكك . الدولة التى عقدنا معها اتفاقية الهدنة ما عادت موجودة. إن سقطت حكومتها فمن سيملأ الفراغ ؟ العراق سيتدخل . إنها فرصة تاريخية لا يجدر بنا تركها .**
>
> **ترددت فى الموافقة على خطة مجنونة كهذه ، وشاهدت نفسى على حافة الهاوية أتردد قبل إلقاء إسرائيل فى مغامرة مجنونة . سألته إن اعتقد أنه يجدر بنا التحرك فوراً ، واستغربت إذ قال نعم . قلت إن كان الجيش العراقى سيدخل إلى سوريا بالفعل ، فذلك سيبرر تصرفاتنا . أما الآن ، فليس من المؤكد أن شاشكلى سيسقط بعد ، قد ينجو . لابد من الانتظار قبل اتخاذ القرار .**

أكد أن الوقت يمضى بسرعة وأن الفرصة قد تضيع إلى الأبد . أوضحت مرة أخرى أن الظروف الحالية لا تسمح . أخيراً ، ذكرته أننا سنلتقى مع بن جوريون يوم السبت ، ويمكننا استشارته بهذا الشأن . شاهدت علامات خيبة الأمل واضحة على ملامحه ، ولكنه وافق على مضض . (٢٥ ، فبراير ، ١٩٥٤) .

فى اليوم التالى سقط نظام شاشكلى بالفعل . وفى اليوم اللاحق له ، ٢ فبراير ، حضر شارُت المؤتمر مع لافون وديان ، اللذين أكدا لبن جوريون أن ما حدث فى سوريا " من ألعاب العراقيين " ، واقترح الرجلان مرة أخرى التدخل الإسرائيلى . وافق بن جوريون بسعادة باهرة ، ولكن شارُت احتج مرة أخرى ، مؤكداً أن مجلس الأمن الدولى سيحتج على هذا التدخل السافر ، وإمكانيات الفشل الذريع . احتج الثلاثة بأن " دخولنا إلى سوريا تبرره أوضاعها المتردية . إنها عملية دفاع عن حدودنا " . أقفل شارُت النقاش وقال إن الموضوع يمكن دراسته فى لقاء الوزراء المقبل ، بدت علامات الحزن على وجه لافون ، إذ فهم أن الموضوع قد انتهى إلى الأبد – ٢٧ فبراير ١٩٥٤

فى الأحد ٢٨ فبراير ، ذكرت الصحافة أن القوات العراقية لم تدخل إلى سوريا ، وأن الوضع فى دمشق هادئ تماماً تحت سيطرة الرئيس هاشم الأتاسى . وافق الوزراء على رأى شارُت ورفضت أفكار لافون الذى قال : " الولايات المتحدة ستخوننا وتنضم إلى صف العرب " . ولذلك لابد " من إظهار قوتنا حتى لا يجرؤ أحد على مهاجمتنا " . ولكن انتصار رئيس الوزراء كان قصير الأجل .

وحتى ذلك الوقت لم يحدث على الحدود السورية الإسرائيلية أية مواجهات . وحين وُجد التوتر ، كانت إسرائيل دوماً المسبب له . أفعال مثل : سقى الأراضى التى يمتلكها الفلاحون العرب وأخذت منهم عنوة ، والذى رفضته الأمم المتحدة، أو استخدام القوارب العسكرية ضد الصيادين السوريين فى بحيرة طبريا خلقت التوتر . لم تستطع الدولة السورية الامتناع عن حماية مواطنيها ضد الهجوم الإسرائيلى ، ولكنها خشيت مغبة الانزلاق إلى حرب طويلة الأمد . التصادمات كانت محدودة، ولذلك صعب استخدام فكرة الأمن لتبرير العدوان على سوريا .

في ١٢ ديسمبر ١٩٥٤ ، اختطفت الطائرات الإسرائيلية طائرة سورية بعد إقلاعها بفترة وجيزة ، وأجبرتها على الهبوط فى مطار اللد . تم التحقيق مع المسافرين لمدة يومين ، حتى اضطرت الاحتجاجات الدولية إسرائيل لإطلاق سراحهم . وقد غضب شارُت لهذا الفعل . كتب فى ٢٢ ديسمبر ، إلى لافون قائلاً :

لابد أن تدرك أنه لا يحق لنا البتة اختطاف هذه الطائرة ، وأننا منذ ساعة هبوطها نكون مجبرين على السماح لها بالإقلاع فورًا. تدعى الولايات المتحدة أن فعلنا هذا لا سابق له فى تاريخ الطيران الدولى . ما يقلقنى هو قصر نظر قوادنا العسكريين . يبدو أنهم يتصورون أنه لابد لإسرائيل من التصرف فى العالم حسب قوانين الغابة (٢٢ ديسمبر ١٩٥٤) .

وقد احتج شارُت إلى لافون ضد الحملة الإعلامية ، التى هدفت لإقناع الرأى العام بأن الطائرة اخترقت الأجواء الإسرائيلية ، وربما تكون قد شكلت خطرًا أمنيًا كذلك . ولذلك لا يفهم الرأى العام لماذا تم إطلاق سراح هذه الطائرة ، ويتهم الناس الحكومة بالتنازل والضعف .

فى ١١ ديسمبر ، اليوم السابق لذلك حين خرقت إسرائيل الأعراف الدولية وخطفت طائرة مدنية ، قبضت سوريا على خمسة جنود إسرائيليين وهم يحاولون ربط خطوط بخطوط التليفون السورية . بعد شهر ، فى ١٣ يناير ١٩٥٥ ، انتحر أحدهم فى السجن . إسرائيل أعلنت أن الجنود الخمسة خُطفوا من داخل إسرائيل ، وأن سوريا عذبتهم . نتج عن ذلك غضب الرأى العام ، وزاد ذلك الغضب حين قبضت سوريا على عدد من الإرهابيين الإسرائيلين ، وتصور الرأى العام الإسرائيلى أن كل هذا من صيغ معاداة السامية . كتب رئيس الوزراء ما يلى فى يومياته :

تمت التضحية بشاب يافع بلا داع . الآن سيتهمونى بقتله . لو لم أكن قد سمحت للطائرة السورية بالإقلاع ، لأمكن المفاوضة واسترداد الخمسة . الولد كان سيبقى حيًا . لم يُخطف جنودنا فى أراض إسرائيلية كما زعموا . بل تسللوا إلى سورية لمهمة تجسسية ، إذ ربطوا خطوط التليفونات بأجهزة تصنت . الشاب ذهب بلا أى إعداد ، لم يقولوا له ما يجدر به أن يفعله فى حال

الفشل ، وهكذا اعترف بالحقيقة منذ أول لحظة . الإعلام والكنيست سيتحدثان بشأن الإرهاب . ولكن يمكن أن يكون الفتى قد انتحر لأنه اعترف ثم فهم الضرر الذى ألحقه بالدولة . من المؤكد أن رفاقه عذبوه . ربما يكون ضميره هو وازعه للانتحار . (٣ يناير ١٩٥٥) .

حذرونى من أن أحدهم يود تسميمى ، وأن الجيش غاضب تمامًا، بسبب هذا الانتحار (١٤ يناير ١٩٥٥) .

من الواضح أن ديان خطف الطائرة حتى يحرر أسرانا فى سوريا . اعتقد أنه لابد من تبديل الأسرى بأسرى ، ولم يغير فكره (١٠ فبراير ١٩٥٥) .

وبعد تسعة عشر عامًا ، قام ديان ، وهو وزير الدفاع فى حكومة جولدا مائير ، بأمر القوات الإسرائيلية بمهاجمة مدرسة ، بغض النظر عن حياة المدنيين الإسرائيليين فى مالوت ، وهدفه الوحيد هو منع الفلسطينيين من استبدال الأسرى بمساجين فى الضفة الغربية وغزة . وآنذاك ، كما حدث فى أحوال سابقة ، قام الإعلام بتصوير منظمة التحرير الفلسطينية التى حاولت تحرير أسراها عن طريق استبدالهم كتنظيم إرهابى وحشى . ولكن الإعلام لم يتهم موشى ديان بالإرهاب والوحشية أبدًا ، حتى حين خطف طائرة مدنية من أجل استبدال راكبيها بجواسيس إسرائيليين .

مخططات إسرائيل ضد سوريا فى الخمسينيات لم تكن توسعية إرهابية فحسب . ففى ٣١ يوليو ١٩٥٥ ، حدّث جيديون رافايل ، أحد المسئولين فى وزارة الخارجية ، شارُت بشأن لقاءات أجراها مع المنفيين العرب فى أوربا . أحد هذه اللقاءات تم مع رئيس الوزراء السورى السابق حسنى بارازى : " حسنى يود العودة للسلطة . وهو مستعد لتقبل المساعدة من أى فرد . من تركيا ، مقابل دخول سوريا فى حلف أنقرة بغداد . من الولايات المتحدة ، مقابل تحالف سوريا مع الغرب ، مع إسرائيل ، مقابل عقد سلام (٣١ يوليو ١٩٥٥) .

ولكن السلام لم يشغل بال إسرائيل . تكاليف المعونة الإسرائيلية باهظة .

" هو الآن يريد منا المال للإعلام ، ولشراء الأفراد والأحزاب السياسية . جيديون ذكَّره بأنه من ملاك الأراضى الأثرياء . ويستطيع فعل الكثير . يمكنه مثلاً استخدام الأرض التى يملكها لتوطين المنفيين والمشردين من فلسطين . قال الرجل إنه موافق ، ولكن فقط حين يعود للسلطة ، وحتى ذلك الحين يحتاج لشىء من المال مقدماً" . (٣١ يوليو ١٩٥٥) .

وإن خابت طموحات إسرائيل فى تكوين حكومة عميلة فى دمشق ، فالأحلام بقيت تداعب الخيال الإسرائيلى . فى لبنان أيضاً تم إعداد خطة فى عام ١٩٥٤ ، وكان على إسرائيل الانتظار عشرين عاماً قبل تحقيقها .

التخطيط لتقسيم لبنان على أسس طائفية :

فى لقاء تم فى ٢٧ فبراير ١٩٥٤ ، بين بن جوريون ، شارُت ، لافون ، وديان – ذكرناه سابقًا – طُرحت خطة لخلق البلبلة فى لبنان ، أكثر جيران إسرائيل هدوءاً وأمناً آنذاك . لم يكن هناك داع لارتداء ورقة التوت المسماة الأمن .

قال بن جوريون لى إن الوقت قد حان للسعى لتقسيم لبنان عن طريق خلق الصراع الطائفى . أكد أن الوضع فى حال التناحر والتشرذم اللبنانى سيكون مفيداً لإسرائيل على أى حال . أوضحت له عدم وجود أى جماعة تدعو لهذا الانفصال ، وأن تشجيعنا له سيسبب لنا الأذى . وهنا تعرضت للنقد بسبب ضيق أفقى وافتقادى للشجاعة والعزم . لابد أن ننفق المال ونبعث بالجواسيس ،، قلت له ومن أين لنا بالمال الذى يقتضيه مشروع كهذا ؟ قال سنعثر عليه . المشروع يستحق الإنفاق . حتى مليون دولار تكلفة بسيطة ، نظراً للتغيير الذى سيحدث فى المنطقة بأسرها بسببه . تعبت من مناقشتهم . (٢٧ فبراير ١٩٥٤) .

وفى اليوم التالى بعث بن جوريون إلى شارُت الرسالة التالية :

إلى موشى شارُت ، رئيس الوزراء :

سديه بوكر ٢٧ فبراير ، ١٩٥٤ :

منذ انسحابى من الحكومة قررت عدم التدخل للتعبير عن رأيى بشأن القضايا المطروحة ، حتى لا أجعل الأمور صعبة على الدولة . وإن لم تكن أنت ، ولافون وديان ، قد طلبتم جميعًا النصيحة منى ، لما تدخلت . ولكنى أعتبر تقديم النصح واجب علىَّ ، ولذلك أطرح القضية اللبنانية ثانية للنقاش .

من الواضح أن لبنان هى أضعف حلقة فى عصبة الأمم العربية ، ومصر أقواها . فى لبنان توجد تكتلات وطوائف مختلفة ، لكل ثقافتها الخاصة بها . تكوين أكثر من دولة فى لبنان سيكون عملاً طبيعيًا. وله جذور تاريخية . فى أوقات اعتيادية ، سيكون هذا التشقق صعبًا . ولكن فى ظروف الثورة أو الحرب الأهلية ، يصبح الأمر أكثر سهولة . ربما يمكن أن تكون الساعة الحالية هى الأفضل لتكوين أكثر من دولة فى لبنان . بدون بذل الجهد والمال، لن يتحقق لنا ما نريده .

وقد استجاب شارُت بعد بضعة أسابيع :

إلى السيد بن جوريون ، ١٩٥٤ :

آمنت دومًا بأن تدخلنا فى شئون الدول الأخرى لا يجب، أن يحدث إلا إن وجدنا داخل الدولة قوة مستقلة يمكن لنا مساعدتها من الخارج . لا يمكن صناعة قوة فى الداخل تساعدنا . حيث لا يمكن أن تضع الحياة داخل جسد ميت .

لا يوجد فى لبنان اليوم أى قوة تدعو إلى تكوين أكثر من دولة فيه. وهذا ليس بالغريب . ولذلك لا أرى إمكانية لتحقيق المخطط الذى تصبو إليه . ربما سيحدث ذلك فى ظروف خاصة ، فى المستقبل، حين تهز الثورات الشرق الأوسط . ولكن فى لبنان الحالى ، لا أرى هذه الإمكانية .

أخشى أيضًا تدخل سوريا والدول العربية الأخرى فى هذه الحرب . وهل أنت متأكد من عدم تدخل الغرب إن اندلعت ؟ ومن الواضح أيضًا ان لبنان المقسم لن يستطيع الحياة اقتصاديًا . اللبنانيون سيبقون فى دولة واحدة لأن الظروف الاقتصادية الحالية تجبرهم على ذلك . لا أستطيع الموافقة على خطة تعنى انتحار لبنان الاقتصادى .

فى الظروف الحالية أشعر بأن أى تدخل فى لبنان سيحسب علينا إن عرف أحد بحقيقة الموضوع . (١٨ مارس ١٩٥٤) .

فى ٢٤ أبريل ، نلاحظ فى اليوميات ؛ إجراء اتصالات مع بعض الأطراف فى لبنان " وفى ١٢ فبراير ١٩٥٥ ، يزور نجيب سفير ، وهو صديق قديم لشارت ، السفير الإسرائيلى فى روما ، ويبلغه بالرسالة التالية : "إن بعض الأطراف المؤثرة فى لبنان ستوافق على عقد صلح مع إسرائيل مقابل : أمن حدودها ، وحمايتها من أى تعد سورى ، وشراء فائض إنتاجها الزراعى " . (١٢ فبراير ١٩٥٥) .

وفى ١٦ مايو ، طرح بن جوريون مرة أخرى القضية اللبنانية للنقاش . أكد أن الوضع ملائم للتدخل فى أمور لبنان ، نظرًا لانشغال العراق وسوريا كلاً بمعاداة الآخر. ديان شجع الفكرة فورًا :

حسب تصوره ، فإن الشيء الوحيد الضرورى هو العثور على عميل ، يعمل فى الجيش . إما أن نكسب وده أو نشتريه ، ونطلب منه الدفا ع عن حقوق إحدى الجماعات. فورًا ستتكون دولة تتحالف معنا .

لتجنب مناقشة بن جوريون أمام الضباط ، قلت فقط إن ذلك يعنى الحرب مع سوريا . وخلال ذات الوقت ، اتفقنا على تأسيس لجنة تتعامل مع الأمور اللبنانية وترتبط مباشرة بمكتب رئيس الوزراء ، ١٦ مايو ١٩٥٤ .

وقد شجع أكثر من فرد فكرة العثور على عميل عسكرى فى لبنان يدعو الجيش الإسرائيلى للتدخل . قال رئيس الوزراء : " ستكون مغامرة مجنونة . وأتمنى إيقافها نظرًا لخطورتها " .(٢٨ مايو ١٩٥٤) .

ولكن الأحداث استمرت . فى ٢٢ سبتمبر ، حدث حادث غريب . فقد تعرضت عربة نقل للهجوم ، وقتل اثنان ، وجرح عشرة . وحتى قبل انتهاء التحقيقات ، طلب ديان الانتقام من لبنان . اختيرت قرية ليتم إفراغها فى المساء ، وتدمير منازلها . احتج شارُت على فتح جبهة جديدة فى منطقة هادئة منذ ٤٨ . أما تقسيم لبنان والبحث عن عملاء ، فتحقق فى مرحلة لاحقة . أوقف شارُت أى سعى فى هذا السبيل. وكان هناك دافع آخر . فالولايات المتحدة أعطت لإسرائيل الضوء الأخضر للهجوم على مصر . وبدء الاستعداد للحرب التى ستحدث بعد عام ، فى صيف ٥٦ .

قصة حافلة الركاب :

فى ١٧ مارس ١٩٥٤ ، تعرضت حافلة مسافرة من إليات إلى بلشبا للهجوم فى حاكرابيم ، عشرة مسافرين قتلوا ، ونجا أربعة . قال البوليس إن كل آثار الجناة اختفت على بعد عشرة كيلو مترات من الحدود الأردنية داخل إسرائيل بسبب الطبيعة الصخرية للمنطقة . أحد الناجين ، وهو المسئول عن الأمن ، شهد أن المعتدين كانوا من البدو ، وامرأة قالت إنهم ارتدوا أثوابا طويلة . حسب قول شارُت ، بعث الجيش ببعض الجواسيس عبر الحدود . وحين عادوا أكدوا على أن مجموعة تتكون من ثمانية إلى عشرة أشخاص عبرت الحدود بالفعل . وهذا طبيعى : فالبدو يعبرون الحدود بشكل يومى منذ زمن بعيد . الغريب هو الوصول للمعلومات من القرويين . الكولونيل الأمريكى ، المسئول عن الحدود الأردنية الإسرائيلية ، قال : " شهادات الناجين لا تثبت أن الجناة عرب " . (٢٥ مارس ١٩٥٤) . قال البعض إن مرتكبى الفعل سعوا لتوتر العلاقات بين الأردن وإسرائيل ، وأن هدفهم كذلك قد يكون إسقاط الحكومة الجديدة . أما الإسرائيليون ، فبدأوا حملة إعلامية واسعة ضد الإرهاب العربى وكراهية اليهود . طالب بن جوريون من منفاه الاختيارى الحكومة باحتلال الأراضى التى يمكن للأعداء التسلل عبرها . فى ٤ أبريل ، كتب رئيس الوزراء إلى بن جوريون :

سمعت أنك تطالب باحتلال أراضٍ أردنية . أشعر بأن هذا التصرف سيدخلنا فى حرب مع الأردن وحليفتها بريطانيا . والولايات المتحدة ستشجب فعلنا أمام العالم أجمع . ذلك سيعنى الدمار لإسرائيل . (٤ أبريل ١٩٥٤) .

سعى شارُت لتجنب أى رد فعل عسكرى . أبلغ الضباط " أننا جميعًا نشعر بأن الانتقام على فعل كهذا سيضعف من تأثيره على الرأى العام العالمى ، ويجعلنا مثل القتلة فى الصف الآخر . سيكون من الأفضل استخدام هذا الحادث للضغط على الأردن " . وذكر أيضًا أن الانتقام سيضعف من تأثير الحملة الإعلامية .

فى أعماق قلبه ، شك شارُت بأن بعض سكان إسرائيل كانوا وراء الهجوم . ذلك كان ما قالته الصحافة الأردنية . ولذلك أوقف أى رد فعل ، بل قرر عدم تقديم شكوى إلى مجلس الأمن فى الأمم المتحدة . ولكنه لم يفكر فى التحقيق من أجل معرفة الحقيقة. ومع ذلك ، تردد الجيش فى الموافقة على عدم الانتقام . وهكذا استغلوا حدثًا صغيرًا فى ممر القدس ، وفى ليلة ٢٨ مارس ، هاجم الجيش قرية نحلين ، وقتل العشرات من سكانها ، ودمرت تمامًا . ذكر شارُت :

" أبلغت تيدى كوليك بأننا نتجه إلى الحرب . حسب تصوره ، تتحكم فى الجيش قيادات ترغب بالتوسع والعدوانية . هم يتجاهلون تمامًا المشاكل الاقتصادية والعلاقات الدولية " . (٣١ مارس ١٩٥٤) .

العواصم العربية كذلك اقتنعت تمامًا بأن إسرائيل تعد العدة للحرب . وضعوا جنودهم على الحدود وسعوا لمنع أى تسلل إسرائيلى . ذلك بدوره أقلق الإسرائيليين : " الوضع على الحدود مطمئن تمامًا" . قال ديان لصحفى كرر هذه الأقوال لشارُت فى ١٧ مايو .ثم بدأت خطة عدوانية خفية كان هدفها تخطى التجهيزات العربية . مجموعات صغيرة من الرجال عبرت إلى الضفة الغربية وغزة بهدف الاعتداء على دوريات مصرية أو أردنية ، أو التسلل إلى القرى للتخريب والقتل . الإعلام الإسرائيلى أعلن أن هذه الأحداث وقعت داخل إسرائيل . وما إن بدأ الهجوم ، حتى طاردت القوات الإسرائيلية المخربين خارج الحدود . أفعال من هذا النوع حدثت بشكل يومى ، وتسببت فى سقوط عدد كبير من الضحايا .

دومًا ، بقى رئيس الوزراء يحاول فهم أسباب ما يحدث . بين أبريل ويونيو ، لاحظ فى يومياته أنه عرف بالصدفة ، مثلاً ، بمقتل فتى فلسطينى ضل طريقه فى الضفة الغربية . وبشأن حدث آخر ، ذكر ما يلى :

فهمت أخيرًا حقيقة ما حدث فى تل تسافى . رجلان عربيان أرسلناهما لقتل المختار لأنه متهم بسرقة ، وقتلا زوجته. فى حدث آخر ، عبرت قواتنا الحدود بالخطأ . فى حدث ثالث ، فى أعماق الأردن ، اشتبكت دورية إسرائيلية مع الحرس الوطنى وقتلوا أربعة منهم . (٣١ مايو ١٩٥٤) .

مئات العمال الإسرائيليين عرفوا الحقيقة وتضاحكوا حين سمعوا نشرات الأخبار. كتب رئيس الوزراء : " هل نسمح للجيش بالتصرف كما يود حين يخاطر بأمن بلادنا ؟ " (١٣ مايو ١٩٥٤) .

فى ٢٧ يونيو ، اخترقت مجموعة إسرائيلية الحدود " بالخطأ " . وعلى بعد حوالى ١٣ كيلو مترا فى أعماق الضفة الغربية ، هاجمت معسكرًا أردنيًا شرق قلقيلية . قال شارُت : " هم يكذبون كل يوم ، ويفتقدون التحضر " حين استمع لأقوال الجيش الإسرائيلى عما حدث .

ما خشاه شارُت أكثر من أى شىء آخر كان رد الفعل الغربى . وقد سجل بالفعل بعض دلائل ضيق العواصم الغربية فى يومياته . تقارير السفارات الغربية فى العواصم العربية أكدت أن إسرائيل تسير حسب خطة منظمة تهدف لإشعال فتيل الحرب فى المنطقة . الدبلوماسية الأمريكية ادعت أن هدف إسرائيل هو إفشال المفاوضات الأمريكية المصرية ، والمفاوضات الأمريكية مع تركيا والعراق ، التى تهدف لخلق علاقات جيدة مع العرب (١٤ أبريل ١٩٥٥) . وكان هذا التحليل صادقًا ، وأكده رفض إسرائيل بعد بضعة أسابيع للحدود الآمنة التى وافقت عليها مصر ، ووجود دوريات مصرية إسرائيلية وقوات من الأمم المتحدة فى المنطقة . مثل هذه التنظيمات ، قال ديان : " ستقيدنا . " وأكد على صدق تحليل شارُت كذلك القبض على مجموعة إرهابية فى القاهرة سعت لتدمير المؤسسات الغربية داخل مصر .

وقد استمرت التعديات بصيغ مختلفة بلا قيود خلال العامين المقبلين ، حتى بداية حرب السويس ، وبعد ذلك . مثلاً لاحظ شارُت أحد هذه التعديات ، " من النوع الأسوأ " في مارس ١٩٥٥ ، فوراً بعد عملية غزة . فقد أعلن الجيش عن عملية انتقامية بعد مقتل رجل وامرأة . حسب أقوال الجيش ، فإن مجموعة من الشباب ، تشمل أخا القتيلة، عبروا الحدود ، هاجموا عدداً من البدو ، وقتلوا خمساً منهم . الجيش ادعى أنه عرف بهذه المعلومات لاحقًا ، ولذلك لم يستطع إيقاف الهجوم قبل وقوعه . أما الأردن ، فقدم قصة مخالفة تمامًا : عشرون جنديًا إسرائيليًا هاجموا ستة من البدو ، قتلوا خمسة منهم ، وأبلغوا الأخير أن هدفهم هو الانتقام لمقتل الرجل والفتاة . وتركوه لإبلاغ الآخرين . نفى الجيش تورط أى جنود فى العملية . قال شارُت : " هذا يدل على أننا ننوى إعلان الحرب : البارحة غزة ، واليوم الحدود الأردنية ، وغداً سورية ، إلخ . فى لقاء الوزراء غداً ، سأطالب بمحاكمة المتهمين " . (٥ مارس ١٩٥٥) .

وصف بن جوريون ، بعد عودته للحكومة بسبب قضية لافون ، كيف قبض الشباب على فتيان البدو ، وأخذوهم إلى الوادى ، وقتلوهم واحداً بعد الآخر ، وكيف حققوا مع كل منهم ، بلا فائدة لعدم وجود لغة مشتركة . وقد سلموا نفوسهم إلى الجيش بعد ذلك، واعترفوا بما فعلوه . قال شارُت : " سعينا أنا وبن جوريون لمحاكمتهم فى محكمة عسكرية . فالجيش لن يحترم أى عقوبة من محكمة مدنية . ولكن وزير العدل أبلغنى باستحالة محاكمتهم أمام محكمة عسكرية . فتحول الأمر إلى محكمة مدنية فى نهاية المطاف " . (٦ مارس ١٩٥٥) .

> **احتفل الناس بالعيد ، واستمعت فى الراديو لموسيقى جميلة . بعضها عبر عن موهبة حقيقية ، وروحية وبحث عن الجمال . تفكرت بشأن طبيعة ومصير هذا الشعب القادر على الحب للناس والطموح النبيل . وفى ذات الوقت ، يوجد بين شبابه من يعشقون القتل والتدمير . أى من هاتين المجموعتين ستنتصر على الأخرى؟ (٨ مارس ١٩٥٥) .**

وأخيراً تسلم البوليس الأربعة ورفضوا الحديث تمامًا . اتصل شارُت ببن جوريون، فقال الأخير له : " ذلك من حقوقهم . ولا يمكن استخدام اعترافهم العسكرى فى محكمة مدنية " . (١٠ مارس ١٩٥٥) .

طلب البوليس مساعدة الجيش فى التحقيق .. ولكن وزارة الدفاع رفضت ذلك . بات واضحًا أن الجيش يحمى هؤلاء الفتية . لاحظ شارُت أن الجميع تعاطف مع الذين قتلوا البدو وأن الرأى العام وقف فى صفهم .

حين وصلت إلى تل أبيب ، أبلغنى ضابط أن عملية الانتقام نظمها آريل شارون ، وهو قائد عسكرى . " هو والأربعة عبروا الحدود مدججين بالسلاح والذخيرة . الضابط لمح إلى أن ديان عرف بالموضوع بأكمله باكرًا . بل وأن الأربعة الآن يرفضون الحديث بعد أن طلب شارون منهم ذلك . بدأوا بانتقادى لأنى كشفت أسماء هؤلاء الأفراد إلى الإعلام . قالوا إنى تسببت فى سجن شباب سيخدمون إسرائيل وجيشها فى المستقبل " . (١١ مارس ١٩٥٥) .

الأربعة مستعدون للاعتراف مقابل عفو عام . (١٣ مارس ١٩٥٥).

فى الثلاثينيات ، حاولنا التحكم فى عواطف الانتقام وعلمنا العامة أنها صفة سلبية . والآن نبرر الانتقام بشكل مبرمج . لقد أوقفنا أى قدرة على التحكم وكبح جماح هذه الغريزة حتى صارت قيمة أخلاقية . الكثيرون الآن يدافعون عنها ، خصوصًا الشباب ، بل وبات الانتقام مقدسًا فى كتائب شارون التى تعتمد عليها الدولة (٢١ مارس ١٩٥٥.) .

استغرب السفير البريطانى نيكولاس ، من خروج الأربعة من السجن . تذكر أن القوات الأردنية قبضت على قاتل الرجل والفتاة .. " أى مقارنة يمكن عقدها بين أسلوبهم وأسلوبنا . أبلغونى أن الجيش عرف بهذه القضية منذ بدايتها ، وشجعوها . (٢٨ مارس ١٩٥٥) .

بعد ستة أعوام فى ١١ يناير ١٩٦١ عاد شارُت إلى هذه القضية المخيفة .

الظاهرة التى بقيت بيننا لأعوام هى انعدام الحساسية للأخطاء ، للفساد الأخلاقى . بالنسبة لنا ، الخطأ ذاته ليس شيئًا جادًا ، يقلقنا فقط إن أدى إلى خسارة ، مثل فقدان القوة أو التأثير .

ليس لدينا رؤية أخلاقية لما يحدث ، بل رؤية عملية . مرة قتل جنود إسرائيليون عدداً من العرب للانتقام ولم يحدث أى شىء . لم يفقد أحد وظيفته ، ولم تضعف سلطة أحد . المسئولون عن كفر قاسم أيضًا لم يعاقبوا على أفعالهم . لا عقوبة على قتل العرب . (١١ يناير ١٩٦١) .

استطرد شارُت قائلاً : " كل ذلك يجب أن يؤدى للغضب ، والبحث عن العدالة والصدق " . " دولتنا ستبدو فى أعين العالم وحشية همجية ، لا تؤمن بمبادئ الصدق والعدالة كما يفهمها العالم " .

قضية لافون : الإرهاب لإجبار الغرب ..

" الهدف الأساسى إيقاف التقارب المصرى الغربى . الطريقة : تدمير المراكز الثقافية الغربية فى مصر ، والمؤسسات الاقتصادية ، وحافلات تقل البريطانيين، خصوصًا العاملين فى السفارات ، وأى هدف آخر يضعف العلاقات المصرية الغربية . ثانيًا ، أبلغونا بإمكانيات العمل فى قناة السويس ، ثالثًا – استمعوا لنا كل يوم الساعة السابعة على الموجة ج " .

هذه الرسالة بعثتها المخابرات الإسرائيلية للجواسيس الذين أقاموا فى مصر منذ زمن بعيد ، قبل بدء العمل فى يوليو ١٩٥٤ . الأوامر التالية قدمها شفهيًا الكولونيل بنجامين جيفى ، رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية إلى ضابط يذهب إلى مصر للانضمام إلى الحلقة :

هدفنا هو كسر ثقة الغرب بالنظام القائم فى مصر .. الأفعال يجب أن تؤدى إلى القبض على أبرياء ، مظاهرات ، والرغبة فى الانتقام . المسئولية الإسرائيلية يجب أن تتحول إلى أى عامل آخر يغطى عليها . ما نسعى له هو إيقاف أى معونات عسكرية غربية إلى مصر . اختيار الأهداف التى سيتم تدميرها مسئولية الرجال فى الموقع ، الذين يجدر بهم تقييم نتائج أى فعل . الهدف هو خلق الفوضى الجماعية .

وقد طبق عشرة يهود مصريون هذه الأوامر بين ٢ يوليو ، ٢٧ يوليو ١٩٥٤ . كانت المفاوضات بين مصر ولندن على أشدها بشأن قناة السويس ، وإمكانيات التحالف بين بريطانيا والولايات المتحدة ومصر تزداد كل يوم . تم تفجير دور سينما يملكها بريطانيون ، ومواقع ثقافية أمريكية وبريطانية ، وحتى مراكز بريدية فى القاهرة والإسكندرية . الاتهامات أسقطت على الإخوان المسلمين ، الذين كنُّوا العداء لعبد الناصر . وأخيراً تم كشف المجموعة فى ٢٧ يوليو ، حين قبض على أحد أفرادها بعد أن انفجرت القنبلة فى جسده فى الإسكندرية .

فى التاريخ ذاته تم إبلاغ شارُت ، الذى جهل الحقائق ، وبدأ يجد الأدلة على مسئولية وزارة الدفاع والجيش على ما حدث . لم يفعل أى شىء حتى ٥ أكتوبر ، حين أعلنت مصر وقت محاكمة المخربين . آنذاك اعتبر شارُت المحاكمة نوعًا من معاداة السامية . فى ١٣ ديسمبر ، بعد بدء المحاكمة بيومين ، انتقد فى الكنيست " المخطط ، المحاكمة الصورية ، لعدد من اليهود الأبرياء ضحايا اتهامات كاذبة . " بعض الجرائد اتهمت مصر بالسير " على خطى هتلر . " قصص عن اعترافات انتزعت عن طريق التعذيب شاعت فى الصحافة الإسرائيلية . عرف شارُت أن هذه الاتهامات غير صادقة ." فى الحقيقة ، باستثناء ما حدث لهم فى أول يومين ، حين تعرضوا للضرب كانت المعاملة إنسانية . ولكنه لم يتحدث أمام الناس ، ولم يهاجم عبد الناصر كذلك . الجميع التزموا الصمت ، حتى ظهرت الحقيقة فى فبراير . بدا واضحاً أن الحكومة الإسرائيلية بالفعل زرعت خلية تجسسية فى مصر .

حين انتهت المحاكمة أعدم اثنان من الجواسيس ، وأرسل ثمانية السجن لمدد طويلة ، وفر قائدا الخلية ، وانتحر الثالث . الأسئلة التى أقلقت رئيس الوزراء كانت عمن قدم الأوامر لتشغيل الخلية ، ولم تتضح الأجوبة إلا بعد ستة أعوام ، حين تمت تبرئة لافون ، وبات واضحاً أن ديان ، بيريز ، وآخرون ، زوَّروا وثائق ، وقدموا شهادات كاذبة ، لاتهام وزير الدفاع . فى ٥ – ٥ – ١٩٥٤ ، شارك شارُت فى اللجنة المسئولة عن التحقيق ، معتقداً أن قيادة الأمن مذنبة فى هذه العملية . كان يود كذلك كشف حقيقة الإرهاب الإسرائيلى ، والحديث عنه وإنهائه . كان متأكداً من تورط ديان وبيريز فى العملية .

الناس يسألونني إن كنت متأكداً أنه قدم الأمر .. يمكن أن يكون جيفيلي قد تصرف وحيداً . ولكن المسئولية الأخلاقية تقع على عاتق لافون ، الذى دافع دوماً عن عمليات مجنونة ، وعلم القيادات العسكرية كيفية إشعال الحرب ، خلق التوتر ، المواجهات الدامية ، وأفعال اليأس والانتحار .

فى هذه اللحظة ، كان باستطاعة شارُت تغيير تاريخ الشرق الأوسط . لو كان قد تحدث للرأى العام بصراحة وصدق ، وكسر حاجز الصمت ، وانتقد السياسات الإرهابية لإسرائيل ، ودعا لبديل أفضل ، لاستطاع تغيير الأوضاع مستخدماً صلاحياته الواسعة . رد الفعل على عمل كهذا فى إسرائيل والشرق الأوسط سيكون جيداً . سقوط لافون وجماعة بن جوريون ، بقيادة بيريز وديان ، كان سيعيق عودة بن جوريون ذاته للسلطة . الأحداث كانت ستسير بطريقة أخرى .

ولكن ما حدث هو أن رئيس الوزراء افتقد الشجاعة لفعل كهذا . وقد خشى دوماً أن يتهم بالتخوف من المواجهة ، من قِبَل الناشطين من الصهاينة . وهكذا برر لذاته سلبيته ، وإن عرف فى أعماقه أن خنوعه تواطؤ مع أعدائه سيؤدى لإنهاء عمله السياسى فى نهاية المطاف ، الاعتراف بحقيقة ما حدث قد يضر المتهمين فى القاهرة ، وصورة إسرائيل أمام العالم . وقد يتشتت الحزب الذى يقوده مع لافون وبن جوريون ، مما يفقده الأغلبية فى الانتخابات القادمة . وهكذا انتهى به الأمر بالتورط فى المؤامرات التى حيكت حوله ، من قبل من عارضوه فى الحكومة ، الجيش والحزب . فى منتصف فبراير ، اضطر لأن يطلب من بن جوريون العودة إلى الحكومة بدلاً من لافون.

فى يناير ١٩٥٥ ، عرف شارُت أن الأطراف المختلفة فى السياسة الإسرائيلية تستخدم قضية لافون حسب مصالحها . أدرك أن البعض يسعى لاستغلال هذه القضية لإسقاط حكومته . خشى ديان أن يختار شارُت لجنة تقوم بالتحقيق معه . لافون هدد بالانتحار إن اعتبروه مذنباً فى هذا الموضوع .

قدم تيدى لى صورة مرعبة عن علاقات قيادات المؤسسة العسكرية . وزير الدفاع وحيد تماماً ، ولا أحد من شركائه يتحدث معه . خلال التحقيق ، هدده هؤلاء الشركاء (ومنهم بيريز وديان) بتشويه سمعته وإسقاطه . قبضوا على الرجل الذى عاد

من مصر وهو إبراهيم زايدنبرج ويسمى أيضًا بول فرانك وأبلغوه بما يجدر به قوله ، ورتبوا القضية بحيث تسقط الاتهامات على لافون فقط . تيدى يؤكد أنه انتهى . جيلفى كذلك سيذهب . ولكن لا يجدر الاقتراب من ديان حاليًا . (٩ يناير ١٩٥٤) .

لم أتصور أبدًا أن علاقاتنا ستتسمم لهذه الدرجة . وأن عواطف الحقد والكراهية والخداع ستتفجر فى وزارة الدفاع .

أسير مثل مجنون ، ضائعًا مرعوبًا ، لا أعرف ماذا يجدر بى أن أصنع . ماذا سأفعل ؟ (١٠ يناير ١٩٥٤) .

غضب آسير (رئيس الشين بيت) لأن القضية مرت بدون معرفته بها ، وأبلغنى قصصًا مرعبة عن حوار دار بينه وبين جيلفى بشأن اختطاف مصريين من غزة وأوربا وقبرص . اقترح أيضًا تفجير السفارة المصرية فى عمان إن تم إعدام المساجين فى القاهرة . (١٤ يناير ١٩٥٥) .

قال شارُت لأحد رفاقه ما يلى عن القيادات الأمنية الإسرائيلية :

ديان مستعد لاختطاف الطائرات والقطارات ، وإن أذهلته فكرة لافون بشأن غزة . ماكليف اقترح اغتيال شاشكلى وإن تردد حين اقترح لافون أن نبدأ حربًا ضد سوريا . وقد خلق لافون الطباع المغامرة فى الجيش واقترح أن الدول العربية والغربية أيضًا أعداء ، وأن الطريق الوحيد لإيقاف مخططاتهم هى الأفعال التى ستخيفهم . (٢٦ يناير ١٩٥٥) .

يقول عبد الناصر : يمكن التعايش مع إسرائيل ، فيجيب بن جوريون بعملية غزة ..

يعلق أحد المسئولين الأمريكان على أفعال إسرائيل الإرهابية فى مصر ، فيقول فى ٨ فبراير ١٩٥٥ : إن شارُت " لا يسيطر على الأوضاع إن أمكن حدوث مثل هذه الأفعال المجنونة " . كتب رئيس الوزراء ما يلى : " وقد خشيت الولايات المتحدة استفزازات إسرائيلية أخرى تسعى لتخريب اتفاقية أنقرة ، بغداد ، التى وقعت منذ

فترة وجيزة . وهكذا قررت الضغط على مصر للتفاوض مع إسرائيل ، وعرضت على إسرائيل اتفاقية أمنية " . قرر شارُت اختيار يجال يادين ليمثله في المحادثات . (٢١ يناير ، ١٩٥٥) .

التقيت مع روجر بالدون ، ممثل منظمة حقوق الإنسان الأمريكية الذي زار مصر . تحدث عبد الناصر معه بشأن إسرائيل ، مؤكداً أنه لا يود إلقاء إسرائيل في البحر . آمن أن السلام معها ممكن، وأدرك أن التفاوض سيتم يوماً ما . (٢٥ يناير ١٩٥٥) .

وصلتني برقية من إيبان : الولايات المتحدة مستعدة للاتفاق معنا وستلتزم بعدم توسيع حدودنا بالقوة . (٢٨ يناير ١٩٥٥) .

المخابرات الأمريكية اتصلت بسفارتنا ونصحت مرة أخرى بلقاء عبد الناصر ، الذي لا يربط اللقاء بقضية لافون . الرئيس المصري مستعد للقائنا ، والمبادرة تقع على عاتقنا . (١٠ فبراير ١٩٥٥) .

بالنسبة لاقتراحات واشنطن بشأن اتفاق أمني ، اتصلت بإيبان وأبلغته باستعدادنا لتقبل فكرة عدم توسيع الحدود بالقوة وإيقاف أي أفعال عدوانية ، لأن ذلك سيوقف أي أفعال انتقامية (١٤ فبراير ١٩٥٥) .

وهذا السطر الأخير يدل على أن أخبار الاقتراح الأمريكي ، وإمكانية التفاوض بين شارُت وناصر شاعت بين قيادات الأمن الإسرائيلي .

ازدادت الضغوط على شارُت . في ١٧ فبراير ، وافق بن جوريون على دعوة رئيس الوزراء للعودة لوزارة الدفاع . كتب شارُت في يومياته : " هذا آخر أيام الهدوء والسكينة " .

وصل بن جوريون ، ومعه خرائط . فهمت فوراً موضوع النقاش . النية كانت الهجوم على قاعدة الجيش المصري في غزة . اعتقدت أن خسائر العدو ستكون حوالي عشرة رجال ، وأننا سنفقد

بعض الجنود كذلك . أكد أن هدفه ليس القتل بل تدمير المباني . إن فر المصريون ، فلن يموت أى إنسان .. وافقت على الخطة . عملية الاقتحام الأخيرة التى قاموا بها تتطلب ردًا فوريًا . حزنت لأن بن جوريون سيكسب ود الناس بهذا الهجوم .. وإن كنت أنا الذى وافقت عليه ، قبل مجيئه إلى الحكومة من جديد . الصدفة فقط أجلت التنفيذ . كنت سأوافق بغض النظر عن كون بن جوريون وزير الدفاع . (٢٧ فبراير ١٩٥٥).

ذهلت حين سمعت الأخبار . عدد القتلى (٣٩) والجرحى (٣٠) غيّر طبيعة العملية. سيكون لهذا العدوان آثار سياسية وعسكرية وخيمة . المتحدث باسم الجيش قدم أخبارًا كاذبة : وحدة من قواتنا تعرضت للهجوم داخل الحدود فردت على النار بالمثل فحدثت المعركة . من سيصدقنا بعد ذلك ؟ (١ مارس ١٩٥٥) ذات القصة القديمة تكررت : هاجم وفر ، واخدع العالم .

السفارات بدأت بالهجوم على مصر ، بدلاً من الدفاع . الآن سيعتقد الناس أننا المعتدون ، وأننا متعطشون للمجازر . سيتصور البعض أن هذه المعركة تعبر عن سخط الرأى العام الإسرائيلى من القوى العالمية التى لا تسمح لنا بالتصرف والانتقام. لنسعى على الأقل لأن يتصوروا هذا . قلت إننا نرغب فى أن تركز الصحف على ما يلى : أولاً : الرأى العام الإسرائيلى غاضب لأن القوات المصرية هاجمت إسرائيل . ثانيًا: يبدو أن التصادم تحول إلى معركة بعد إطلاق النار . ثالثًا : ادعت مصر دومًا أنها فى حالة حرب مع إسرائيل يجسدها الحصار ، وهذه هى النتائج ، رابعًا : إن هذا الحادث لا ينفصل عن سياق ارتباط الولايات المتحدة بدول عربية ، وشعور إسرائيل بالعزلة . أحدث الأمثلة هو التحالف التركى العراقى الذى تعتبر إسرائيل أهدافه معادية لها .

والنقطة الأخيرة تطلبت الكثير من الدقة ، بحيث لا يقال إنا قلناها ، بل توضع على لسان الصحافة .

وحين كتبت هذه النقاط ، لم أعرف مدى قوة الأدلة الدامغة التى تثبت كذب القصة الرسمية التى ادعيناها . الكم الضخم من السلاح والمتفجرات ، أسلوب الهجوم ، تفجير الطرق ، بل وتوقيت الهجوم . ومن سيصدق أن عملية معقدة مثل هذه تنتج عن إطلاق نار عشوائى ؟ تعذبنى فكرة أن هذا هو فشلى الأكبر فى أداء وظيفتى . من يعرف النتائج السياسية والأمنية ؟ (١ مارس ١٩٥٥) .

إحدى النتائج كانت التالية : البارحة ، تحدثت مع ممثل الأمم المتحدة ، وأبلغنى أن عبد الناصر كان يتصور إمكانيات تصالح مع إسرائيل ، ولكن الهجوم على غزة أنهى الموضوع . قال السفير الأمريكى لوسون : إنه يعتقد أن أسباب توتر أهم الدول العربية قلقها من عودة بن جوريون ، الذى يعتبرونه الاستعداد للبدء فى الحرب . الأمريكان كذلك يخشون حربًا جديدة تبدو وشيكة . ولذلك يتمنون الوصول لالتزام بأن أفعالاً كهذه لن تتكرر. (١٢ مارس ١٩٥٥) .

ولكن بن جوريون فى الواقع عاد للحكومة لرفض هذا الالتزام . فى مارس ٢٥، بعد أقل من شهر من الهجوم على غزة ، اقترح أن تسعى إسرائيل لاحتلالها والبقاء فيها . واستمر النقاش لخمسة أيام ، وتفرق الوزراء ما بين مؤيد لبن جوريون ، ومعارض له بقيادة شارُت . ورُفض الاقتراح . أو على الأقل تأجل إلى إشعار آخر . أما المعاهدة الأمنية التى عرضتها الولايات الأمريكية ، فقد رفضت لأنها ، كما قال ديان فى أبريل ٥٥ : " ستقيد حريتنا العسكرية " وقدّم تفاصيل عما يعنيه فى مايو ٢٦ ، خلال لقاء مع سفراء إسرائيل فى واشنطن ، (أبا إيبان) ، وباريس (ياكوف تسور) ، ولندن (إلياهو إليات). الحوار نقله شارُت لاحقًا :

لا نحتاج لاتفاق أمنى مع الولايات المتحدة . مثل هذا الاتفاق سيحد من حرياتنا . لا خطر علينا من الدول العربية خلال الثمانية إلى العشرة أعوام القادمة . حتى لو وصلت لهم معونات غربية ، فإننا نبقى الأفضل تسلحًا بسبب قدراتنا على التعامل

مع أحدث الأسلحة. الاتفاق سيقيدنا ويحد من حرية الحركة التى نحتاجها الأعوام القادمة . الأفعال الانتقامية ستتوقف إن اتفقنا مع الولايات الأمـريكيـة، وهـى ضـرورية لنا . إذ نسـتطيـع عن طريقـها إبقاء التوتر بين أفـراد الشعب وفى الجـيش . بدون هذا التوتر لا نكون شعبًا محاربًا منظمًا .لابد أن نصرخ إن أوضاعنا خطرة، فيذهب الرجال للمواجهة .

استنتاجات ديان واضحة : الوضع كان بلا قيود ، أو مشاكل اقتصادية ، تفرض السـعى وراء السـلام . لابد لإسـرائيل من الاسـتـمـرار فـى العدوانيـة . الصـراع هو الوسـيلة الوحـيدة للحـفـاظ على العـزيمة . لابد مـن خلق الخطر إن لم يوجـد . لابد من الاستفزاز والانتقام . وفوق كل شىء دعنا نأمل أن حربًا جديدة مع الدول العربية ستقع ، حـتى نكسب أراضـى إضـافـيـة . (مـثل هذه الكلمـة كررهـا بن جـوريون إذ قـال : إن الحرب مع العرب تستحق مليون باوند (٢٦ مايو ١٩٥٥) .

فى ١٤ أغـسطس ، زار آلمر جـاكسـون القـدس . بعـد لقـاء مع وزير الخـارجـيـة المصـرى، مـحـمـد فـوزى أكد لشـارت أن مـصـر لا تزال ترغب فى تطبيـع العـلاقـات مع إسرائيل . فـى ٧ أكتوبر ، قال الرئيس المصرى إلى صحفى النيو يورك تايمز كنث لاف : " ليس هناك من عربى يقول اليوم إننا نود تدمير إسرائيل . ولكنها اتخذت قراراتها" .

تشتيت اللاجئين الفلسطينيين :

أحد الأسباب الأساسية لتصميم إسرائيل على سياساتها الانتقامية كان رغبة القيـادات الإسـرائيلية فى نقل مـخيـمات اللاجـئين من عرب ٤٨ إلى مـواقع بعيـدة عن خطوط التماس ، وتشتيتهم فى العالم العربى . لم يكن سـبب ذلك ، فى الخمسينيات ، العوامل العسكرية . فـالواقع ، كمـا شـاهدنا هو أن الحكومـة الإسـرائيلية ودت ازدياد التـوتر ، لا تقلصـه . بل وسـعت لخلق الشـعـور بالخطر بين المسـتـوطنين عن طريق الاستفزاز والإعلام الكاذب .فى تلك الأعوام لم توجد أى مقاومة فلسطينية منظمة . كان الواضح هو أن الدول العربية ، أرادت إبقاء موضوع المهجرين حيًا فى الساحة الدولية، بدلاً من الاستعداد لحرب لتحرير فلسطين . ولكن وجودهم على خطوط التماس فى غزة والضفة الغربيـة كان تذكيرًا بعـدم وجـود شرعية لاحتلال أرض ٤٨ ، كمـا ثبت حدودًا

لا تعترف إسرائيل بها . إن وجود مهجرين فلسطينيين يدفع العالم للاهتمام بمعاناتهم، ويساعدهم على الرجوع إلى ديارهم ، كما يضعف من الرؤية الإسرائيلية المقدمة للعالم، بعدم وجود شعب فلسطينى له حقوق مشروعة .

لم تختلف وجهة نظر شارُت عن غيره من النشطين الصهاينة بشأن القضية الفلسطينية ، وإن لم يحبذ استخدام العنف . رفض تمامًا دعوة الكونت بارنادوت لإعادة الفلسطينيين المشردين إلى ديارهم عام ١٩٤٨ . وبعد عام ، سخر من فكرة وجود وطن فلسطينى فى الضفة الغربية وعارض الاتفاق مع الملك عبد الله بشأن تقسيم الضفة الغربية بين إسرائيل والأردن . يوميـاته تحوى الكثير من المساعى لبدء المفاوضات بين العرب والحكومة الإسرائيلية بشأن إعادة توطين المهجرين فى ليبيا ، أو سوريا ، أو العراق . (يستشهد شارُت بقول مصطفى عبد المنعم ، السياسى العربى المعروف ، إذ قال : " يجدر بالمهجرين الاستقرار فى البلاد المجاورة ، أو حتى فى سيناء ") . فى ٣٠ يونيو ١٩٥٤ ، التقى شارُت بممثلى اتحاد اللاجئين الفلسطينيين ، ومنهم محمد يحيى ، بشأن دفع تعويضات . وأخيرًا ، قدم شارُت رأيه الصريح حول قضية اللاجئين حين حادث السفراء الإسرائيليين بشأن اتفاقية الأمن التى اقترحتها الولايات المتحدة : " ربما يحاولون الضغط علينا للتصالح بشأن الأرض واللاجئين . حذرت السفراء من إمكانية إعادة بضع عشرات الآلاف منهم ، حتى إن كان السلام هو الثمن " . وهذه كانت وجهة نظر رئيس الوزراء اليسارى الذى ادعى ثقافة واسعة بالشأن العربى لأنه قضى عامين أثناء سنوات المراهقة فى قرية عربية فى الضفة الغربية ، لأنه يعرف العربية ، ولأنه عاش فى سوريا خلال الحرب وخدم فى الجيش التركى . إن رأيه بشأن القضية الفلسطينية واضح فى مذكراته فى ١٥ نوفمبر ١٩٥٣ ، إذ يقول واصفًا الفلسطينيين الذين يحاولون العودة إلى ديارهم :

خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة ، دخل ٢٠٠٠٠ من هؤلاء المتسللين إلى إسرائيل ، وعاد كذلك ثلاثون ألفًا بعد الحرب .. فقط لأن هؤلاء العشرين ألفًا لم يستلموا وثائق استطعنا الحد من سعيهم للسكن بيننا . لو تخلصنا من الحكومة العسكرية لاخترق الحدود آلاف منهم إلى أعماق ديارنا . حتى الآن ، يوجد فى إسرائيل

حوالى تسعة عشر ألف فلسطيني يمتلكون تصاريح عمل ، وإن حق لهم ذلك في الجنوب والغرب فقط .. لابد من الوصول لحل لمشكلة المهجرين، ولكنهم يرفضون الاستقرار فى الخط الآخر من الحدود . حتى إن بنينا لهم منازل ، يرفضون السكن فيها ، العرب الذين يستمرون فى الحياة على أراضيهم يستفيدون ، لأن تكاليف معيشتهم أقل من اليهود . وهم أيضًا لا يحتاجون للحماية الأمنية. من الواضح أن هذه الأوضاع ستبقى الحكومة العسكرية فى إسرائيل (١٥ نوفمبر ١٩٥٣) .

خلال عامي ١٩٥٣ - ١٩٥٤ ، أشار شارُت لاقتراحات بن جوريون ، وديان ، ولافون بتهديد مصر : إما أن يتم نقل الفلسطينيين من غزة إلى داخل مصر ، أو .. النقاش الذى تم فى مجلس الوزراء فى آخر أسبوع من مارس ، ١٩٥٥ ، بشأن رغبة بن جوريون فى احتلال غزة ، يشرح الموقف :

طالب وزير الدفاع بإلغاء المعاهدة الأمنية مع مصر ، وبدء الحرب. . شجبت هذا المنطلق العدواني . أكدت له أن اللاجئين فى حال احتلال غزة ، سيذهبون إلى منطقة أخرى قريبة ، فتعود المشاكل . يمكننا تصور مدى غضبهم ومرارتهم . وستبقى جماعات منهم فى القطاع . وسيكون استخدام القوة لكبتهم ضروريًا . وستعود الكراهية نتيجة لذلك . الإعلام الغربى سيقول: احتلت إسرائيل غزة ، وسيقول كذلك : تتزايد أعداد المشردين . (٢٧ مارس ١٩٥٥) .

وفى لقاء آخر مع الوزراء دام لست ساعات قدم شارُت أفكارًا أخرى فى السياق ذاته :

ما نجحنا فى تحقيقه عام ٤٨ لن يتكرر ثانية . اليوم لابد لنا من الاعتراف بالحدود وتقليص التوتر مع جيراننا والاستعداد للسلام، وربط دولتنا بالقوى العظمى . أما احتلال غزة ، فلن يحل المشكلة الأمنية . المهجرين سيبقون سببًا لأزمات دائمة لأنهم سيعانون أكثر بسبب الاحتلال الجديد. (٢٩ مارس ١٩٥٥).

انتقد بن جوريون معارضيه ، لأنهم لا يعرفون أن الحل الوحيد للمشاكل الإسرائيلية هو الأفعال الجريئة . مشكلة المشردين متعبة بالفعل ولكن يمكن تهجيرهم إلى الأردن .

السعى لإسقاط عبد الناصر

فى ذات اللقاء ، حاول بن جوريون :

> **إثبات أن مصر تسعى للتحكم فى أفريقيا ، غربًا إلى المغرب ، وجنوبًا إلى جنوب أفريقيا حيث سيثور السود على البيض ويخضعون لعبد الناصر الذى لن يرد على احتلال غزة لأنه يخشى أى هزيمة عسكرية . والدول العربية لن تساعده على كل حال . أما الأنظمة الغربية فلن تستجيب . القوة العسكرية فقط ستحولنا إلى قوة سياسية . هذه هى اللحظة الملائمة، لأن العالم العربى مشتت ، ومصر لم توقع أى معاهدة مع الولايات المتحدة أو بريطانيا .**

بقى منع أى اتفاق بين الغرب والعالم العربى ، وخصوصًا مصر ، فذلك يعد هدفًا أساسيًا لإسرائيل . لم يتعلق الأمر بأمن إسرائيل . بالعكس ، رفضت إسرائيل أى اتفاق أمنى مع الولايات المتحدة إن كان سيحد من حريتها . ويؤدى لبدايات السلام مع العرب . سياسيو إسرائيل اعتبروا أن استخدام السلاح هو الطريقة الوحيدة للحياة فى الشرق الأوسط . كما ودوا التخلص من الرئيس عبد الناصر ليس لأنه خطر على إسرائيل ، بل لأن احترامه من قبل دول العالم الثالث ، وعلاقاته بالغرب ، سيؤدى إلى تقليص دور إسرائيل إلى مجرد دولة مثل بقية دول المنطقة . وقد عرف الإسرائيليون أن مصر لا تشكل أى خطورة عليهم . كتب شارت :

> **عبرت عن شكى بشأن ازدياد قوة مصر العسكرية ، نظرًا لأنى لاحظت المشاكل الداخلية الكثيرة التى تواجهها . حوالى ٥٠٠ ضابط ، بينهم أهم القيادات ، تركوا الجيش بعد أن ذهب الرئيس نجيب ، وانتقلوا لوظائف إدارية .**

ولكن الحملة الإسرائيلية لم ترتبط بالحقائق بتاتًا : قال بن جوريون فى المؤتمر الوزارى : إن عبد الناصر يخطط للقضاء على إسرائيل . وفى ذات الوقت حاول الموظفون الإسرائيليون إقناع الغرب بالابتعاد عن مصر . واعتمدوا فى ذلك على شهادات كتبها مصريون : " التقى جديون رافيل بشخصية مصرية رأسمالية معروفة ، وهو عبود باشا ، الذى اعتقد أن الأوضاع فى بلده غير مستقرة . الخلافات بين القيادات كثيرة ، ولكل منهم من يدعمه" . (٣١ يوليو ١٩٥٥) . وقد سعت إسرائيل أيضًا خلال تلك المرحلة للفصل بين الدول العربية ، مثل : مصر والسودان .

تخبطت الإدارة الأمريكية ، إذ دعا بعض أفرادها لتحالف إستراتيجى مع القاهرة، ولكن كانت للضغوط الإسرائيلية أيضًا تأثيرها . وهكذا لم تقدم الولايات المتحدة لمصر ما طلبته من سلاح ، باستثناء مسدس صغير قدمه أيزنهاور للرئيس نجيب ، لم تصل لمصر أية معونات . كما انهارت المفاوضات بشأن معونات غربية لإنشاء سد أسوان .

فى خطبة معروفة ، انتقد بن جوريون سياسات شارُت على أساس أنها ترضى الأمميين ، وستؤدى لتدمير الدولة العبرية . مثل هذه الكلمات أدت لفقدان القاهرة أى أمل فى عقد صلح مع إسرائيل . فى نهاية سبتمبر ١٩٥٥، وقعت مصر اتفاقية تسلح مع تشيكوسلوفاكيا من أجل الدفاع عن نفسها إن تعرضت لهجوم .

الاتفاق مع تشيكوسلوفاكيا أغضب الغرب تمامًا . أيزنهاور قال لشارُت : " نستغرب من صمتكم" . استطرد : " إن هاجمتم مصر التى تتسلح بسلاح سوفيتى ، لن نحتج" . (١ أكتوبر ١٩٥٥) . وفى لقاء تم فى ٣ أكتوبر ، قال لبن جوريون : " إن كان لديهم طائرات ميج ، فلا أمانع من قصفهم" . بدا واضحًا الآن أن الولايات المتحدة تود إضعاف عبد الناصر . ولكنها لا تجرؤ على استخدام أساليب مثل تلك التى تمت فى جواتيمالا أو إيران . الأفضل أن تقوم إسرائيل بالعمل المطلوب .

اقترح بن جوريون أن نقوم بالهجوم على غزة الآن .. الوضع قد تغير وهناك ظروف أخرى تحتم وقت الفعل . أولاً : تم اكتشاف النفط بالقرب من غزة ، ولابد من الدفاع عن منشآت التكرير .

ثانيًا : خيانة مصر للغرب تمنع الدول الأوربية من الاحتجاج على ما نقوم به .

وخلال عام واحد احتلت إسرائيل غزة ، سيناء ، والمضايق ، ووصلت إلى قناة السويس وشاهدت القوات الإسرائيلية القصف البريطانى الفرنسى للسويس والإسماعيلية . منذ ستة شهور ، كان شارُت قد خرج من الحكومة . وعاد بن جوريون لرئاسة الوزراء فى نوفمبر ١٩٥٥ بعد موافقة الولايات المتحدة على الحرب بشهر . قالوا : إن شارُت عاجز عن جلب السلاح الضرورى للدفاع عن إسرائيل . المناخ المحيط بشارُت قبيل رحيله مهم :

> **جلسوا جميعًا – الوزراء – صامتين . لا أحد تطلع لى وجهًا لوجه . لم يصافح أحدهم يدى . بدا وكأنهم جميعًا قد أصيبوا بالشلل ، وكأن حرية الحركة التى تمتعوا بها قد ذهبت ، حرية الكلام صودرت ، حرية التصرف حسب ما يقوله الضمير اختفت. جلسوا فى صمت تام يتطلعون . نهضت وذهبت . (١٨ يونيو ١٩٥٦) .**

فى الشهور التالية سمحت الولايات المتحدة لفرنسا بتصدير طائرات ميراج إلى إسرائيل . أثناء حرب السويس ، تظاهرت الولايات المتحدة بالدهشة ، وحتى بالغضب. ولكن كان هناك فارق بين تعامل الولايات المتحدة مع فرنسا وبريطانيا ، وهما الدولتان اللتان خسرتا فى التنافس الاستعمارى ، ومع إسرائيل . فقد طلبت الولايات المتحدة من فرنسا وبريطانيا التراجع فوراً ، بعد ساعات من بدء الهجوم . أما انسحاب إسرائيل فتأجل لشهور ، وتم بسبب الضغوط السوفيتية . لم يعاتب أحد إسرائيل على فعلها الإجرامى هذا . وهكذا بدأت التعديات ، وكان الانسحاب مرحليًا ، كما أثبتت حرب ٦٧ .

أما موشى شارُت ، فقد تصور أن إسرائيل لن تنجو بدون مساعدة الغرب ، وأن الأخلاقيات الغربية لن تسمح لإسرائيل بأن " تتعامل مع جيرانها حسب قوانين الغابة " حتى يكون الإرهاب مبدأً مقدسًا . قال شارُت لديفد هاكوهن ، حين طلب من إسرائيل التصرف بجنون لتخويف العرب وتهديد الغرب : " إن تصرفنا كالمجانين ، سيتخلى العالم الحر عنا" . ولكن أعداءه أثبتوا خطأ فكره ، وتم تدمير ما كان يرمز إليه .

ما أثبتوه هو أن منطقه العقلانى افتقد للواقعية . ازداد تورط الولايات المتحدة إلى جانب إسرائيل، وساعدت الأخيرة الغرب على تحقيق مصالحه فى المنطقة . كما أن الصهيونية التى تعتمد العنصرية كانت لا أخلاقية ، فإن الغرب زرع فى الشرق الأوسط دولة تعتمد قوانين الغابة ، وتستخدم الإرهاب للتعامل مع شعوب المنطقة . كان هناك منطق آخر فى المعادلات الجديدة ، يتحكم فى الأوضاع المستقبلية . يقول شارُت :

أقول لنفسى كل يوم ، أعترف بالهزيمة . كانوا أكثر مرونة ونشاطًا وحيوية . لعبوا بالنار وفازوا . أعترف أنهم انتصروا فى معركة السويس .. باستثناء الأخلاقيات ، فإن دور إسرائيل السياسى بات أقوى كثيرًا فى العالم . وأنت وحيد ، ليس معك سوى ابنك . الرأى العام لا يشاركك الرأى . بالعكس ، إن عامة الشعب الآن غاضب على الحكام الجدد لأنهم تراجعوا من سيناء وغزة ، وها هم الآن يتجهون إلى بيجن .

(٤)

إسرائيل وقيم السلام

آلفريد م. ليلينثال

تمهيد :

نفد كتاب آلفريد م. ليلنثال من الأسواق بسرعة ، وهو الآن متاح للاستعارة فى العديد من المكتبات الكبيرة .

ويتميز الكتاب بأنه أول الكتب الموسوعية التى كشفت حقيقة ما يجرى فى الشرق الأوسط ، وقدمت وجهة نظر مغايرة للآراء الشائعة فى الغرب .

الفصول التى نختارها من الكتاب هى تلك التى تتناول أولاً ، سيطرة الصهيونية على الإعلام الأمريكى خلال مرحلة السبعينيات بالتحليل . حيث يتحدث المؤلف عن قضية تجاهل الإعلام الغربى للإرهاب الصيهونى ، بل ويسمى هذا التجاهل " إرهاب الإعلام الغربى " الذى قدم وجهة نظر إسرائيل ، وكبت وجهة النظر الفلسطينية حتى اضطر الفلسطينيون لممارسة الإرهاب المضاد لتذكير العالم بمأساتهم . الفصلان التاليان يتناولان المؤسسات الصهيونية الأساسية فى الولايات المتحدة ، ويدرسان الأساليب التى تستخدمها فى الضغط على الآخرين ، وأهمها : القذف وتشويه السمعة، والتهديد الاقتصادى ، والاتهام بمعاداة السامية .

والمؤلف وضح أيضًا أن إسرائيل خلقت ازدواجية أخلاقية بين يهود العالم . فبقاء اليهود يتطلب المحافظة على أنظمة علمانية غير عنصرية . أما فى إسرائيل ، فاليهود

يدافعون عن مجتمع لا يتقبل الزواج بين اليهود وغير اليهود ، ولا يعامل غير اليهود على أساس المساواة ، حيث المثال مجتمع عنصرى تفصل أجزاؤه عن بعضها البعض [١] .

يستشهد المؤلف بإحدى الشخصيات الصهيونية المعروفة ، ناحوم جولدمان إذ قال: " إن كنا قد استثمرنا فى المشكلة العربية عُشر الطاقة والعواطف والثروات التى قدمناها لكسب ود ألمانيا والولايات المتحدة ، لاستفدنا كثيراً ، ولكننا لم نكن مستعدين للحلول الوسط . لم نحاول حتى إقناع العرب بوجود دولة يهودية ، وكان ذلك خطأ فاحشاً" [٢] .

ما حدث فى الواقع يظهر فى الملاحظات التالية التى كتبتها القيادات الصهيونية الباكرة ، ويستشهد بها مؤلف كتاب **إسرائيل وقيم السلام** . يقول رئيس وزراء إسرائيل ليفى أشكول فى لقاء معروف عام ١٩٦٩ : " من هم الفلسطينيون ؟ حين جئت إلى هنا، وجدت حوالى ربع مليون غير يهودى ، أغلبهم من العرب والبدو . كانت فلسطين صحراء ، أراض فارغة . لا شىء . فقط بعد أن حولنا الصحراء إلى جنة وسكناها اهتموا بأخذها منا" .

" وكيف نعيد الأراضى المحتلة ؟ لا يوجد من نعيدها إليه" .

أما جولدا مائير ، فقالت : " لا يوجد فى فلسطين شعب يدعى الشعب الفلسطينى أخذنا الأرض منه . لم يكونوا هنا حين جئنا" .

أسطورة " أرض بلا شعب لشعب بلا أرض " يدحضها وجود سكان أصليين . وقد ذهل أحد المهاجرين الأوائل ، ماكس نوردو ، وهو من رفاق ثيودور هرتزل المقربين، وجاء إليه صارخاً : " ولكن هناك عرب فى فلسطين . لمَ أعرف ذلك من قبل" .

وإن أراد الصهاينة الحياة بسلام مع الفلسطينيين ، لكان ذلك ممكناً . كان لهم مستوطنات قبل وعد بلفور ، وكونوا علاقات لا بأس بها مع السكان الأصليين . أما

---

(1) L.F.Stone, 1975, L. F. Stone Newsletter.

(2) Dr Nahum Goldmann, "President of the World Jewish Congress Writing in New Outlook. Nov. -Dec. 1974.

اليوم ، فاليهود فى فلسطين تحركهم دوافع الوطنية اللا إنسانية ، وأغلبهم يرفضون التعامل مع العرب . فى العصور الماضية ، عاش العرب واليهود بسلام . أما اليوم ، ومنذ تكوُّن الدولة اليهودية ، فقد زادت حدة التوتر بين المجموعتين ، وتزداد الأمور سوءًا كل يوم .

اليهود ذاتهم ممزقون بهذا الشأن ، والكثير منهم يعبر عن عدم رضاه بالوضع الحالى .

كتاب " إسرائيل وقيم السلام " يعبر عن سخط بعض اليهود بشأن سياسات إسرائيل الحالية . ويدعو للسلام ، ولرؤية غربية أكثر عقلانية وعدالة لما حدث ويحدث فى فلسطين منذ أوائل القرن العشرين .

رابعًا : من كتاب "علاقات صهيونية : ما هو سعر السلام؟"

ألفريد م. ليلينثال

لا يمكن الوصول للسلام فى فلسطين بالقوة ، بل فقط عبر التفاهم .. ألبرت أينشتاين.

الإهداء : إلى المسيحى واليهودى والمسلم والعلمانى ، إلى أى إنسان اهتم بالإنسانية أكثر من ارتباطه بالفرقة أو الجماعة ، وكان مستعداً للصراع فى سبيل مبادئه .

تقديم المؤلف :

إن كان لابد من تبرير تأليف كتاب مثير للجدل ، يقدم آراء جديدة ، فى عالم تعوّد سكانه على أفكار مهدئة ، بدلاً من تقبل نظريات لا يتفق الناس عليها ، فقد كانت زيارة الرئيس أنور السادات فى ١٩ - ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧ ، إلى القدس أفضل سبب . الشرق الأوسط المعقد أصلاً صار الآن أكثر تعقيداً .

تطلع الأمريكيون بسعادة لشاشات التلفاز . ها هو رئيس أكبر دولة عربية يخاطب الكنيست ، والمصريون والإسرائيليون يتحدثون ويتبادلون الابتسام . أخيراً وافق العرب على التخلى عن الحرب . السلام فى الطريق .

مثل هذا التفكير المتفائل تجاهل وجود حربين منذ عام ١٩٤٨ فى الشرق الأوسط. الصراع بين إسرائيل والدول العربية كان ناتجًا عما سماه الرئيس السورى حافظ الأسد "الخلاف الجوهرى" - أى الصراع بين الصهيونية فى إسرائيل والعرب الفلسطينيين . وإن كان هناك إمكانية لحل سلمى ينهى الصراع المصرى الإسرائيلى ، فوجود حل ينهى الخلاف على الأرض المقدسة بقى بعيداً .

إن قرار الأمم المتحدة فى ١٠ - ١١ - ١٩٧٥ باعتبار الصهيونية حركة عنصرية قدم لأول مرة حقائق الصراع الصهيونى الفلسطينى للشعب الأمريكى المذهول . ولكن المدافعين عن إسرائيل ، من المسيحيين واليهود ، استجابوا بعنف وطالبوا الإعلام بمهاجمة الأمم المتحدة ، الدول العربية ، ودول العالم الثالث . اعتبر المدافعون عن

القرار "مقلدى هتلر" . اعتقد الشعب الأمريكى ، المؤيد لإسرائيل ، أن هذا عبارة عن هجوم آخر على اليهود واليهودية ، هبة نازية جديدة . إن واقعية قرار الأمم المتحدة ، وأسباب رفض الدول العربية لإسرائيل ، تمت التعمية عليها جميعًا بعاطفية اصطنعها الإعلام .

ما دور الصهيونية وعلاقاتها بصراع الشرق الأوسط ؟ وما الفارق بينها وبين الديانة اليهودية ، إن كان هناك فوارق؟ ولماذا شجع اليهود ، الذين عرفوا بالدعوة لفصل الدين عن الدولة ، جمعهما فى إسرائيل طالبين تعاون أى يهودى فى أى مكان ، سواء أكان متدينًا أم لا ؟ ولماذا تبقى أقلية تؤكد أن معاداة الصهيونية هى معاداة السامية ؟ مثل هذه الأسئلة المحيرة لغالبية الأمريكان تفسر غالبية ألغاز الشرق الأوسط .

لقد كان خلط الوازعين الدينى والوطنى هو ما أدى لتكوين الدولة اليهودية فى قلب العالم العربى ، ونتج عن ذلك ضرر للجميع ، حتى الأمريكان الذين ساهموا فى تكوين الدولة الجديدة . فإن تهجير الفلسطينيين ، الذين باتت أرقامهم خارج فلسطين اليوم أكثر من مليونين وستمائة ألف ، وبعضهم يعيشون فى المخيمات منذ ٣٠ عامًا ، بتكلفة ٧ سنتات يوميًا ، جلب للولايات المتحدة غضب العالم العربى الإسلامى ، مما تسبب فى خلق توتر وحتى معاداة بينهما . كما أن تكوين إسرائيل أدى إلى اختراق المنطقة لأول مرة من قبل الاتحاد السوفيتى ، وخاطر بمصالح أمريكية حيوية ، وصنع أزمة طاقة أحس بها كل أمريكى .

ومهما بقيت اليهودية منفصلة عن الحركة الصهيونية ، فإن الخل القومى طغى على الوازع الدينى حتى بات غالبية اليهود إسرائيليين ، إن لم نقل صهاينة . الكثيرون ممن لا يثقون بالصهيونية شجعوا الدولة اليهودية بعد تكونها . وإن لم يثق غالبية اليهود فى الشتات بالعقيدة الصهيونية ، توهموا أن واجبهم الدينى هو مساندة الدولة ، بل وتحويلها إلى معبود . وهذه العبادة ليست شيئًا جديدًا ، إذ وجدت لدى الإغريق القدامى والسومريين ، وغالبية الأمم الغاربة . كما لاحظ د. آرنولد توينبى فى **دراسة للتاريخ** .

> **إن عبادة فكرة الوطنية أو القومية شر وبيل ، وديانة سيئة لأنها تعبد صنمًا يدفع بعبيده لممارسة الجريمة . ومع الأسف ، تبقى هذه الديانة منبعًا للشر فى عصرنا .**

وقد شملت هذه العبادة عدداً كبيراً من المسيحيين الذين كادوا أن يقدسوا إسرائيل ، ووهبوها ثقتهم المطلقة ، وأعفوها من المسئوليات والالتزامات .

فى كل قضية أخرى مثيرة للجدل ، قدمت وجهتا النظر معًا ، سواء أكانت شركات الدخان وأضراره على صحة المواطنين ، أم دعاة السماح ببيع وشراء المخدرات، ومن يودون الاستمرار فى منعها ، أم الصقور والحمائم خلال حرب فيتنام ، وغيرها . فقط بشأن القضية الفلسطينية ، لم يسمع الغرب إلا وجهة نظر واحدة . مجرد وجود مجموعة ADA حتى قبل ظهور شعار معاداة السامية ، الذى يمكن استخدامه لوصم الأفراد وتشويه سمعتهم وفصلهم من أعمالهم ، أدت لخلق حساسية قوية خنقت أية إمكانية للحوار ، بشأن هذه القضايا المعقدة.

إن سجلات الضغوط ، وإخفاء المعلومات ، وممارسات الإرهاب ضد الأفراد ، وحتى رؤساء الدولة الأمريكية ، الذين سجلوا فى رسائلهم وأوراق يومياتهم قلقهم بشأن الدرب الذى اختارته الصهيونية ، ضخم ، وإن لم يكتمل بعد . إن غالبية الضحايا خجلوا ، أو حتى خافوا - من نشر تجاربهم .

نادراً ما نجح خداع قلة للأغلبية بهذه الطريقة ، كما حدث فى تكوين السياسة الأمريكية تجاه إسرائيل . الخوف ، والشعور بالذنب ، والاهتمام بالقضايا الداخلية ، لا العدالة وضرورات الأمن ، هذه العوامل حددت سياسات الأمن . وإن لم يهتم المواطن العادى بما يحدث ، فقد نتج ذلك عن الإعلام الذى قدم أساطير على أنها حقائق . خدع الإعلام الناس أغلب الوقت .

إخفاء الحقائق أدى للمخاطرة بالأمن العالمى . أوضاع الشرق الأوسط شملت أربعة حروب ، وثلاث مواجهات بين القوى الكبرى كادت أن تتحول إلى حرب عالمية .

إن وجود قوى أمريكية حاليًا فى الشرق الأوسط يهدد بتحويله إلى فيتنام جديدة . قال دبلوماسى أمريكى مرة : " سيحدث تحقيق ذات يوم عن السياسات الفاشلة فى الشرق الأوسط ، وستتكشف حقائق مخيفة" .

أتمنى أن يسهم هذا الكتاب فى كشف الحقائق قبل أن تزداد الأوضاع سوءاً . بعض الأسئلة تتطلب إجابات : فمن له الحق فى الحياة فى فلسطين ، الصهاينة

أم الفلسطينيون ؟ وهل يمكن لهما الحياة معًا ؟ وكيف تحمي الولايات المتحدة مصالحها السياسية والاقتصادية في المنطقة وتبقى على علاقاتها مع الدولة العبرية ؟ وكيف يتم تجنب فيتنام جديدة ، والسير على خطى السلام ؟ والسؤال الذى لابد من مواجهته ليس عن بقاء إسرائيل ، أو حتى تكون دولة فلسطينية – بل عن طبيعة الدولة العبرية التى يمكن لها الحياة فى المنطقة ؟

بدا واضحًا منذ أول وهلة أنه يجدر اختبار السجلات التاريخية للصراع العربى الإسرائيلى ، بدءًا بخطيئة طرد الفلسطينيين من أرضهم ، والوصول لاستنتاجات لم تذكر من قبل . كما لاحظ نورمان توماس ، أن شخصية يهودية فقط تملك السلطة الأخلاقية للخوض فى هذا الشأن الشائك .

وقد تجنبت فى هذا الكتاب التعميمات ، وسعيت للمحايدة ، بدون الاعتماد على التجارب الشخصية ، التى تجلب العاطفية وتضعف الموضوعية . بحزن ، لا غضب ، أقر بأن اليهودية المعاصرة سارت فى درب أضعف قيمنا الأخلاقية – وأدى لما يسميه المؤلف موشى منيوهين : " انحطاط اليهودية فى عصرنا" . وماذا يمكن أن يفسر تحول الضحية لمبادئ جلاديها ؟

ألم يدمر هتلر فى أوربا الكثير من القوانين التحررية التى سعى الكثير من اليهود من أجلها ، باذلين الغالى والنفيس – والعمر ذاته ؟ ألم يقل : أنت لست ألمانيًا ، أو فرنسيًا ، أو بلچيكيًا ، أنت يهودى ؟ وهذه هى ذات الكلمات التى قالها الصهاينة لليهود فى جميع أرجاء المعمورة وخططوا لتهجيرهم من أراضٍ عاشوا فيها بأمن وسلام لقرون .

إن بدا هذا الكتاب أحيانًا قاسيًا على إسرائيل ، متجاهلاً لوجهات نظر المدافعين عنها ، فسبب ذلك هو أن الإعلام الذى تحكمت فيه الصهيونية أنتج أساطير تقبلها الناس حتى بات دحضها أمرًا ضروريًا لإظهار الحقائق . ولكن لابد دومًا من التفرقة بين دولة إسرائيل وسكانها . ولابد من تذكر أن ميزة الرجل الغربى الحقيقية هى تقديم الرأى الآخر . كما قال توماس جفرسون : " دعنا نسمع وجهتى النظر ، ثم نتخذ القرارات" .

وهذه الطبعة المخفضة السعر نشرت استجابة لطلبات كثيرة ، من أفراد ودوا معرفة وجهة نظر جديدة بشأن هذه القضية الشائكة ، التى قد يكون فهمها ضرورياً حتى لبقاء البشرية . وأنا أطلب من القراء القراءة مستخدمين ما سماه وليام الرى كارنج العقل المتفتح :

> **أسمى العقل متفتحًا إن سعى للدفاع عن حقوقه وقواه ، ولم يسم أى رجل سيده ، ولم يتقبل عقيدة موروثة ، بل فتح نفسه للنور من حيث أتى ، وتقبل الحقائق الجديدة القادمة كملاك من السماء .**

من الجزء الثانى : التعتيم

الإرهاب وازدواج المعايير

أليست ازدواجية الإعلام الأمريكى إرهابا ؟

من الصعب اختيار موضوع واحد قام الإعلام الغربى بتشويهه أكثر من سواه . ولكن من المؤكد أن لتصور الإعلام الغربى للعنف أثرا كبيراً على وجهات النظر الغربية تجاه الشرق الأوسط . فقد نجح الإعلام فى دفع الإنسان الغربى لتقبل أن الصهاينة ناضلوا من أجل قيم أخلاقية وحقوق شرعية وتاريخية ، بينما اعتبر الفلسطينيين الذين لجأوا للعنف إرهابيين . وإن تم استخدام التجربة النازية للتسامح مع التطرف والعنف الصهيونى ، فأى تطرف فلسطينى مشجوب ، بدون الاستماع لحقائق عن تهجير الفلسطينيين من أراضيهم . إن اختيار الكلمات ، وأسلوب الكتابة ، والشرح لما حدث ، والتعاطف ، جميعها استخدمت فى تطبيق ازدواج المعايير .

فمثلا ، ندر أن ينتقد أحد وجهة النظر الإسرائيلية تجاه حرب أكتوبر . فى برنامج مفتوح لإذاعة بى بى إس فى بوسطن ، بعد بدأ المعركة بثلاثة أيام ، تحدث شخص بدا أنه من الهند أو باكستان ، للشكوى من تحيز الإعلام حتى اعتبر الحرب عدوانية من مصر وسورية ، بينما كانت الدولتان فى الواقع تودان استرداد أراضيهما المحتلة . استجاب المذيع هاورد نلسون عن طريق إخراج معنى كلمة عدوانية من القاموس ، فذكّره المتصل بأن إسرائيل احتلت الأراضى العربية عام ١٩٦٧ . واستطرد متسائلاً : « لماذا ، حين تخطف إسرائيل طائرة لبنانية وتجبرها على الهبوط فى إسرائيل ، يعد ذلك تغيير مسار ، وحين يمارس الفلسطينيون الفعل ذاته ، يسمى اختطافا ؟ ! لماذا ازدواج المعايير ؟ !» .

مع أن الإعلام الأمريكى يرفض عادة جميع صيغ الإرهاب ، إلا أن أفعال إسرائيل يتم تبريرها كرد فعل على أوضاع صعبة . فقد بررت « واشنطن بوست »

مثلا الاغتيالات الإسرائيلية فى بيروت ، إذ اعتبرتها « أفضل أنواع الإرهاب »، إذ أدى لقتل « أسوأ أنواع الإرهابيين » . ومن المقالات التى تناولت الفدائيين ، كان ٩٥ ٪ مما نشر فى مجلة نيويورك تايمز ، و ٩١ ٪ مما نشر فى واشنطن بوست ، و ١٠٠ ٪ من كتابات دترويت فرى برس مواليا لإسرائيل ، مع نقد مقذع للفدائيين . وقد نشرت التايمز ثلاث مقالات تعاطفت فيها مع أوضاع اللاجئين الفلسطينيين فى المخيمات ، ونشرت واشنطن بوست كذلك ثلاث مقالات عن الموضوع ذاته .

قوانين الإعلام تعتبر الإسرائيليين « مدافعين عن الحرية » ، والعرب إرهابيين . حيث الإسرائيليين « يدافعون عن النفس » ، والعرب « يرتكبون الفظائع . العرب دوما يُشجبون ، والإسرائيليون يُمتدحون . كما توضح رسالة كتبها عدد من القساوسة إلى مسيحيى العالم :

الغربى يفهم ما يحس به اليهودى : الكبرياء لأنه امتلك فلسطين ، وماعاد يحتاج للاعتذار لكونه يهوديا . ولكن الغربيين لا يعرفون ما يحس به العرب : وهو الغضب لفقدان الوطن ، الخجل من الهزيمة العسكرية ، الإحباط لأن العالم لا يفهم مشاعرهم . وكلمة « فدائى » تعنى فى الواقع من يضحى بالذات ، والعرب يعتبرون أن الأعمال الفدائية محاولات لتحرير الأرض من محتليها .

وقد بدأ المعيار المزدوج باكرا وامتد ليشمل جميع وسائل الإعلام ، مؤثرا على رؤية الناس للقضية الفلسطينية . غالبية الناس تصوروا أن العرب وحدهم استخدموا العنف . ولكن سجل استخدام الصهيونية للعنف من أجل هدفها – المخفى عن الناس – طويل ، وإن أمكن العثور على بداياته فى أيام الاستعمار البريطانى .

وقد استخدمت الصهيونية العنف حتى ضد اليهود أنفسهم ، كما حدث فى ٢٥ نوفمبر ١٩٤٠ حين تم تفجير باخرة س . س . باتريا فى ميناء حيفا ، وقتل ٢٧٦ مهاجرا غير شرعى . خلال وقوع الحادث اتهم البريطانيون بالجريمة ، وبعد عشر سنوات اتُهم الصهاينة بارتكابها . إن ديفيد فلنكر ، الصحفى العامل فى جريدة « الصباح اليهودية » وهى أكبر جريدة يومية آنذاك ، يصف ما حدث :

اتخذت قيادات الهاجانا القرار ، وهو ألا يسمح للباخرة بالمغادرة . لابد أن يعرف الإنجليز أن اليهود لن يهجروا وطنهم . لابد من تفجير الباخرة .

أبلغ أفـراد الهـاجـانـا بالقـرار من المسـاء ، وبدأ الاسـتـعداد للتنفـيـذ فى الصـبـاح . يوم الأحـد ٢٦ نوفـمـبـر ١٩٤٠ ، أبلغت القـوات البـريطـانيـة المسافرين بضرورة التـأهب للرحيل . بقى اليهود صامتين ، باستثناء همسة للصـعـود إلى السطح بسـرعـة . ولكن لم يفـهـم الجـمـيـع . بقى مـئـات فى الطوابق السـفلى ، ولم يشـاهدوا النور ثانيـة . ففـجـأة سـمـع دوى انفـجـار ، وبات الهلـع واضـحـا . كان منظرًا مـخـيـفـا . قـفـز الناس إلى الماء ، وقـذف الأطفـال إلى الأمـواج . الصـراخ وصل إلى عنان السـمـاء . رقم الضـحـايا رسميا كان ٢٧٦ . سمحت السلطات للناجين بالبقاء .

وقد اعتبر الإعلام الأمريكى هذا الحادث ، وحوادث أخرى مشابهة ، نوعا من الانتحار للاحتجاج على سياسات بريطانيا تجاه هجرة اليهود إلى فلسطين .

ثم حدث اغتيـال اللورد موين وهو سفـير بريطانى فى ٦ نوفمـبر ١٩٤٤ ، فى القـاهرة . وتم تفـجيـر فندق الملك داود ، مما أدى لقـتل ٩١ شـخـصـا وجـرح ٤٥ من البريطانيين واليهود ، وتلى ذلك إرسـال رسـائل تحوى قنابل لوزراء بريطانيين ، وهجوم بالقنابل فى ١١ ديسمبر فى حيفا ، أدى لمقتل ١٨ عربيا ، وجرح ٥٨ آخرين . خلال العام التالى تم تفجير فندق سميراميس فى القدس ، مما أدى لقتل ٢٠ شخصـا ، منهم السفير الإسبانى . وقد اعترفت الهاجانا بمسئوليتها عن الحادث الأخير .

وفى عام ١٩٤٨ بعد صدور قرار الأمم المتحدة بالتقسيم ، ولكن قبل أن تتكون دولة إسرائيل الفعلية ، قامت مجموعة شتيرن ، أو إرهابيى هاجانا بإلقاء القنابل على القرى والمدن الفلسطينية ، وأحيانا هاجموها ، وأشـهر هذه المجازر ما حدث فى ٩ أبريل فى دير ياسين ، حين قتل ٢٥٤ رجلا وامرأة وطفلا وعجائز .

فى ١ سبتمبر ١٩٤٨ اغتالت مجموعة شتيرن مندوب الأمم المتحدة ، الكونت برنادوت ، ومعاونه اندرى بيير سيهوت . وكان السفير الأمريكى ، ستانتون جريفس ، متأكدا من أن الحكومة الإسرائيلية عرفت القاتل ، إذ كتب فى مذكراته : « إن جريمة قتل برنادوت تبقى بقعة سوداء لا أخلاقية فى تاريخ إسرائيل الباكر » .

فى لقاء صحفى عام ١٩٧٥ ، اعترف د . مايكل بار زوهار ، واسمه فى الولايات المتحدة مايكل باراك ، أن بن جوريون عرف أسماء الثلاثة الذين قاموا بارتكاب هذه

الجريمة البشعة . بل إن أحدهم ، يهوشف زيتلر ، كان من أعز أصدقائه . قال زيتلر : أعدمنا برنادوت لأنه أراد تحويل القدس إلى مدينة دولية ، وكان معاديا للدولة اليهودية منذ أن تكونت وأنشأ سياسات الأمم المتحدة التى ما زالت حتى الساعة تؤيد العرب . اتخذ هذا القرار ثلاثة من زعماء عصابة شتيرن – وهم ناثان بلين مورد ، د . إسرائيل الداد شيب ، وزيلتر قائد العصابات فى القدس .

فى عام ١٩٥٠ ، فجر عملاء للصهاينة فى بغداد محفلا يهوديا ، ومواقع أخرى ، للضغط على يهود العراق للهجرة إلى إسرائيل . وقبل حرب السويس ، تم تفجير قنابل فى قرى عربية منها : عين جالوت ، وفالمية ، وبهية ، وغزة ، مما أدى لقتل ١١٨ عربيا .

وبعد بضع ساعات من بدأ القوات الإسرائيلية بالزحف إلى سيناء فى ٢٩ أكتوبر ١٩٦٦ ، تم إعلان منع التجول فى كفر قاسم يبدأ من الساعة ٤,٤٥ مساء . أبلغ محافظ المدينة الجنود أن الفلاحين فى الحقول لن يعودوا إلا لاحقا . وحين عاد الفلاحون ، أطلق عليهم الجنود النار وقتلوا ٤٩ فلاحا بينهم ١٤ امرأة وطفلا . قتلوا بلا أى سبب وهم يعودون من أعمالهم .

وهذه الحقائق لم تكشف إلا لاحقًا حين حوكم أحد الجنود . واستمرت المحاكمة لعامين ، وقدمت المحكمة العليا قرارات متسارعة : سجن أحد الضباط لسبعة عشر عامًا ، وآخر لخمسة عشر عامًا ، ثلاثة تمت تبرئتهم ، وخمسة رجال شرطة حكم عليهم بسبعة أعوام . وجميعهم خرجوا من السجن بعد سنة بعفو حكومى . أما جمعيات الدعوة لحقوق الإنسان ، فلم تنبس ببنت شفة . تكرر رد الفعل ذاته بعد هجوم إسرائيلى بالعربات المدرعة ، هدفه تدمير قرية سماوة ، ومقتل ١٨ فرداً وجرح ٥٤ آخرين .

فى ١٩٧٢ ، مع بزوغ نجم منظمة التحرير الفلسطينية ، ركزت منظمات إسرائيل الاستخباراتية اهتمامها على فلسطينيين فرادى ، تم قتلهم بطرود حوت قنابل ، أو قنابل اعتيادية ، وحتى مسدسات كاتمة للصوت فى : بيروت ، لوس أنجلس ، روما ، ستوكهلم ، كوبنهاجن ، باريس ، قبرص ، أوسلو ، وطرابلس الغرب .

قام الموساد بالبحث عن الفلسطينيين المرتبطين بالعمليات الفدائية وتصفيتهم ، إذ اغتال ثلاثة قواد من منظمة التحرير فى بيروت ، وهم . كمال ناصر ، ومحمد يوسف

باجار ، وكمال عدوان في ١٠ أبريل ١٩٧٥ . وقد كان هدف العملية المسماة : « غضب الرب » قتل ألف فلسطيني قادرين على قيادة منظمة التحرير . كانت فكرة رئيسة الوزراء جولدا مائير هي أن قتل الزعماء سينهي الحركة ، إلا أن بدء الحرب اللبنانية في ربيع ١٩٧٥ ، أدى للقيام بهجمات أخرى ، نتج عنها قتل ثلاث وعشرين ضحية جديدة .

وفي أبريل ١٩٧٤ ، هاجمت إسرائيل ست قرى لبنانية ، وفي مايو ، أسقطت قنابل على قرية كفير وقتل أربعة أفراد ، منهم امرأة وابنتها ذات السبعة أعوام . وبعد ١١ يوما ، قصفت الطائرات الإسرائيلية مخيم اللاجئين في النبطية وعين الحلوة، فمات ٥٠ وجرح ٢٠٠ وتدمر الموقع تماما ، وفي ١٩ من ذات الشهر ، قصفت بواخر إسرائيلية مخيم اللاجئين في الرشيدية ، مما أدى لمقتل مدنيين . وفي الشهر اللاحق عادت الطائرات وضربت ٣ مخيمات للأمم المتحدة، فقتلت ٧٣ وجرحت ١٥٩ . وفي يوليو ، قصفت البواخر الحربية الإسرائيلية صيدا وصور ، وأغرقت ٢١ قارب صيد . وقد استمرت عمليات قصف المدن اللبنانية والمخيمات حتى عام ١٩٧٥ .

بات الإرهاب الصهيوني مثالا يحتذى ، حين قام اليهودي المصري ، إلياهو بتزوري – وصاحبه إلياهو حكيم باغتيال لورد موين عام ١٩٤٤ . وبعد إعدامهما بأعوام ، اعترف ديفيد بن جوريون باحترامه لإخلاص الرجال الذين أعدموا في القاهرة – لقتل الوزير البريطاني (وأول رئيس وزارة إسرائيلي عبر عن إعجابه بإبراهيم شتيرن ، الشاعر الذي كون مجموعة إرهابية حملت اسمه ، واعتبره « من أهم وأفضل الشخصيات في عصرنا ») .

وقد نشر صحفيو العهد المخضرمون ، مثل : سي . إل . سولزبرجز (الذي عمل في مجلة التايمز) ، وريلمان مورين (مع أسوشيتد بريس) ، وسمير سوفي ، كلمات الدفاع ، واتهام البريطانيين بالتحيز ، فتعاطف الناس في أمريكا مع القتلة ، مع أن ونستن تشرشل تحدث عن « الجريمة البشعة » وقال بجرأة : « أحلامنا للصهيونية تنتهي برصاص القتلة . وسعينا للازدهار والسلام في الشرق الأوسط يواجهه مجرمون كانت النازية ستفتخر بهم ، وربما حان الوقت للتفكير بجدية في سياستنا تجاه إسرائيل » . وقد قال ليوكوهن ، الصهيوني المعروف : « كنا نفخر بالصهيونية الطاهرة ، الخلاقة ، غير الملطخة بالدماء . ماحدث مفجع للغاية » .

ولكن غضب تشرشل هدأ ، وبقى شهر العسل الغربى مع الصهيونية . فقد كتب حاييم وايزمان إلى تشرشل : « نؤكد لك أن اليهود فى فلسطين يفعلون ما بوسعهم للقضاء على أى تطرف بيننا » . وبعد عامين من هذا التأكيد ، طلبت مؤسسة التحقيق البريطانية الأمريكية من المؤسسة اليهودية : « السعى للتعاون مع السلطات للقضاء على الإرهاب والهجرة اللاشرعية ، والمحافظة على القانون والنظام الضروريين لمصلحة الجميع ، وذلك يشمل المهاجرين الشرعيين الجدد » .

ومن صيغ المعيار المزدوج أسلوب التعامل مع الجاسوسية . بالنسبة لإسرائيل ، كانت الغاية دوما تبرر الوسيلة . وهكذا كسرت المخابرات الإسرائيلية جميع قوانين المجتمع الدولى . فكانت عملية خطف أدولوف اتشمان من الأرجنتين المعروفة . ولكن لو حاول العرب خطف فرد ما ، من دولة أخرى ، لقامت الدنيا وما قعدت . وهذا بقى دوما واقع التعامل مع إسرائيل . أحد الأمثلة المعروفة كان قضية لافون .

بعد قيام الثورة المصرية عام ١٩٥٢ ، تحسنت علاقات حكومة الرئيس عبد الناصر مع الولايات المتحدة ، وبدأ التبادل الثقافى والاقتصادى بينهما ، وودت مصر أن تسهم الولايات المتحدة في إنشاء سد أسوان . وفى عام ١٩٥٤ ، بات السفير الأمريكى هنرى بايرود صديقا لعبد الناصر ، وبدأ برنامج معونة بخمسين مليون دولار أمريكى لمصر . شعرت إسرائيل بالقلق وودت إنهاء علاقة مصر وأمريكا . وهكذا تم إرسال مجموعة إسرائيلية لمصر لتفجير مواقع أمريكية ، وخطف موظفين أمريكان ، لتدمير علاقات البلدين . وتمت كذلك عدة عمليات ضد القوات البريطانية لإبقائها فى قناة السويس . منها التفجيرات . فقد صُنعت قنابل صغيرة وغُلِّفت فى شكل كتب وأرسلت إلى المكتبات الأمريكية فى الإسكندرية والقاهرة ، حيث وضع محلول حارق فى جلد سميك كثيف ، وبقى لعدة ساعات يحترق حتى يصل للقنبلة المختبئة تحت الجلد ويفجرها . وذات القنابل وضعت فى المسارح والمصالح الأمريكية .

وفى ديسمبر ، تم إلقاء القبض على طفلين يهوديين يحملان قنابل مشابهة وهم يدخلون مؤسسات أمريكية . وبعد اعترافهما ، ألقى القبض على ستة أفراد آخرين .

وتعاطف الإعلام الأمريكى مع المتآمرين . كل ما نشر دل على أن الموضوع مؤامرة مصرية لإبعاد الولايات المتحدة عن إسرائيل . وفى عام ١٩٦٠ ، ظهرت فى إسرائيل ورقة مهربة من مكاتب المخابرات كتبها موشى ديان من أجل إلقاء الاتهام لمحاولة التخريب الفاشلة فى مصر عام ٥٤ على لافون . وقد أوضح التحقيق أن بيريز وديان وإبراهيم جيفلى كانوا مسئولين عن هذه القضية . وعلى الرغم من محاولات التعتيم ، اضطر بن جوريون لإقالة حكومته ١٩٦١ . ولكن ، وحتى أواخر عام ١٩٦٠ ، اعتبرت مجلة تايمز الأمريكية الفضيحة مجرد « مغامرة فاشلة عام ١٩٥٤ » . وبينما ازدادت أواصر الصلة بين إسرائيل والولايات المتحدة ، لم يتم الاهتمام البتة بمحاولة إسرائيل لتدمير علاقات العرب والولايات الأمريكية .

وحين قبضت المخابرات السورية على الجاسوس الإسرائيلى آلى كوهين (المدعو كامل أمين فاباس) وتم إعدامه ، قام الإعلام وما قعد ، وتصدرت صورة الجسد المشنوق غلاف مجلة نيويورك تايمز . كتابان شائعان ، رجلنا فى دمشق لآلى بن حنان ، والمحاربون الصامتون (بقلم جوشوا تدمر) جعلا من الجاسوس شهيدا ، منتقدين المحاكمة لعدم حضور الصحافة . ولكن هذه الكتب ، التى دافعت عن الجاسوس ، أثبتت فى الواقع إدانته . فكوهين كان قد قبض عليه فى مصر فى قضية لافون ، ولكنه خرج بعد عامين ، وذهب بعد ذلك إلى الشام ، إذ كان يهوديا شرقيا يتحدث العربية، مثله كمثل الكثيرين من الجواسيس الإسرائيليين .

وقد استطاع كوهين التسلل للطبقات المتنفذة فى دمشق ، بل وتعرف على الجنرال أمين الحافظ الذى وصل للسلطة فى مارس ١٩٦٣ . وقد عرف كوهين أعداد وأنواع وأماكن طائرات ميج ، ودبابات ت — ٥٤ ، وغيرها من الأسلحة التى قدمها الروس لسوريا ، وأوصل هذه المعلومات لإسرائيل التى استفادت منها عام ١٩٦٧ . وإن لم يذكر الإعلام الأمريكى هذه الحقائق ، إلا أن الكاتب روشتاين يقول : « الجولان مسألة الآن ، حيث يصدأ حديد الدبابات الروسية ، وباتت التحصينات ترابا تذروه الرياح ، يؤمها السواح ، والكثير من هذا التوفيق يعود إلى بطل إسرائيل الصامت ، آلى كوهين » .

فى خريف عام ١٩٧٢ ، هزت جميع عواصم أوربا والشرق الأوسط والولايات المتحدة ، مجموعة من الرسائل والطرود البريدية الملغمة . وقد بدأ الموضوع بقنبلة

قتلت مسئولا إسرائيليا فى لندن ، ولأن هذه التفجيرات حدثت بعد مأساة ميونخ ، تصور العالم أن هذه الأفعال مسئولية مجموعة « أيلول الأسود » . وإن شككت الصحافة البريطانية فى هذا الاتهام ، إذ لم يوجد أى دليل على تورط المجموعة ، ولكن الإعلام الأمريكى وجه لها الاتهام بلا تردد . وقد أرسلت طرود أخرى خلال الفترة ذاتها لنسوة يهوديات ، ولصحفيين ، ولسفارات إسرائيلية ، ودوما تم تفكيكها قبل أن تنفجر . وقال متحدث السفارة الإسرائيلية : « إن الرسائل تدل على أن الإرهابيين لا يعادون إسرائيل فقط ، بل اليهود فى جميع أرجاء العالم » . ولإثبات الاتهام ، أرسلت قنبلتان ، إحداهما إلى قائد صهيونى هو كولن زالير ، والأخرى لوالدة رافع أثقال عالمى ، وهو جون أوركن . وكلاهما يعيشان فى روديسيا . وكيف أمكن لمجموعات فلسطينية معرفة عناوين أفراد كهؤلاء ؟

وقد تم إرسال هذه الأظرف جميعا فى صندوق واحد إلى الأمم المتحدة حين سعت الولايات الأمريكية وإسرائيل لإقناعها بسن قوانين جديدة معادية للإرهاب . وفى داخل الولايات المتحدة، سنت قوانين فرضت الرقابة على العرب .

ولم تكتشف حقيقة الأمر إلا لاحقا . فقامت مجلة نيوز تايمز ٢٤ ، ١٢ ، ١٩٧٢ ، بنشر دراسة بعنوان : « كيف بدأت إسرائيل حملة الإرهاب البريدى ؟ » حيث ألقى اللوم على إسرائيل . الأوربيون لاحظوا باكرا أن مجموعة « أيلول الأسود » أعلنت مسئوليتها عن أفعالها ، ولكنها لم تفعل ذلك هذه المرة . وباستثناء القنبلة الأولى ، التى لم يلاحظها أحد ، وأخرى جرحت صاحبة متجر مجوهرات يهودية فى لندن ، وهى فيفيان برنس ، فإن جميع القنابل المرسلة بالطرود لم تؤذ أحدا ، وتم إيقافها قبل أن تنفجر . أما القنابل التى أرسلت للعرب الفلسطينيين ، فجميعها تفجرت . وكان أسلوبها بسيطا وقاتلاً . كما قالت شرطة نيويورك بشأن القنابل المرسلة لليهود : « لم تنفجر حتى حين افتُرض أن يحدث ذلك » . الفلسطينيون أثبتوا عدة مرات قدرتهم على صناعة أسلحة أكثر تعقيداً بكثير .

وقد انتحر صانع القنبلة البريدية – الكيماوى السويدى ، مارتن اكبرج ، فى سن الواحد والأربعين فى سجن إنجليزى عام ١٩١٠ ، ولكن إرهابيى الصهاينة ، مجموعتى شتيرن وأرجون ، جلبوا هذا السلاح إلى الشرق الأوسط . وفى عام ١٩٤٧ ،

بدأت حملة طرود ملغمة ضد سياسيين بريطانيين بدا عدم تعاطفهم مع تكوين دولة عبرية فى فلسطين ، وتحدث الإعلام الغربى عن حادثة قتل شقيق الضابط البريطانى ، روى فارزن ، الذى بُرِّئَ من تهمة قتل يهودى فى فلسطين ، وارتكبت هذه الجريمة بطرد بريدى ، حيث اعترفت عصابة شتيرن بإرساله .

ثم ظهر كتاب بقلم مرجرت ترومان ، بنت الرئيس الأمريكى ، ادعت فيه أن رسالة ملغمة أرسلت لقتل والدها عام ١٩٤٧ . وانتقدت الصحافة الأمريكية الكاتبة ، وقالت إحدى الصحف : إن كتابها « يعادى السامية » . وكتب أحد زعماء مجموعة شتيرن وهو بنجامين جبتر ، رسالة إلى نيويورك تايمز مؤكدا أن المجموعة لم تخطط لاغتيال رئيس الجمهورية . وقد أرسل الطرد الملغم فى الواقع فى فترة حين حاولت الإدارة الأمريكية طلب الاعتدال من الصهاينة وتفهم أوضاع الفلسطينيين . وباستثناء عدم وجود أى دافع للفتاة لاختلاق قصة كهذه ، فإن استخدام عصابات شتيرن لهذا الأسلوب سابقا يؤكد على إمكانية صحة هذا الاتهام .

وقد تم استخدام الصناديق الملغمة بنجاح من قبل الإسرائيليين فى حملة ضد علماء ألمان عملوا لتطوير برامج الصواريخ المصرية عامى ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ . انفجرت قنبلة فى علبة وقتلت العالم مايكل كورى ومعه خمسة ، وتمت محاولة قتل مشابهة لـ د . هانس كلاينوتكر . قنبلة أخرى أدت لإصابة سكرتير ألمانى ، وهددت بنت عالم آخر بذات المصير . وسرعان ما فر العلماء الذين جاءوا لتطوير نظام صاروخى فى مصر . وهذه القصة مذكورة فى كتاب حملة جاسوسية ، بقلم الجاسوس اليهودى ولفجانج لوتس ، الذى تفاخر بأنه يستطيع « دفع أى عالم للفرار عن طريق تهديده برسائل » . وقد اضطر مسئول أمنى إسرائيلى كبير ، وهو آزير هالبرن ، للاستقالة نتيجة لهذه القضية ، مما يدل على تورط إسرائيل فيها .

وقد تفوق الإسرائيليون كذلك فى صناعة أنواع أخرى من القنابل . قبل حرب ١٩٦٧ ، تم قتل ضابط استخبارات فى غزة ، وكذلك مسئول أمنى مصرى فى الأردن ، عن طريق كتب حوت قنابل . أما المؤلف الفلسطينى ، غسان كنفانى ، فانفجرت قنبلة فى سيارته وقتلته . وتم إرسال عدد من الرسائل الملغمة فى العام ذاته فتسببت فى قتل ١٢ قائدا فلسطينيا معروفين فى بيروت .

وبعد موت كنفاني ، كتبت جريدة معاريف الإسرائيلية : « لم تنف السلطات الإسرائيلية ، أو تؤكد دورها في الاغتيال » . وبعد ١١ يوما من هذه الأحداث ، انفجرت قنبلة في يد أنيس صباح ، وهو مسئول عن مؤسسة البحث الفلسطيني في بيروت ، أدت لإصابته بعمى جزئي ، وخسارة ثلاثة من أصابعه . وخلال الفترة ذاتها ، انفجرت قنابل مشابهة في أيدى مدير بنك في بيروت ، وضباط تابعون لمجموعة فتح . في مناسبات معدودة ، وبكلمات مقتضبة في الصفحات الخلفية ، ذكرت نيويورك تايمز بعض هذه الأحداث .

من الضروري ملاحظة أن إرهابيي الأمس باتوا رؤساء وزراء خارجية ، وقواد جيوش في إسرائيل اليوم ، وأن عصابات شتيرن وهاجانا هي الجيوش المنتصرة الساعة . وإن استخدم طرفا الصراع الطرود الملغمة ، وغيرها من أنواع الإرهاب ، فإن إسرائيل هي التي جلبت هذه الأسلحة إلى الشرق الأوسط ، ونجحت في استخدام الإعلام للتعمية على حقائق الدور الذي لعبته . فالإعلام الذي اتهم الفلسطينيين فقط بالإرهاب ، أعطى إسرائيل الأعذار لاستخدام القوة ضدهم ، بتشجيع من رؤساء مثل : فورد ونيكسون وكارتر .

تم ربط الفلسطينيين بالإرهاب حين حدثت عملية اختطاف وقتل الرياضيين الإسرائيليين في ميونخ . في صباح ٥ سبتمبر ١٩٧٥ قام الفلسطينيون باختراق القرية الدولية في ميونخ ، ودخلوا إلى مساكن اللاعبين الإسرائيليين وقتلوا اثنين منهم ، وأخذوا تسع رهائن . طلب الخاطفون تحرير مائتين من رفاقهم القابعين في المعتقلات الإسرائيلية ، وطائرة تقلهم إلى عاصمة عربية لم يحددوها مسبقا . وقد رفضت إسرائيل التفاوض مع الخاطفين ، ولكن السلطات الألمانية حاولت حل القضية ، وعرضت دفع ثروة طائلة ، وحتى استبدال الأسرى بشخصيات ألمانية مهمة .

وبعد تحديد الوقت النهائي ثلاث مرات ، أقلت طائرة العرب وأسراهم مسافة خمسة عشر ميل إلى مطار فيورستنفتلدبراك ، حيث أبلغوهم بإمكانية ركوب طائرة إلى مطار عربي . وقد انتظر خمسة من القناصة الألمان الفرصة لقتل الفلسطينيين . خرج رجلان من الطائرة لفحص طائرة البوينج التي ستقلهم ، ثم أطلق الألمان النار ، واحترقت الطائرة . أعلن متحدث ألماني أن المختطفين بخير ، وبعد ذلك بثلاث ساعات اعترفت لجنة الأولمبياد أنهم قد ماتوا .

خلال التحقيق ، اعترف المسئول مانفرد شوايير أنه فقد السيطرة على الموقف خلال إطلاق النار . أعلن البوليس مبدئيا أن الفدائيين أطلقوا النار أولا . ولكن معظم شهود العيان اتفقوا على أن القناصة بدأوا بإطلاق النار . وحتى اليوم ، لم يتم تحديد مسئولية جريمة قتل الأسرى الإسرائيليين . هل ماتوا حين تم تفجير الطائرة ، أم قبل ذلك مع بدء إطلاق النار ؟

ولم يتم حتى الساعة التأكد من أن معركة المطار كانت ضرورية . ضابط البوليس شوايير ، والإعلام الأمريكى ، أكدا على أن العرب كانوا سيقتلون الأسرى على أى حال . ولكن عناية الفلسطينيين بأسراهم فى عمليات الاختطاف الأخرى لطائرات أمريكية وأوربية معروفة . إنهم لا يقتلون المخطوفين عادة .

وبعد خمسة شهور ونصف شهر ، فى ٢١ فبراير ١٩٧٣ ، أسقطت إسرائيل طائرة ليبية من طراز بوينج ٧٢٧ تقل ١١٣ مدنيا فوق المنطقة المحتلة فى سيناء . وقد فقدت الطائرة طريقها فى عاصفة ترابية شديدة ، حين واجهتها طائرات إسرائيلية توهمها الطيار طائرات رفيقة ، ستساعده على العودة إلى القاهرة . وقد استدارت الطائرة وبدأت تعود إلى القاهرة بالفعل حين تم إسقاطها .

والقصة الإسرائيلية كانت أن الطائرة اقتحمت مناطق إسرائيلية ، وتم إنذارها ، وتجاهل الطيار الإنذار ، وأن الطائرة لم تسقط بل ارتطمت بالأرض أثناء هبوطها . وقد قال وزير الدفاع موشى ديان : إن الطائرة تم تحذيرها لمدة خمس عشرة دقيقة ، (وكان ذلك الوقت كافيا ، فى الواقع ، لعبور الطائرة المناطق الإسرائيلية ، والوصول إلى البحر المتوسط) ، ولكن الإعلام الأمريكى تقبل بلا تردد وجهة النظر الإسرائيلية .

ولو كان الإعلام قد درس القضية بعمق ، لتذكر أن إسرائيل نفسها كانت قد احتجت حين فقدت إحدى طائراتها دربها فى بلغاريا ، وأسقطتها الطائرات البلغارية ، ومات ٥٨ شخصا . وحين رفعت القضية إلى محكمة العدل الدولية ، قامت إسرائيل بدفاع ناجح .

لابد لكل من يتدخل فى درب طائرة مدنية من أن يأمرها بالهبوط فى أقرب مطار ، وألا يزيد الأوضاع سوءا عن طريق استخدام أسلحة خطرة قد

تؤدى لوفاة المدنيين . وقد اعترفت بلغاريا باستخدام السلاح لإسقاط الطائرة وتدميرها . حكومة إسرائيل تؤكد عدم وجود أى قانون دولى يسمح بهذه الدرجة من العنف غير الضرورى .

القاعدة العامة هى الإحاطة بالطائرة ودفعها فى الاتجاه السليم . وقد كانت البوينج الليبية تبتعد عن منطقة الخطر حين تم تدميرها .

الإعلام الأمريكى فى تعامله مع هذه القضية رفض استخدام كلمة إسقاط ، وتم خلق الانطباع بأن الطائرة تحطمت بعد أن طلبت القوات الإسرائيلية منها الهبوط . وهكذا بات الطيار الفرنسى المعار إلى ليبيا متهمًا ، بسبب رفضه القبول بالإنذار الإسرائيلى . الإعلام الغربى وضع وجهات نظر الدول العربية المعنية ، مصر وليبيا فى الصفحات الأخيرة ، بينما وضعت أقوال إسرائيل فى الصفحات الأولى . عادة شاهد الجمهور صور المضيفين ، ولكن لم توجد أى صور لخلق التعاطف مع الضحايا هذه المرة . كل ما قيل دل على التعاطف مع إسرائيل فقط .

حين قتل الرياضيون الإسرائيليون ، كتبت كلمات الشجب بالحرف الكبير . كتب مثلا إن « رئاسة الأمم المتحدة تشجب الاختطاف لأنه عمل إرهابى » ولكن حين شجب سكرتير الأمم المتحدة كورت فالدهايم إسقاط الطائرة ، وعبر عن أساه وتعازيه للضحايا ، كتب الخبر فى أول صفحة لجريدة نيويورك تايمز ، وبحرف صغير : « فالدهايم (بدون ذكر لوظيفته) يعبر عن دهشته » . أما السطر الذى عبر عن قلق إسرائيل « إن الطائرة كانت تنوى إطلاق الصواريخ على المدن الإسرائيلية » ، فقد وضع فى موضع واضح ، وكان العذر مقبولا . والذكر الوحيد للعاصفة الترابية كان فى سياق بحث إسرائيل عن الناجين .

الصفحة الأولى من الجريدة اليومية فى نيويورك قالت : « إسرائيل تتسبب فى سقوط طائرة عربية » . كان لابد للقارئ من الذهاب للصفحة التالية لمعرفة أنها كانت طائرة مدنية .

وإن كانت قصة التايمز قد ذكرت أن الطيار أعلن فهمه للتحذيرات الإسرائيلية ، إلا أن نيويورك بوست ذكرت أخبارا غير صادقة مثل قول الطيار : « لا أستطيع الاستماع لكم لأن المنطقة ليست ملكا لكم » . قيل أيضا إن ستائر الطائرة كانت

مقفلة، مما منع طيران إسرائيل من معرفة أنها كانت طائرة مدنية . وهكذا تم تقديم معلومات خاطئة بشأن قضية الطائرة .

مجلة التايمز عادة تُقيِّم المواقف بسرعة ، ولكنها هذه المرة صمتت بعد سقوط الطائرة . وأخيرا ، وفى اليوم الثالث ، تحدثت عن « الخطأ المأساوى » و « فعل قاس » وكأنها تعاتب طفلا على تناول الحلوى . أما منذ ستة أشهر ، حين حدثت عملية ميونخ ، فتحدثت المجلة عن «القتل العمد مع سبق الإصرار ، الذى ارتكبه القتلة العرب ، وموت الأبرياء » . وقد اعترفت المجلة بأن شرائط حوار الطيارين مع مطار القاهرة تدل على « وجود بعض الأدلة » على « عدم إدراك الطيار بأنه سيتعرض لهجوم إن لم يهبط » . بدا وكأن هم الإعلام الأمريكى الأساسى هو تأثير الحادث على الرأى العام تجاه إسرائيل.

ومع أن الطائرة أسقطت على أرض مصرية احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧ ، إلا أن الإعلام الأمريكى تجاهل تماما هذه الحقيقة ، وأكد على أن الطائرة أسقطت على أراضٍ إسرائيلية .

والواقع هو أن الإعلام الإسرائيلى كان أكثر موضوعية من الأمريكى فى التعامل مع القضية . فقد لاحظ صحفى إسرائيلى أن إسقاط الطائرة بقى سرا لثلاث أو أربع ساعات قبل إذاعة أى خبر عنها ، مما خلق منذ البداية عدة أسئلة . فهذه كانت أول مرة فى تاريخ الطيران المدنى حين سقطت طائرة فى منطقة يمكن الوصول إليها ، ومع ذلك لم تلتقط أى صور لحطامها . رفضت السلطات الإسرائيلية طلبات الصحفيين لزيارة موقع الطائرة . ولم يتحدث أى مسئول من وزارة الدفاع إلا بعد أربع وعشرين ساعة حين تساءل الصحفيون « عما حدث ، وما تم إخفاؤه من الحقائق خلال هذا الوقت » .

وبينما لم يهتم الإعلام الأمريكى بمتابعة ما حدث بعد ذلك بشأن الطائرة الليبية ، فإن هذا الإعلام تابع مراسم دفن الرياضيين الإسرائيليين عن كثب . وبقيت صور حزن الأقارب والأصحاب لمدة الأسبوع التالى تتربع الصفحات الأولى للجرائد الأمريكية . ومع أن واحداً من الضحايا فى كلا الحادثين كان أمريكيا ، إلا أن الأمريكى الذى توفى فى ميونخ (وكان أمريكيا هجر الولايات إلى إسرائيل) ، لقى

من حفاوة الإعلام الكثير . بل إن محافظ ولاية ميزورى التى ولد فيها القتيل طلب إنزال العلم ، كما يحدث فى أحوال الحداد الرسمى . أما الأمريكى الذى كان فى الطائرة الليبية ، وبلغ من العمر ٦٢ ، فكل ما كتب عنه لم يتجاوز ٦ أسطر . ولم يعلن أى أحد الحداد بالطبع . ومع أن قتل الرياضيين لم تحدد مسئوليته ، إلا أن الإعلام الأمريكى تجاهل تماما هذه القضية . أما بشأن سقوط الطائرة الليبية ، فكل عذر يمكن استعماله تم استخدامه ، سواء من قبل الإعلام الأمريكى ، أو عن طريق نقل وجهة النظر الإسرائيلية ، وإجراء لقاءات مع الطيارين الذين تواجدوا فى الموقع .

وقد بقى ازدواج المعايير لصالح إسرائيل فى الإعلام الأمريكى حتى الساعة . ولم يستنكره سوى قلة . كان روبرت باير بونت ، المذيع فى سى بى إس ، من تلك القلة التى ذكرت أن الولايات المتحدة ما عادت عادلة فى التعامل ، حيث قال :

إن هجوم إسرائيل على مخيم فلسطينى فى لبنان أدى لمقتل ٣٧ شخصا ، فى فبراير عام ١٩٧٣ ، ولم يؤد لاحتجاج الولايات المتحدة . ولم يتحدث أى مسئول أمريكى بشأن إمكانية التروى قبل إرسال المزيد من الطائرات التى ضربت الطائرة الليبية . بل إن الرئيس نيكسون وعد جولدا مائير بإرسال المزيد من هذه الطائرات قريبا . أما حين حدثت مأساة الرياضيين الإسرائيليين فى ميونخ ، فإن الولايات المتحدة بأسرها ، بدءا بالرئيس ، عبرت عن سخطها ، وأمر الرئيس باتخاذ قرارات فعالة لمنع تكرار مثل هذا الهجوم على إسرائيل ثانية . وقد تعود الأمريكان على اعتبار الإسرائيليين أبطالا ، والعرب أشرارا ، حتى باتت ردود الأفعال عاطفية ، لا عقلانية . والواقع هو أن كلا الطرفين مارس الإرهاب ، وعانى كلاهما الكثير . لإسرائيل قوة إعلامية هائلة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وهى ستة ملايين يهودى . أما العرب فعددهم حوالى المليون ولا يزالون غير منظمين . وربما إن انتظموا سيكون لهم تأثير . وأتمنى أن يحاول سكان أمريكا رؤية قضايا الشرق الأوسط بشكل أكثر موضوعية .

وما إن أذيعت هذه الكلمات ، حتى ارتفعت أصوات الردود عليها . اتُهم بايربونت فورا بمعاداة السامية ، وطُلب من سى بى إس طرده من وظيفته ، أو مراقبة ما يتفوه به . وقد قال المذيع ما يلى ردا على ما تعرض له من تهجم : « الكثير من النقد كان عاطفيا ، لدرجة الجنون ، وكان ذلك متوقعا . ولكن ما أثار تعجبى كان قدرة النقاد على التنظيم . فخلال ساعات اتصل أفراد من ولايات أخرى ، لم تسمع البرنامج ، للاحتجاج . الواقع أن سيل القدح كان مخيفا » .

تعامل الإعلام مع قضية مالوت دل على أن طلب باير بونت للإنصاف لم يتحقق . ففى ١٥ مايو ١٩٧٤ تسلل ثلاثة فدائيين من الجبهة الديمقراطية الشعبية لتحرير فلسطين عبر الحدود الإسرائيلية ، وفى الساعة السابعة صباحا احتلوا مدرسة مالوت التى حوت حوالى ٩٠ مراهقا ينتمون لمؤسسة ناهال شبه العسكرية . وقد فر ١٥ منهم أثناء محاولة الاقتحام ، وسمح لاثنين بالمغادرة بسبب ظروف صحية . وقد بعث المحتلون باثنين آخرين مع قائمة حوت أسماء ٢٦ أسيرا فى سجون إسرائيلية . وقد طلبوا أن يتوسط سفيرا فرنسا ورومانيا فى الموضوع . طلبوا نقل السجناء ، وبينهم ٢٣ فلسطينيا وإسرائيليا ، ويابانى ، إلى دمشق . وما إن يتم التأكد من وصول السجناء إلى العاصمة السورية ، حتى تقدم كلمة سر فى باريس وبوخارست للسفيرين ، وما إن تقدم للخاطفين ، حتى يتم إطلاق سراح السجناء بعد مفاوضات لضمان انسحاب الخاطفين بأمان . ولكن « إن لم تأت كلمة السر الساعة السادسة . فإن الخاطفين ليسوا مسئولين عما سيحدث للأسرى » .

وبينما دارت المفاوضات بين الفلسطينيين وإسرائيل ، قامت القوة الإسرائيلية بهجوم على المدرسة قبل نهاية الوقت المحدد بنصف ساعة ، وخلال هذه المعركة قتل الفدائيون ، ومعهم ١٦ من الرهائن ، ضحايا قنابل الفدائيين أو رصاص الإسرائيليين . وعلى الرغم من غموض ما حدث خلال الدقائق الأخيرة ، إلا أن الإعلام الأمريكى تعاطف تماما مع إسرائيل . السفير الفرنسى هو الذى شكك فى القصة التى شاعت فى الإعلام الغربى .

فقد بقى السفير جين هرلى ينتظر اتصال الإسرائيليين به . فى الساعة ٢ ، أبلغته إسرائيل بأنه لن يعرف الكلمة التى تسمح له بالتفاوض بعد وصول المساجين

إلى دمشق . وفى الساعة ٢٢ : ٣ طلب السفير الإذن للذهاب إلى مالوت ، ولم يأته الجواب . وحين باتت الساعة ٤٥ : ٤ أدرك استحالة وصول السجناء إلى دمشق فى الوقت المتبقى ، فقرر الذهاب بنفسه بهيلكوبتر إلى مالوت ليطلب من الفلسطينيين تقديم المزيد من الوقت . وحين وصل ، سأله موظف إسرائيلى إن كان يعرف كلمة السر ، فأجاب بالنفى ، ثم طلب مقابلة أحد المسئولين : « راجيا أن أستطيع التفاهم مع الفلسطينيين ، أو تمديد الوقت على الأقل » . ولكن أبلغوه بأن فى ذلك « خطورة » . وبعد بضع دقائق ، فى الخامسة والنصف ، سمعت أصوات الرصاص والقنابل . ثم أبلغوه بأن الموضوع انتهى ، وطلبوا منه العودة إلى تل أبيب . فقد اقتحمت القوات الإسرائيلية المبنى . وقد قال هرلى الدبلوماسى : « أعرف أن إسرائيل لا توافق على شروط الإرهابيين ، وإن تساءلت : ألم يمكن فعل أى شىء آخر بين الخامسة والسادسة ؟ » أبلغه الموظفون الإسرائيليون ، كما ذكرت جريدة جروسلام بوست ، بأنه يحتاج لكلمة السر ، ولكن كان هناك « سوء فهم » لأنه لم يكن ليعرف هذه الكلمة « قبل وصول المساجين إلى دمشق » . وقد أكد وزير الإعلام الإسرائيلى آنذاك ، شمعون بيريز ، أن الفدائيين رفضوا محادثة أى فرد بدون كلمة السر .

حسب ما قالته جريدة هاآرتز فى ١٧ مايو ، قررت الحكومة باكرا فى صباح الخميس رفض شروط الخاطفين . ونظرا لإدراكهم لتعاطف الإعلام الغربى معهم ، قرروا المخاطرة . خططوا لعملية الإنقاذ . وقد كان موقع إسرائيل الدولى ضعيفا . وكان للعملية ، سواء أتمت الموافقة أم لم تتم ، فوائد كثيرة . وكما حدث سابقا فى ميونخ ، بررت إسرائيل قرار اقتحام المبنى على أساس أن الفلسطينيين كانوا سيقتلون الأسرى على كل حال حين ترفض مطالبهم . ولكن مسئولاً للمنظمة الفلسطينية ، وهو ياسر عبد ربه ، أكد أن الأوامر للخاطفين كانت بتمديد الوقت فى حال عدم الوصول لاتفاق ، بُنى التخطيط على تجنب إيذاء الرهائن . الخطة كانت التفاوض بنصف الرهائن لإخراج المساجين ، وبالنصف الآخر من أجل إخراج الفلسطينيين من إسرائيل . وقد ادعى الفلسطينيون بأن قرار الهجوم على المدرسة ، بغض النظر عما سيحدث ، اتخذ باكرا . بل « تم إبلاغ السفيرين الرومانى والفرنسى بعدم وجود طائرة تقل المساجين إلى دمشق » . أما الحكومة الرومانية ، فتم إبلاغها قبل الهجوم بنصف ساعة بنية اقتحام المدرسة .

وقد اعترفت الجبهة الشعبية بمسئوليتها عن الحادث ، ولكن أحد قياداتها ، نايف حواتمة ، تحدى إسرائيل لإثبات من كان مسئولا عن العنف الذى حدث ، فى مجلة لندن تايمز . لم تتجاوب إسرائيل مع التحدى ، وتجاهله الإعلام أيضا .

ولو كان التحقيق بهذا الشأن قد تم بشكل موضوعى ، لاكتشف الباحث أن قرية مالوت تم اختيارها فى توقيت الاحتفال السادس والعشرين لقيام إسرائيل . فهذه القرية كانت عربية ، ويفترض أن تعاد للعرب حسب قرار التقسيم الذى اتخذته الأمم المتحدة ، ولكن إسرائيل احتلتها قبل ١٥ مايو ، وضمتها إليها . هرب سكانها أثناء القتال ، ومنعت عودتهم لاحقا . وتم مساواة القرية بالأرض ، وعلى أنقاضها أنشئت مالوت .

لم يهتم الإعلام الغربى بوجهة النظر الفلسطينية البتة . وبالصدفة ، فى مساء ١٤ مايو ، بينما تم الهجوم على مالوت ، كنت فى بيروت أتحدث مع الفلسطينى – أبو نضال – (والاسم مصطنع) وهو قائد لمجموعة فلسطينية يدعمها العراق . فقال لى ما يلى بصراحة وقسوة :

> **نؤمن بأن فلسطين أرضنا ، وأن طريقنا لها هو القوة . أنا فلسطينى ، ولا يعنينى الرأى العام العالمى كثيرا . فالعالم ، وحتى أمريكا ، لم تفعل أى شىء من أجل قضيتنا خلال ستة وعشرين عاما مضت . العالم يحترم من يملك القوة للدفاع عن حقه : أثبتنا جديتنا حين هاجمنا كريت شامون ، وسنهاجم ثانية .**

ما تحدث عنه فى السطر الأخير هو هجوم منذ ستة أسابيع على قرية حدودية نتج عنه قتل ١٨ إسرائيليا ، وجرح ١٦ ، ولكن ثلاثة من رفاقه فقدوا حياتهم ، وأكبرهم سنا ما بلغ العشرين .

وقد ذهبت صباح اليوم التالى إلى لندن ، وأذاعت محطة الـ بى بى سى الشريط الذى سجلته . ولكن فى نيويورك ، بعد ٤٨ ساعة ، كان الإعلام صامتا كالعادة . لا أحد واجه الدعاية الصهيونية التى أكدت أن الهدف الفلسطينى الوحيد كان قتل الأبرياء وممارسة الإرهاب بلا سبب . بل إن بعض اليهود الذين عملوا بالمحاماة ربطوا أنفسهم بالسلاسل أمام الأمم المتحدة للاحتجاج . وطلب السياسيون من الأمم

المتحدة التعامل بقسوة مع الدول العربية الراعية للإرهاب . قدم صحفيون مثل : ماكس ليرنر وبيتر هامل فى نيويورك بوست وجهة نظر إسرائيل فحسب . كتب هامل مثلا : « إن العرب الذين كانوا يتضورون جوعا وعطشا قبل مجيء اليهود وتكون إسرائيل ، باتوا يقتلون الأطفال . وهاهو مصير إسرائيل يبقى بيد هنرى كسينجر الذى تتعاطف زوجته مع الفلسطينيين » .

وقد ادعت جولدا مائير فى إسرائيل أن حكومتها كانت مستعدة للموافقة على شروط الفلسطينيين « ولكن الوقت لم يكف » . ثم استطردت غاضبة : « وستقطع إسرائيل أى يد تؤذى طفلاً أو رجلاً فى قرية إسرائيلية » . ثم تعرضت حكومة جولدا مائير لحملة انتقادات قاسية حين ظهر المزيد من الحقائق حتى اضطرت للاستقالة ، وحلت مكانها حكومة إسحاق رابين .

أحد تلاميذ مالوت المحررين ، آرشيل لاجزيل ، أبلغ الصحفيين أن الفلسطينيين سمحوا لهم « بالاستماع لنشرات الأخبار بالعبرية ، وتناول الطعام والشراب ». تلميذ آخر ، وهو تامارا ين هاموا ، قال : إن أحد الخاطفين هدأ روعه « لا تقلق ، ستحرر إسرائيل المساجين ، وسنتركَكم تذهبون بلا أى أذى » . وهذه النصوص ظهرت فى إسرائيل فقط ، ولم يذكرها الإعلام الغربى البتة .

وقد اتهم بعض الإسرائيليين الحكومة بالتخلى عنهم لأن غالبية سكان مالوت من يهود المغرب .

وخلال أربع وعشرين ساعة ، هاجمت الطائرات الإسرائيلية جنوب لبنان للانتقام ، وتسببت فى مقتل ٥٢ شخصا ، فى مخيم أم الحلوة وبور النراجفة . وفى اليوم التالى تم تدمير مخيم للاجئين فى النبطية .

النص التالى كتبه بول مارتن ، ونشر فى لندن تايمز فى ١٨ مايو :

عثر الساعون للتفتيش عن أحياء على جثة شابة ومعها أربعة أطفال . لم يمكن التعرف على الجثة بعد ما لحق بها من تشوه . ولكن أحد اللاجئين قال إنه يعتقد أن زوجها توفى فى غارات اليوم السابق . وكان المنزل واحدا بين ستين ، فى شارع المخيم الرئيسى ، دمرتها إسرائيل تماما . نصف

المخيم ، الذى يحوى ٥٠٠٠ فرد ، دمر ، وكان الضحايا أفرادا لا علاقة لهم بالأعمال الفدائية . أحصيت بنفسى ٤٠ منزلا مدمرة تماما .

وقد قتل ثمانية أطفال بين سن ٨ - ١٢ حين دمرت مدرسة المخيم . أخذت جثثهم إلى مستشفى صيدون لعدم إمكانية العثور على الآباء خلال الفوضى السارية . المتوقع أن تزداد أعداد الضحايا بسرعة . القتلى حاليا ٢٥ ، والجرحى ٦٠ .

وقد اتجه الناس للمقابر لدفن الضحايا ، ولم يبدُ عليهم سوى الذهول والخوف . وكانت النبطية الأكثر تعرضا للغارات . فمساء البارحة بدأ القصف الرابعة مساء ، حين اكتظت الشوارع بالناس . ثم حين بدأ البحث عن الضحايا ، تم الهجوم الثانى الساعة الخامسة . وأخيرا تم الهجوم الأخير فى الساعة السادسة وخمس وأربعين دقيقة .

وحين زرت النبطية ، كان آخر اللاجئين يهرب حاملا معه الضروريات فحسب . قال رجل عجوز : « هذه ثالث مرة نهجر فيها هذه المنطقة بسبب القصف الإسرائيلى . كل مرة نضطر للبناء من جديد . وهذه المرة سنعود ثانية أيضا ، بعد أسبوع أو شهر » .

يوجد رجال مسلحون فى المخيمات ، ولكن لا دليل على وجود أية قيادات عسكرية فى النبطية . الواضح هو أن الضحايا كانوا من المدنيين . لم تتأثر تنظيمات فدائية البتة ، وقد يستفيدون مما حدث .

مثل هذه الأحداث تؤدى للتطرف . تجمع حولى عدد من اللاجئين حين عرفوا أنى صحفى بريطانى ، وقال أحدهم ، بعد أن فقد أحد أقاربه : « نلعنكم ، نلعن بلفور ، وأمريكا ، نلعنكم جميعا » .

تقرير الأمم المتحدة ذكر أن ٦٠ ٪ من المخيم تم تدميره تماما ، ٤٠ ٪ دمر جزئيا . لا يوجد سقف لأى منزل » . ومع ذلك ، فإن هذه الأعمال الهمجية ضد مدنيين لا تذكر إلا فى الصفحات الأخيرة ، والعذر ، وهو وجود فدائيين فى المخيم ، تم تقبله بسهولة

من قبل الصحفيين ذاتهم الذين انتقدوا بشدة « الأساليب الجبانة » التى استخدمت فى ميونخ ومالوت . لم ينتقد أى صحفى ألعاب الأطفال التى ما إن يلمسها الطفل حتى تنفجر . اعتبرت الصحافة الأمريكية اقتحام القوات الإسرائيلية للقرى الآمنة والمخيمات الفقيرة ، واعتقال الأفراد وقتل الفلاحين إنذارا للفلسطينين للتخلص ممن بينهم من حملة السلاح .

رفض الإعلام تسمية الأفعال الإسرائيلية بالإرهاب ، ولكنه قارنها بما حدث فى مالوت . النيويورك تايمز رجت كلا الطرفين تهدئة الموقف .

غضب إسرائيل المفهوم وتصميمها على مقاومة أعمال الارهاب التى تتسبب فى قتل ٤٩ شخصا جلهم من الأطفال ، خلال عشرة أسابيع ، لا تبرر الإرهاب الجوى المضاد ، خصوصا بعد أن ثبت من تجارب كثيرة سابقة أن هذه الأساليب غير ناجحة . يؤسفنا أن رد الفعل الإسرائيلى سيفيد المتطرفين الفلسطينيين .

اهتمام التايمز الوحيد هو أن الهجمة الإسرائيلية لن تحقق أهدافها ..

وإن كان ما حل بلبنان من دمار معروف الآن ، وإن بقى النقاش حول الأسباب ، فإن تدمير القنيطرة ، عاصمة الجولان السورية ، يبقى واحدا من أسرار العالم . وقد تقبل الرئيس السورى عروض هنرى كيسنجر لإعادة القنيطرة . أما الجزء الجنوبى من المدينة ، والتلال المحيطة بها من ثلاثة جوانب ، والأراضى المزورعة شرقا وغربا وجنوبا ، فلا تزال فى يد إسرائيل ، من أجل حماية المستوطنات فى واد حوله ثلاث مستوطنات إسرائيلية أنشئت منذ ١٩٦٧ على الرغم من قرارات الأمم المتحدة . وإن لم توجد هذه المستوطنات ، لاستطاع كيسنجر الوصول لاتفاق مرضٍ للطرفين . ولكن ، وكما افتخر أحد المستوطنين : « وجودنا يثبت أهمية المستوطنات لإسرائيل ، وحيث نوجد سنبقى » .

وحين عاد السوريون فى يونيو ١٩٧٣ ، استقبلتهم كلمات بالعبرية على حائط شبه مهدم : « تريدون القنيطرة ، خذوها مهدمة » . وتم تنفيذ هذا الوعيد .

وقد زار كورت فالدهايم ، سكرتير الأمم المتحدة ، عاصمة الجولان ، وقال : « أذهلني ما شاهدت في القنيطرة » . أما السفير السوفيتي في سوريا ، فذكرته القنيطرة بمدينة ستلينجراد بعد نهاية الحرب العالمية . وتذكر القس جورج محصل ، حين زار المدينة ، ما حل بهيروشيما . وقد اتهم أب الكنيسة الأرثوذكسية في القنيطرة إسرائيل بمسح ٨٠ ٪ من المدينة بالبلدوزرات وبنهب الكنائس المسيحية وتخريب المقابر قبل انسحابهم في ٢٦ يونيو : « حتى المقابر فتحت بالرصاص ، وشوهت الجثث من أجل أسنان ذهبية . ولم ترد إلى قبورها » . وإن أمكن القول أن اتهامات القسيس مبالغ فيها ، إلا أن إيرين بيسون ، وهي تكتب في الجارديان ، كانت أكثر صدقا في وصف التدمير الإسرائيلي قبل الرحيل . وهذه كلمات مستقاة من أحد القلة التي تعد على الأصابع ، ممن بقوا في المدينة التي احتلتها إسرائيل قبل ١٩٦٧ .

جلبوا حوالي ١١ عربة بولدوزر إلى المدينة . وجلبوا قوات إضافية لصعوبة العمل . المنازل الصغيرة تكسرت بضربة واحدة ، أما المباني الضخمة المكونة من عدة طوابق ، فتطلبت جهودا أكثر .

وقد عملوا من الفجر حتى المساء لعدة أيام ، ولم يبق من المدينة سوى عشرة منازل كان سكانها من العرب الذين لم يفروا . تركوا كذلك بعض الكنائس بعد أن أفرغوها من محتوياتها . أما المياه الجوفية فألقوا عليها النفط ، حتى لا يمكن استخدامها .

وقد زرت هذه المدينة المدمرة بعد عام . كانت آثار الدمار واضحة في كل مكان . بعض المنازل كانت قد ضربت عدة مرات بالبلدوزر حتى تهاوت جدرانها . أسقف العمارات كانت منهارة على الأرض . لم أر أبدا مثل هذا الدمار . دلائل الحياة الوحيدة كانت القطة وبعض الكلاب الصغيرة التي عاشت في ظلال ما كان مستشفى . وقد كان الطقس باردا في مساء مايو ، إلا أن البرد ما عادل جمود المكان ، الذي طل عليه من الأعلى جبل حرمان ، حيث دارت معارك طاحنة بين الطيران الإسرائيلي والسوري . وقد حرست قوى الأمم المتحدة النمساوية المدينة .

الإعلام الغربي لم يتحدث البتة عن مأساة القنيطرة .

الإحباط واليأس يخلق المزيد من الإحباط واليأس . ما عاناه الفلسطينيون فى الأردن عام ١٩٧٠ أدى لزيادة العنف وتوسع أهدافه . فقد ظهرت مجموعات عنيفة ، مثل أيلول الأسود ، وارتبطت بمجموعات الجيش الأحمر اليابانى ، التى تعاونت مع الفلسطينيين لأن للأخيرين حقًا أخلاقيًا .

الأفعال الإرهابية نبهت الناس إلى أن الفلسطينيين لن يختفوا . كما قال د . آلمر برجر : أفعال الفلسطينيين تثير الشارع العربى الذى يعرف أن أمريكا سمت الفدائيين « خارجين على القانون » . وفعلت كل ما بوسعها لإخراجهم عن القانون . فلا توجد دولة كسرت القوانين الدولية أكثر من إسرائيل ، برعاية الولايات المتحدة .

تشويه الإعلام الغربى للحركات الفلسطينية يتم عن طريق عدم وضع الإرهاب فى الإطار المأساوى المسبب له . أما رفض الإعلاميين ربط النتائج بأسبابها فأدى لزيادة العنف وتفجر الأوضاع فى لبنان . وقد بدأ ذلك العنف حين هاجمت إسرائيل مطار بيروت عام ١٩٦٨ .

من المحزن أن عالمنا وصل لدرجة من الانحدار بحيث لا يسمع عن معاناة شعب إلا بعد القيام بعمليات إرهابية . ومن سمع عن الفلسطينيين قبل ميونخ ؟ ومن فكر فى حقوقهم قبل مالوت ؟ لا أحد . استمع الناس فى أوربا وأمريكا عبر وسائل الإعلام للكثير عن « اللاجئين اليهود الفقراء القادمين إلى إسرائيل من كل مكان لبناء الصحراء » . ولكن من سمع شيئًا عن اللاجئين الفلسطينيين المهجرين من ديارهم ، حتى قاموا بضرباتهم القاسية ؟ ألم يقل ونستن تشرشل فى كتابه عن تاريخ الشعوب الناطقة بالإنجليزية : « من حقوق الإنسان الأساسية التحارب والقتل من أجل الأرض التى يعيش عليها » ؟

ولم تعرف وسائل الإعلام كذلك الإرهاب الذى تقوم به مجموعات من الأفراد والإرهاب الذى تقوم به الدول . لم تحاكم دولة إسرائيل بعد قيامها عصابات شتيرن والأرجون . بل إن الجيش الإسرائيلى ضم إلى صفوفه هذه المجموعات ، وتم انتخاب قياداتها فى الكنيست ، وبعد ذلك قدمت حكومة رابين طابعا عليه صورة إبراهيم شتيرن ، الذى قامت عصابته بمجزرة دير ياسين وساهمت فى عملية اغتيال فوك برنادوت . ولكن دور الإعلام الغربى فى التعمية على حقائق ما يحدث فى الشرق الأوسط يفوقه دور معاداة السامية الذى سندرسه فى الفصل التالى .

عن معاداة السامية

فى مجتمع حر ، لابد لكل مجموعة تؤثر على سياسات الدولة من أن تحاسب من قبل الجميع . الحرية لا تبقى إن كان للمجموعات الدينية والدنيوية ستائر حديدية تحميها من الرقابة .

(بول بلا تشارد) ..

سقطت الحضارات سابقا إما بسبب التوسع ، أو الفساد الداخلى . وإن سقطت الحضارة الغربية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة ، فقد يكون سبب سقوطها هو النمطيات . فتصنيف الناس إلى أنماط أدى إلى تجمد الفكر الفردى ، وإلى الضعف النفسى .

تأثير النمط والحكمة المحفوظة هائل . بعض الصور النمطية تدفع بالسياسيين إلى مواقع سامية أو تسقطهم منها . حين نطلق كلمة مثل : « يسارى » « رجعى » أو « شيوعى » أو « فاشى » على سياسى ، فقد تؤدى لصعوده أو سقوطه فى الانتخابات .

ولا شىء أثر على نجاح الصهيونية وإسرائيل فى العالم الغربى أكثر من رهبة « معاداة السامية » . هذا الاتهام ، الذى يجلب فوراً للذاكرة أشباح ألمانيا النازية ، يدمر المسيحى لدرجة أن تسميته شيوعى تصبح مزحة لطيفة بالمقارنة . فقد كان رفْض الغرب لمعاداة السامية ، وليس قوة الصهاينة فى فلسطين ، هو ما خلق وقوّى دولة إسرائيل ، سامحًا باحتلال الأراضى الفلسطينية على الرغم من قوانين الأمم المتحدة وأخلاقيات المجتمع الدولى . كراهية « معاداة السامية » وصلت لدرجة أن السامى ، العربى الأصيل ، غير قادر على الدفاع عن نفسه ضد الاتهام . وقد توقفت محادثات السلام عام ١٩٧٨ لبعض الوقت حين اتهم بيجن الرئيس السادات بمعاداة السامية .

يمكن اعتبار رد الفعل العاطفى على معاداة السامية بأنه خلق وصية جديدة حادية عشرة : « لا تكن معادياً للسامية » . والوصية الثانية عشرة : « لابد أن تكون معادياً لمعاداة السامية » . لا يوجد مسيحى يجرؤ على كسر هاتين الوصيتين اللتين أضيفتا للوصايا العشر التى قدمها الرب إلى نبيه موسى فى سيناء . ونتج عن هذا

الوضع اضمحلال الفوارق بين من يكره اليهود ، ومن ينتقد الصهيونية لكراهية ما نتج عنها من أشرار . المسيحى المعادى للصهاينة وحتى اليهودى المعادى لإسرائيل يتهمان بمعاداة السامية . وهذا أنهى الحوار بشأن قضايا الشرق الأوسط .

وقد لاحظ أستاذ جامعة هارفرد ، د . ديفد ريسمان ، منذ بضعة أعوام فى الرسالة اليهودية ما يلى : « يسيطر الصهاينة ، ليس فقط على صوت اليهود فى الانتخابات ، وليس على قدرات اليهود التقليدية والاقتصادية فحسب ، بل يستطيعون كذلك التهديد باستخدام سلاح معاداة السامية ضد كل من يعارض منهجهم السياسى فى إسرائيل » .

لأن مؤلف رواية د . جيفاكو ، الروسى بوريس باسترنك ، قال :« إن تجمع الناس فى قطيع دلالة على الضعف » اعتبره الصهاينة ، ورئيس وزراء إسرائيل ، ديفيد بن جوريون ، معادياً للسامية .

لا يوجد من ينكر وجود العنصرية والكراهية وألمانيا النازية ، بل إن نزعات الشر تتواجد داخل النفس الإنسانية . ولكن وجود هذه النزعات الاجتماعية لا يجب ألا يؤدى إلى كبت كل النقد لإسرائيل ، وللتنظيمات الصهيونية . معاداة الصهيونية تختلف عن معاداة اليهود . فى عام ١٩١٣ تأسس تنظيم ADL أى تنظيم معاداة القذف (Anti Defamation League) الذى يهدف لتأكيد سياسات أمريكا المدافعة عن إسرائيل . وإن كان التنظيم فى البداية قد حارب العنصرية ، فهو الآن قد بات يقذف الناس ، يتجسس وينشر كتبا تدافع عن إسرائيل وتهاجم كل من يجرؤ على انتقادها .

والمبالغ التى تنفقها هذه الحركة المعروفة باهظة . ففى عام ١٩٧٤ ، استلم مكتبها فى نيويورك ، ٧,٤ مليون دولار . وكان لها ٢٨ مكتبا فى الدولة ومركزان فى كندا ، والمختصون بين موظفيها ٣٠٠ بينهم متخصصون فى العلاقات الإنسانية ، الإعلام ، التربية ، العلوم الاجتماعية ، الدين والقانون . ولها ممثلون فى مئات المجتمعات وتملك آلاف التقارير عن مواطنين كنديين وأمريكان . وكما تقول : « لكل مكتب قياداته من الشخصيات المهمة فى ذلك الموقع . وهكذا فى مئات المدن الأمريكية تتعاون ADL مع السكان لحل المشاكل » . وهذا يتم عن طريق كتابة تقارير تزعم أنها ضد العنصرية ، وإن كان أثرها سلبيا ، شبيها بالابتزاز .

فى لقاء مع مجلة ترو فى فبراير ١٩٧١ ، افتخر ثلاثة من قياديى التجمع ، وهم : بنجامين انيستين ، سيمور جرونادو ، ودور شارى ، على قدراتهم على استخدام الجواسيس . قال المعلق : « لابد أن للتنظيم نظاما تجسسيا واسع النطاق » . وإن بدت الاتهامات التى توجهها المجموعة سليمة عقلانية ، إلا أنها فى الواقع غالبا ما تكون غير دقيقة ، يمكن التساؤل بشأنها . غالبا ما تبتر الكلمات من سياقها ، وتفسر معانيها بشكل خاص .

ومع مرور الوقت ، ازداد تشجيع المجموعة لإسرائيل . وحين قررت وزارة السياحة الإسرائيلية دعوة ١٢٠٠ صحفى غربى لزيارة إسرائيل ، للتخلص من انتقاد الإعلام لها عام ١٩٦٧ ، اختارت منظمة ADL الصحفيين ونظمت الرحلات . وهذه المنظمة كثيرا ما استخدمت شعار أنها مؤسسة لا تبحث عن الكسب المادى لنشر دعايات لإسرائيل . وقد نجح ساول جوفتس فى رفع قضية إلى المحكمة الأمريكية العليا مؤكدا أن أموال هذه المجموعة التى حصلت عليها من دافعى الضرائب ذهبت إلى مشاريع عاونت إسرائيل .

يُعرف الشعب الأمريكى بحساسيته الشديدة وانتقاده لأية محاولات حكومية لفرض الرقابة عليه ، ومع ذلك لم يحتج أحد ، ولم يعرف الناس ، بنظام الرقابة الصهيونى الصارم . فى كتاب « القسم » ، يشرح ليونارد سالانز ، المدافع العتيد عن الصهيونية ، البرامج غير الشرعية التى استخدمت للمساعدة على خلق إسرائيل . منذ عام ١٩٤٥ ، ضم الصهاينة إلى صفوفهم يهودا وأمميين من جميع أرجاء العالم ، ومنهم : سياسيون وموظفون فى الجمارك ، وقضاة ، بل وهربوا الرجال والسلاح إلى فلسطين انتظارا ليوم الحسم مع العرب . ومن المشهور تدخل العالم الاقتصادى المعروف روبرت ناثن لدى الرئيس الأمريكى هوفر لإخراج عملاء للصهاينة حاولوا تهريب السلاح من مخازن الجيش الأمريكى فى هاواى إلى إسرائيل ، وكتب عنه عدد من المؤلفين .

بقيادة « مؤسسة سونبورن » ، المسماة باسم قائد الهاجانا الأمريكى « رودلف سونبورن » تم تسليح إسرائيل . جمعت مواد مختلفة من ٣٥٠٠٠٠ كيس تراب ، من وسكنسن ، ٢٥٠٠٠٠ ثوب عسكرى وخوذة لحماية الرأس ، ١٠٠ طن من الأسلاك

الشائكة ، ٦٠٠ جهاز لكشف الألغام (من منيابوليس) . وتحت قناع الدراسات التلمودية ، درس المحامي ناعوم برنستاتين الجاسوسية وأسس التصارع اليدوى . ومدرسة الجاسوسية هذه التقت فى كلية دينية لا تدفع الضرائب . ومن خلال بناى برث ، ADL ، واللجنة اليهوية الأمريكية ، وتجمعات أخرى مختلفة ، اخترقت المخابرات الإسرائيلية حكومة الولايات المتحدة ، بل لقد شاعت فى البنتاجون نكتة تقول : « لابد من طباعة ثلاث نسخ من تقاريرنا ، الأولى للبيت الأبيض ، والثانية للحكومة ، والثالثة لتل أبيب » . كان لدى الأسطول الإسرائيلى صورة من برامج تمرين جنود الأسطول الأمريكى .

خارج الولايات المتحدة ، تمت أعمال تجسسية لمصلحة إسرائيل كذلك . استمع مسئولون فى لجنة تابعة للأمم المتحدة لتقرير « عن أنظمة تجسس إسرائيلية تستخدم السياحة لدول أوربا الشرقية لجلب المعلومات » .

وقد تم استخدام سلاح معاداة السامية لعرض وجهات النظر الصهيونية وإسكات أى نقد لإسرائيل حين قام وزير الخارجية أبا إيبان ، صاحب أقسى عملية انتقامية فى لبنان ، بالدفاع عن الموقف الإسرائيلى قائلا :« وجهات نظر الدول الأخرى ليست بعيدة عن رؤية غير اليهود للعالم اليهودى » . وقد حاضر أبا إيبان ، بعد استقالته من الحكومة الإسرائيلية ، فى الجامعات الأمريكية ، وعمل فى جامعة كولومبيا ، وفى أكثر من محاضرة أكد أن الكثير من النقد الموجه لإسرائيل إنما هو من أنواع معاداة السامية .

وقد تحدث د . رتشارد أوكستوبى عن الموضوع قائلا : « نتمنى أن تنتهى معاداة السامية ، ولكنها اليوم شتيمة فعالة ، ولا أحد يود أن يتهم بها . رجال الأعمال والنقاد المسيحيون مصابون بالشلل التام . إذ يخشون انتقاد إسرائيل خوفا من الاتهام بالعنصرية . وهكذا ، لا يوجد حرية للحديث حول هذا الشأن فى الولايات المتحدة » .

يعتبر أبا إيبان أن أى نقد لإسرائيل ، سواء أكان مصدره السود فى أمريكا ، أم الرئيس ديجول ، أو حتى الأمم المتحدة ، معاداة للسامية . اعتبر تجمع أحبار أمريكا كذلك أى نقد للصهيونية معاداة للسامية . ونتج عن هذا كله تحديد لحرية

الحديث فى الولايات المتحدة بهذا الشأن . القائد الصهيونى ، د. ناعوم جولدمان ، أكد على وجود معاداة للسامية فى الدول الشيوعية ، و« الأحزاب اليسارية » . وهذا النوع من المعاداة ، قال فى فبراير ١٩٦٩ : « تم التعبير عنه فى صيغة مواقف معادية لإسرائيل والصهيونية » .

وقد استفحل استغلال الصهاينة لمعاداة السامية عام ١٩٧٤ ، حين نشرت مجموعة ADL دراسة بعنوان : « معاداة السامية الجديدة » . بقلم آرجون فورستر وبنجامين ابستين ، وكلاهما من الشخصيات القيادية المعروفة . وقد قالا : إن معاداة السامية الجديدة تنبع من مصادر غير متوقعة « التجمعات الأصولية اليسارية واليمينية ، المجموعات المؤيدة للعرب ، السود ، وبعض الشخصيات المتنفذة فى الدولة ، الإعلام ، رجال الدين ، لا يتفهمون اهتمامات اليهود، وخصوصا احتياجات دولة إسرائيل » . بل إن المؤلفين اعتبروا أى « تهديد لأمن إسرائيل ، إنما هو تهديد لجميع اليهود فى الولايات المتحدة ، ويعتبر نوعا من معاداة السامية . وسبب هذه الكراهية هو حسد البعض للأوضاع الجيدة ليهود أمريكا » .

وقد توافق نشر هذه الدراسة المعروفة مع تزايد شعور الناس بأن الضغوط الصهيونية ، وتأثيرها ، وقوتها الاقتصادية ، أدت إلى الأزمة النفطية . ورد الصهاينة بالقول : « إن معاناة مأساة الحرب العالمية ليست وازعا أخلاقيا كافيا » وتمنوا أن تحمى الولايات المتحدة الأمريكية إسرائيل وأن تستمر سياساتها فى الشرق الأوسط بلا تغيير يذكر .

وفى هذا الكتاب ، وجهت الاتهامات للكثيرمن أشراف القوم بمعاداة السامية . وبينما ذكرت قلة من المتطرفين المعروفين ، أضيفت لهم أسماء أفراد لم يعادوا اليهود البتة ، وهكذا استخدم أسلوب « خلط الحابل بالنابل » حتى يتم اتهام البرىء بجريمة المذنب . ومع أن مقدمة الكتاب تؤكد أن هدف ADL ، هو « الحرب ضد العنصرية ، التطرف ، والتفرقة » بأسلحة المعرفة ، والقانون ، وإقناع الناس والبحث عن العدالة فإن هذه الأفكار أضعفها قول المؤلفين المتكرر :« يعتبر يهود أمريكا أى انتقاد يوجه إلى الدولة العبرية معاداة للسامية » . ويكرران القول مرة أخرى : « سبب معاداة السامية هو عدم فهم الناس لضرورة وجود إسرائيل لسلامة اليهود وأمنهم فى جميع أرجاء العالم » . وهكذا يعد أى نقد لإسرائيل ونشاطات الصهيونية « انعدام

حسـاسية » أو « جـمـودًا بـاردًا » مسـاويًا لمعاداة السامية ، أو نوعًا جديد منها ، يتميز بأن « من يقومون به أناس محترمون لا يعتقدون أنهم عنصريون البتة » .

وفى المقدمة قام مدير ADL ، السيد سيمور جراوبارد ، يذكر القواعد القديمة :

حين بقيت ذكريات المجازر النازية فى الذاكرة ، سكت أعداء السامية ، ومع اختفاء الذكرى ، اعتبر اليهود جزءا من المؤسسات الحاكمة ، وبدأت معاداة السامية بشكل جديد . ونحن نعيش الآن عصر انحطاط خلقى وانعدام الحساسية تجاه معاناة الغير ، وفى هذه البيئة تنمو كراهية اليهود .

وهكذا استغلت ADL الماضى لصناعة كراهية جديدة ، وللقذف وإسكات الغير ، وصنعت ستارة حديدية ضد أى ناقد لإسرائيل (إذ لا يوجد من ينتقد اليهود حاليا) . حتى جيمس وشسلر ، الذى دافع دائما عن سياسات إسرائيل ، كان موضوعيا إذ ذكر أن آخر كتب فورستر وابستين كان « متطرفا حين ساوى أى نقد لإسرائيل بمعاداة السامية » . وقد نُعت هذا الأسلوب بأنه « غير شرعى وغير متحضر » ، واستطرد قائلا :

إن حق للمؤلفين انتقاد جيرالد سميث ، بعد أن حللا أقواله ومحصاها ، فإنهما لم يحللا أقوال عضو مجلس الشيوخ وليام فوليبرايت ، والصحفيين إيفانز ونوفاك ، بل انتقداهما وقذفاهما بلا داع . الاتهام هنا يعد قذفا ، مهما صفت النوايا .

وهكذا تحول دعاة الحرية الفكرية إلى قضاة يقذفون الأبرياء ويدمرون حرية التعبير عن الرأى المخالف . وربما يجدر باسمهم ADL أن يتحول من « مؤسسة معاداة القذف » إلى « مؤسسة القذف » .

نمو معاداة السامية ، التى ادعت ADL إعلان الحرب عليها ، لاءمت الفكر الصهيونى الذى أراد تذكير اليهود بصفاتهم المميزة . الكثير من اليهود ما عادوا يذهبون للصلاة وملّوا كلام الأحبار . وهكذا أعادتهم قضية معاداة السامية إلى حظيرة الهوية اليهودية التقليدية ، أو « معاداة أعداء السامية » .

ومنذ بداياتها ، اهتمت الصهيونية بالنزعات العنصرية ، تمنى هرتزل أن تقوى معاداة السامية « فتطرد اليهود من بقاع الأرض ، مثل موجة المستقبل ، وترجعهم إلى وطنهم » . ثم قال : « تستمر معاداة السامية بالنمو ، وتنمو حركتنا بخط مواز لها ». وقد تنبأ أبو الصهيونية بأن « حكومات العالم ستقلق بشأن نمو معاداة السامية وتعاوننا فى الوصول لدولتنا الحديثة لحمايتنا » .

وقد استخدم الأحبار معاداة السامية لإبقاء القطيع فى الحظيرة ، وأقنعوا اليهود فى جميع أرجاء العالم بأن إسرائيل ستكون ملكا لهم إن عادت معاداة السامية من جديد . وهكذا لم تهتم حكومات إسرائيل بما ينتج من معاداة لليهود بسبب سياساتهم المتعنتة .

وقد استشهد رتشارد كروسمان ، وهو عضو مجلس العموم البريطانى ، بـ . د . حاييم وايزمان ، إذ ادعى أن « معاداة السامية موجودة فى أعماق كل أممى غير يهودى ، بغض النظر عن سلوكه ، وإنكاره لها » والقصة هى أن د . وايزمان سأل كروسمان بصراحة فى لقائهما الأول إن كان معاديا للسامية ، فأجابه الآخر ، « نعم بالطبع » . ثم باتا صديقين بعد هذه المصارحة . وكروسمان يقول بصراحة : « إن المنتصر دوما هو وايزمان ، زعيم حركة اليهود العالمية لأنه أقنع الجميع عن طريق استغلال شعورهم بالذنب بمعاونة اليهود » . وربما يكون ثمن تكون إسرائيل هو مقتل ستة ملايين يهودى فى ألمانيا ، لأن هذه المجزرة دفعت بالولايات المتحدة والعالم الغربى لمعاونة الصهاينة .

وقد لاحظ عضو مجلس العموم البريطانى ، أيان جليمور ، العلاقة بين الصهيونية ومعاداة السامية :

بما أن أساس الصهيونية هو أن محاولات التأقلم لليهود فى المجتمعات المختلفة لم تنجح ، وأن معاداة السامية والاضطهاد سيقويان عاجلا أم آجلا ، فإن الصهيونية تستفيد من الفصل العنصرى . وقد تم تهجير اليهود من الدول العربية لا بسبب معاداة السامية ، بل أدى له نشاط الصهيونية وتكوُّن الدولة العبرية . وهكذا زادت الصهيونية من حدة المرض الذى أرادت معالجته .

وقد قال د. جودا ماجنس مدير الجامعة العبرية كلمات حملت ذات المعنى . « تصورنا أن الصهيونية ستخفف من حدة معاناة السامية . ولكن العكس هو مايحدث الآن » .

تقبل المحافظون « الرجعيون » والتقدميون ، الذين ما كانوا ليتقبلوا أى سياسة عنصرية ، الفلسفة الانفصالية للصهيونية ، التى وقفت وراءها قوى اليهود العالمية . ومن أجل الانفصال ، كان وجود شىء من معاداة السامية ضروريا . يقول السيد ليو بفبفز ، من التجمع اليهودى العالمى : « إن للتفرقة مزاياها . فبعض المعاداة ضرورية حتى يبقى اليهود صفا واحدا » . مجلة بلاك فراير البريطانية ذكرت أن « اختفاء التفرقة ضد اليهود قد تؤدى للانفصال بينهم ».

وقد وحد الإعلام اليهود عن طريق إبقاء فكرة معاداة السامية حية . القوى الإعلامية ذكرت ثلاثة مواضيع :

١) تم تصوير عدوانية العرب تجاه إسرائيل ، وخصوصا جمهورية مصر العربية بقيادة الرئيس عبد الناصر ، ومنظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات ، على أنها استمرارية للنازية الهتلرية .

٢) تم اعتبار اليهود فى الاتحاد السوفيتى ضحايا للقمع الشيوعى الذى يمنعهم من الذهاب إلى إسرائيل .

٣) معاداة السامية فى الديانة المسيحية ، التى يدعى أنها عادت اليهود ، تخلق مشاعر البغض تجاه إسرائيل .

تمت محاولة لربط النشاطات الفاشية فى الأرجنتين مع معاداة السامية المزعومة فى مصر . فى ربيع ١٩٧٥ ، طلب السفير الأرجنتينى من سفير مصر أشرف غربال ، رؤية صحفى يعمل فى مجلة تتناول ظواهر ما وراء الطبيعة . وقد التقى السفير المصرى بالصحفى ، ولم يدم اللقاء سوى ثلاث دقائق ، نظرا لعدم وجود لغة مشتركة أو مترجم . ثم نشرت المجلة السطر التالى بالبنط العريض : « فناء اليهودية فى الشرق الأوسط نقطة انطلاق للتحرر العربى » . وسرعان ما قدمت جريدة جويش ويك ، فى واشنطن العنوان التالى لافتتاحية عددها ٣ أبريل : « السفير المصرى يتنبأ بفناء

اليـهـودية » . وكـان هنـاك تـعليق آخـر فـى مـجلة بروكلن جـوش بريس فـى ١١ أبريل ، بعنوان : « فنـاء اليـهـود » ، حيث انـهالت رسـائل حـوت أجزاء من اللقاء المزعوم على السفارة المصرية فى واشنطن . حتى مجلة الجارديان البريطانية نشرت أجزاء من اللقاء ، ثم اعتذرت عن نشره لأنه « عبارة عن دعاية سوداء » . وإن اعترفت المجلة بأن « مصدرها إسرائيلى فوق مستوى الشبهات » .

وقد قدمت المعارضة الإسرائيلية فى الكنيست طلبا لطباعة اللقاء مع السفير ، لأنه ، كمـا ادعـوا ، يثبت أن الصـراع « ليس على أرض ، بل على وجـود إسـرائيل ، واليهودية » . أما معاون مدير اتحاد الأحبار الأمريكان ، فكتب إلى السفير المصرى غربال : « من معرفتى بك ، لا أصـدق أنك قلت مثل هذه الكلمات » . إيفانز ونوفاك وصفا تشويه سمعة السفير المصرى بأنه « عمل مأساوى قاس ، وبلا أى محاولة للتأكد من صدق تقرير مجلة لا قيمة لها . يتم استغلال مخاوف اليهود فى معركة إعلامية » .

ثـم وُسـم أى حـادث تعـرض لـه يـهودى فى جـمـيع أرجاء العـالم وكـأنه دلالة على معاداة السامية . نشر الأستاذ سيمور لبست فى مجلة نيويورك تايمز دراسة « اشتراكية الأغبياء ، اليسار يسميها معاداة الصهيونية ، وإن كانت لا تختلف عن معاداة السامية التى تميز بها اليمين القديم » ، وهو يعتبر أن « إعدام اليهود فى أى دولة عربية ، معاداة للسامية فحسب ، بغض النظر عن الأسباب الحقيقية للحادث ».

وبدا أن جميع صحفيى مجلة التايمز قد أقسموا اليمين لاستغلال أى دليل ، مهما كان ضعيفا ، لإثبات وجود معاداة السامية ، بحيث يصبح الاستثناء قاعدة . إن لم توجد أحداث تدل على وجود كراهية لليهود ، استخدموا أمثلة من الصراع العربى الصهيونى ، أو أوضاع اليهود فى روسيا ، أو علاقات الديانتين المسيحية واليهودية . أحيانا تم استخدام المؤلفين والأدباء . حين توفى الشاعر المعروف إزرا باوند ، فى ١ نوفمبر١٩٧٢ ، تحدث الإعلام عن إنتاجه الأدبى ، وذكر أن تقديم جائزة له عام وفاته فكرة رفضت لا بسبب أعماله الشعرية والنقدية الرائعة ، ولكن لأسباب أخلاقية . وهى تعاطفه مع النازية ، وادعاء معاداته للسامية .

وقد كان من الممكن أن ينتهى الموضوع بهدوء ، إن لم تتسرب لوسائل الإعلام رسالة من مدير جامعة هارفارد لبعض الأعضاء ، ذكر فيها « أن ذكريات مجازر

اليهود فى ألمانيا تبقى حية ، ولذلك احتج بعض الأعضاء فى اللجنة على تقديم الجائزة لباوند ، الذى لم تنتقد أعماله الإبداعية ، بل أراؤه السياسية » . وقد استقال ثلاثة من أهم أعضاء اللجنة المرشحة ، منهم : البروفسر جيروم لينفان ، والأستاذ هيو كوسنر ، المؤلف والناقد المعروف . وقد اشتكى الأستاذ الجامعى الأسود من هارفارد مارتن نلسون من « حساسية اليهود التى فاقت الحد السليم » ، وقارنها « بحساسية السود الذين يودون أن تمنح الجائزة لمن يدافع عن حقوقهم فحسب » . ثم استطرد قائلا « إنه يبغض العنصرية سواء أكانت ضد اليهود أم السود » . « ولكن القضية ليست عقلانية ، بل سياسية » . وما دام أى مؤلف « لم يمارس أفعالا ضد الإنسانية بسبب فكره السياسى ، يجب تقييم عمله المنشور ، لا فكره الخاص » .

ومن الذى يقرر من هم أعداء السامية ؟ البعض دافع عن باوند ، وذكروا أنه ساعد ت . س . إليوت ، وجيمس جويس ، وغيرهما ، وتعاطف مع الكثير من الأدباء السود . وما هى معاداة السامية ؟ هل يمكن اعتبار أى انتقاد لشخص يهودى معاداة للسامية ؟ حين أعدم الشيوعيون آنا باركر ، بعد أن تسببت فى مقتل آلاف الأفراد فى رومانيا ، تحدث الناس عن معاداة السامية . هل يحق أن تستخدم فكرة معاداة السامية لحماية يهودى كان سياسيا فاسدا ؟

وقد انتقد باوند العولمة فى النظام البنكى ، وادعى أن أسياد هذه الحركة هم من اليهود . بل وقال : إن « الربا سرطان العالم » . و هل يعتبر هذا القول بالضرورة معاداة للسامية ، أو مؤيدا لهتلر ؟

وقد حدث أن فيلم « المسيح المخلص » أثار ضجة إعلامية كبيرة ، إذ انتقده الأحبار بقسوة لأنه اتهم زعماء اليهود بقتل المسيح .

وتبقى « معاداة السامية » ضرورة ، لا فقط لإسكات معارضى الصهيونية ، بل لخلق يهود جدد ، الكثير من اليهود يؤكدون أنهم سيظلون يهودا ما دام المجتمع يتحيز ضد اليهود . معاداة السامية سلاح فعال تستخدمه القيادة الصهيونية لصالحها : إن ذهبت العنصرية ، لقلت أعداد المؤمنين بين اليهود . وإن ضعفت معاداة السامية ، لتناقصت الأموال التى يقدمها اليهود لأحبارهم . وهكذا لا تحل المشكلة ، بل تستغلها القيادات الصهيونية وتبقيها حية .

القصف والقذف

فى كل قضية طرحت أمام المجتمع الأمريكى ، سمعت وجهات النظر المختلفة . تحدث المفكرون عن تقنين المخدرات ، انتقدوا قداسة البابا ، وملكة بريطانيا . دار حوار طويل مرير فى الولايات المتحدة بشأن الانسحاب من فيتنام ، وتم الانسحاب أخيرا . ولماذا لم تسمع سوى وجهة نظر واحدة بشأن الصراع العربى الإسرائيلى ؟ جميع القضايا الأخرى طرحت للنقاش ، وسمعت وجهات النظر المختلفة بشأنها ، كما يجدر أن يحدث فى مجتمع ديمقراطى ، حيث يسمح للوجهات المختلفة بالتعايش معا . ومع أن لقضايا الشرق الأوسط تأثيرات على العالم بأسره ، لا يحق لأى فرد التحدث بصراحة فى هذا الشأن . فالقضايا التى تتعلق بإسرائيل تكبح جماح المعارضة .

خلال أعوام الصراع الطويلة بين العرب وإسرائيل ، وجد أفراد فهموا وجهة النظر الأخرى ، وحاولوا إبلاغ القصة للشعب الأمريكى . وقد تم إسكات هذه الأصوات بسرعة . حوّل الإعلام كل من انتقد سياسات إسرائيل إلى « هتلرية جديدة » وتاريخ هذا الكبت يذهل القارئ الأمريكى مثلما أدهشته فضيحة ووترجيت عام ١٩٧٣ . ومن جرؤ على كسر حائط الصمت دفع ثمنا باهظا لشجاعته . قائمة الأحرار الذين حاولوا مواجهة التيار الصهيونى وتعرضوا لتشويه السمعة طويلة ، وتشمل شخصيات نظيفة فوق مستوى الشبهات ، من أعلى المستويات التربوية ، والأدبية ، والسياسية والصحفية . لايوجد مثال أكثر وضوحًا لكبت الرأى الآخر فى مجتمع ديمقراطى . بل إنه يمكن مقارنة ما تعرض له هؤلاء الأفراد من قذف بالقصف الذى تعرضت له لندن

في العهد النازى . كانت هناك مراقبة، مضايقة ، تشويه سمعة ، بل وأسقط الذنب على أفراد لمصادقتهم لآخرين متهمين ، وكبتت حرية الكلمة .

كان جيمس فورستال ، وزير الدفاع الأمريكى من أول الضحايا . فبينما ضغط الإعلام على الأفراد لقبول ضرورة الدولة الإسرائيلية ، قرر هذا الرجل السباحة ضد التيار فى سبيل ما اعتبر أنه مصلحة وطنه . فقد حاول أولا ، كما توضح مذكراته المنشورة عام ١٩٥٠ ، إخراج قضية إسرائيل من حيز الانتخابات الأمريكية . وقد سعى لإقناع رئيس الحزب الديمقراطى بأن « خسارة ثلاث ولايات يمكن كسبها بمعاونة المهتمين بالقضية الفلسطينية أفضل من تحمل مخاطر كثيرة ستنتج عن تحويل قضية الشرق الأوسط لمسألة انتخابية » ثم استطرد : « لا يحق لأى مجموعة من الأفراد أن تؤثر على سياستنا الخارجية لدرجة تهديد الأمن القومى » . وكان تشويه سمعة الرجل مكافأته الوحيدة على إخلاصه لوطنه . وقد حذره صديقه ، مستشار الرئيس الأمريكى ، أن مساعيه هذه ستجعله من أعداء سياسات الولايات المتحدة بشأن القضية الفلسطينية ، ولكنه تجاهل هذه النصيحة . وحين عبر عضو الكونجرس فرانك روسفلت عن قلقه بسبب إمكانية فقدان أصوات الناخبين إن لم يتم الاتفاق أجاب الوزير : « ربما تكون خسارة بعض الأصوات خير من فقدان وطننا ذاته » . ولكن رئاسة الحزب الديمقراطى بقيادة السياسى دائما ، مكجارث ، لم توافقه الرأى ، حتى بعد الاطلاع على تقارير المخابرات الأمريكية التى حذرت من استغلال السوفييت لهذا الوضع للوصول إلى الشرق الأوسط الغنى بالنفط . وقد كان هدف فورستال هو الحفاظ على صداقات العرب مع الولايات المتحدة . فقد لاحظ أهمية موقع المنطقة العالمى ، وأهمية النفط ، وخشى من دخول السوفييت للمنطقة (وأثبت التاريخ صحة وجهة نظره هذه) . وقد تعالت الصيحات بأن « فورستال خادم رجال الأعمال » ، « موظف لدى شركات النفط » لأنه حاول فصل سياسات الشرق الأوسط عن السياسات الداخلية الأمريكية . المحامى الصهيونى بارتلى كرام هاجم فورستال على أساس أنه « الرجل الذى يملك القوة لتحديد وجود دولة الصهاينة فى فلسطين » . وانتقده لأنه اهتم بالنفط العربى . وقد زادت حدة الهجوم عليه حتى مرض وزير الدفاع الأمريكى ، ولم يحيا حتى يشاهد ما حدث بعد ذلك مما أكد صدق توقعاته . فذلك الرجل الحساس حزن ، لا بسبب فشله فى الوصول

لسياسة موحدة بين الأحزاب بشأن القضية الفلسطينية ، بل بسبب الاتهامات « بمعاداة السامية » وألقى بنفسه من نافذة المستشفى حيث تمت معالجته من انهيار عصبي . وقد لمح بعض الكتاب بأنه قُذف من النافذة . ومن الغريب أن الصهيوني المخضرم ، وأول سفراء الولايات المتحدة إلى إسرائيل، جيمس مكدونالد ، فى كتابه **عملى فى إسرائيل** ، دافع عن فورستال قائلا :

لم يكن من أعداء السامية ، ولا عادى إسرائيل ، أو تأثر بالنفط العربى ، بل اقتنع بأن تقسيم فلسطين ليس فى مصلحة الولايات المتحدة ، ولم يستحق التهجم السام المستمر الذى أصاب منه مقتلا . بل إن هذا الهجوم يدل على استعداد السياسيين والصحفيين لاستخدام أكثر الأساليب انحطاطا ، باسم الوطنية لتدمير مواطنين مخلصين .

وحين أخطأ ديجول ، الذى أغضب الكثيرين سابقا ، وأضاف إسرائيل لقائمة أعدائه ، واجه عدوا هو الأقوى على الأرض ، وهو مجموعة « معاداة أعداء السامية » ولم يجد سفيرا أمريكيا هذه المرة يدافع عنه . ففى مؤتمر صحفى فى ٢٧ نوفمبر ١٩٦٧ ، قال كلمات رددها الإعلام العالمى بشكل خاطئ . وقد قيل إن الرئيس الفرنسى اتهم اليهود بأنهم « شعب متكبر متسلط » . اتهمت مجلة فرنسية وهى لوموند الرئيس بمعاداة السامية ، بينما اعتبره مرشح آخر للرئاسة ، وهو فرانسوا متيران ، « علمانى مادى فى تفكيره » . بعض الصحفيين سخروا منه مدعين أنه ليس معاديا للسامية ، وإن حاول التظاهر بذلك . أما ما قاله الرجل بالفعل ، فهو التالى :

نشوء دولة إسرائيل بعد الحرب الثانية أقلق البعض لأسباب مختلفة . بين اليهود هناك من خشى أن يؤدى قيام دولة عبرية بين دول عربية إلى خلافات وحروب كثيرة ، البعض تساءلوا إن لم يتحول الطبع اليهودى الذى تكون فى الشتات وهو عزة النفس ، إلى التكبر والتسلط إن تجمع فى دولة مجده القديم .

حرّف الإعلام ما قاله الرئيس الفرنسى . مجلة نيويورك تايمز فى مراجعتها لأحداث الأسبوع ادعت أن « الرئيس وصف اليهود بأنهم شعب مغرور يريد السلطة ». مجلة أخرى خشت « أن تعود البروتوكولات للإعلام » . ومع أن الإعلام الأمريكى

لم يتهم الرئيس الفرنسى بمعاداة السامية ، إلا أن الصحفيين قالوا إنه يتحدث مثل أعداء السامية . ثم رسم الموقف وكأن ديجول يتراجع عما قاله . دراسة هنرى تانر فى التايمز فى ٦ و ١٠ يناير ١٩٦٨ ذكرت بأن « ديجول يؤكد للحبر الأعظم أنه ما قصد إهانة اليهود » ، و « ديجول يقول إنه امتدح اليهود » . وفى الأحد 14 يناير ، ظهرت مقالة بعنوان : « أفكار ديجول الجديدة عن اليهود » ، وكأن ديجول تراجع عن أقواله ، وإن لم يتراجع الرجل ، فلم يذكر ما يتراجع عنه .

مقالة التايمز التى ذكرناها أكدت أن الحبر كابلان حذر ديجول « من أن أعداء السامية الحقيقيين قد يستخدمون كلماته التى قالها بحسن نية » وكان المعنى واضحا . لا يصح لأى فرد أن يقدم أى نقد بشأن إسرائيل ، أو الصهيونية ، أو اليهود ، وإلا فقد يستغله أعداء السامية الحقيقيون . وقد استغل الإعلام الأمريكى هذه القضية وكبرها ، ولسبب مهم ، فبعد أسابيع زار رئيس وزراء اسرائيل ليفى أشكول الولايات المتحدة لطلب طائرات جديدة ، بعد أن دمرت الطائرات الإسرائيلية المطارات العربية منذ شهور معدودة عام ١٩٦٧ .

ولكن القضية لم تنته . فرداً على أقوال ديجول ، كتب رئيس وزراء إسرائيل ، بن جوريون رسالة من ١٥ صفحة مفصلا فيها معاناة اليهود عبر العصور . وأجاب الرئيس الفرنسى بصراحة تامة موضحا الأسباب الحقيقية للنقاش قائلا : « كان من المؤسف أن يقفل خليج العقبة مما أقلق إسرائيل » ، ولكن ، استطرد الرئيس قائلا:

نشعر بأن احتلالكم للقدس ، ولأراضٍ أردنية ومصرية وسورية بالقوة ، واستخدامكم لأساليب الاضطهاد وترحيل الناس ، يدل على تخلى إسرائيل عن العقل والحكمة ، واستخدامها للقوة لحل المشاكل التى تواجهها .

وحتى فى هذه الرسالة ، أكد الرئيس الفرنسى أن « قوة الشعب اليهودى صفة إيجابية ، إذ ساعدتهم على الصمود لتسعة عشر قرنا فى ظروف صعبة للغاية » . وقد لاحظ أيضا « أن إسرائيل تتحمل تبعات سلوكها ، وأن بقاءها يعتمد على تصرفاتها ، مثل بقية شعوب العالم » . وهذه الكلمات تكرر ما قاله وزير الخارجية الفرنسى ، قبل

بدء حرب عام ٦٧ بـ ١٢يوما ، إذ أبلغ وزارة الخارجية الإسرائيلية أن فرنسا ستدافع عن إسرائيل إن هوجمت ، وستشجب أفعالها إن هاجمت الدول العربية ، قائلا ما يلى :

على الرغم من قلة عدد سكانكم ، فأنتم أفضل تنظيما وتسلحا من الدول المجاورة لكم . ستواجهون الكثير من الصعاب لاحقا فى الأراضى التى ستحتلونها ، محليا أو دوليا . لأن توتر الشرق الأوسط من شأنه أن يزيد العلاقات الدولية سوءا ، واللوم فى جميع هذه الأمور سيقع عليكم .

وهكذا اعتبر رئيس فرنسا معاديا للسامية بسبب أفكار منطقية تماما . وقد تخلت إسرائيل عن صفقتى ميراج مع فرنسا ، واستبدلتهما بصفقة أمريكية عام ١٩٧٢ ، مما أساء العلاقات أكثر بين فرنسا وإسرائيل . وذكرت مجلة تايمز باختصار سبب توتر العلاقات بين الدولتين : « يعتبر الرئيس ديجول أن مصلحة فرنسا ستخدم بشكل أفضل إن ارتبطت بالعرب بدلا من إسرائيل » .

والواقع هو أن « ديجول » ما رضى البتة بدخول فرنسا فى العدوان الثلاثى . واعتبر أن تنمية العلاقات مع الدول العربية مفيدا لفرنسا أكثر من التحالف مع إسرائيل . وهذا هو السبب الحقيقى لاتهامه بمعاداة السامية بشكل مستمر حتى دفنت جثته فى المقبرة الصغيرة فى كنيسة كولومبيا .

وقد تعرض الرئيس اللاحق جورج بومبيدو لذات الاتهامات بسبب صداقته لديجول ، وكونه الرئيس اللاحق له . وقد حاول بومبيدو توضيح المواقف فى أول لقاء صحفى له بعد وصوله للرئاسة ، إذ أوضح : « أن اهتمامات فرنسا بحوض البحر الأبيض المتوسط يتطلب إقامة علاقات جيدة مع العرب » ، ثم أكد : « فرنسا لا تنسى الماضى الدموى للنازية . وتتعاطف دوما مع معاناة اليهود » . ولكن ذلك القول ذهب أدراج الريح ، وبقيت اتهامات معاداة السامية تلاحقه كلما اتخذ قرارا شرق أوسطيا لم يتفق مع مواقف إسرائيل . ووصلت الأمور إلى الحضيض حين زار الرئيس الفرنسى الولايات المتحدة عام ١٩٧٠ .

وقد جاءت الزيارة حين رفضت فرنسا تسليم طائرات الميراج إلى إسرائيل عام ١٩٧٠ . بسبب احتلالها لأراضٍ عربية عام ١٩٦٧، ونتج عن هذه المواقف أن الرئاسة الفرنسية فقدت تقدير الصهاينة ومشجعيهم فى الولايات الأمريكية . وهكذا

واجه الرئيس مظاهرات احتجاج ، وانتقادات قاسية ، في شيكاغو ، وصراخ المحتجين في وستهامشر . وقد كاد الرئيس الفرنسي أن يتعرض للضرب مما دفعه لإيقاف رحلته والعودة لوطنه ، حتى تدخل الرئيس نيكسون من واشنطن واعتذر له وطيب خاطره ، ورجاه معه . إن اضطرار الرئيس الأمريكي للاعتذار بسبب سوء سلوك أقلية أمريكية يدل بوضوح على قوة الصهاينة في أمريكا .

ومع أن اليهود الأمريكان انتقدوا الرئيس الفرنسي بحدة ، إلا أنهم غضبوا بسبب إلغائه للقاء مفترض مع رؤسائهم في نيويورك . فقط طلب بعض أعضاء مجلس الشيوخ اليهود ، بقيادة برترام بودل ونستر وولف من نيويورك ، من الكونجرس مقاطعة خطاب الرئيس الفرنسي . وظهرت صفحات في الصحف تدعو الحكومة الأمريكية لتقديم طائرات الفانتوم الأمريكية بدلا من الميراج التي رفضت فرنسا تقديمها ، ووقع على الطلب ٦٤ عضوا من مجلس الشيوخ ، و ٢٤٣ نائبا . أما رئيس المؤسسات اليهودية ، د . وليام كسلر ، فكتب « إن إلغاء الرئيس الفرنسي اللقاء يأتي في وقت نتذكر فيه ستة ملايين رجل ومرأة وطفل قتلوا . لنا الحق في أن نقلق على أمن إسرائيل » . بعض الصحف اتهمت الرئيس الفرنسي بجرائم ضد الإنسانية لأنه سلح العرب بطائرات فرنسية ، وكسر موازين القوى ، وتخلى عن مصالح فرنسا مقابل النفط العربي . لم تتدخل الحكومة الإسرائيلية ، التي أسعدها ما حدث للرئيس الفرنسي . المسئولية وقعت على عاتق المؤسسات اليهودية في الولايات المتحدة ، بمعاونة من مؤسسات يهودية فرنسية . وقد تساءل السفير الفرنسي في بريطانيا ، بعد قراءة رسالة من يهود فرنسيين ، عنوانها : J' accuse « نتهمك بتسليح أنظمة غير متزنة ستستخدم السلاح لارتكاب المجازر » .... تساءل قائلا : « هل اليهود الفرنسيون ينتمون لفرنسا ، هل هم فرنسيون يهود ، أم يهود أولا ، فرنسيون بعد ذلك ؟ ».

وفي مؤتمر صحفي قبل مغادرته لنيويورك ، قال الرئيس الفرنسي : « سنعيد لإسرائيل ما دفعته من مال مقابل الطائرات التي لن نسلمها » ثم استطرد مؤكدا : « يستطيعون أن يقولوا ما يريدون . أنا لست معاديا للسامية » .

وإن كان هذا هو ما فعله الصهاينة برئيس جمهورية فرنسا حين زار الولايات المتحدة الأمريكية ، فقس على ذلك تعاملهم مع مواطنين أمريكيين قدموا آراء مخالفة .

الشخصيات الأمريكية التى لاحظت وجود رؤية أخرى للوضع الشرق أوسطى واجهت حصارا قاسيا . قال فرانسيز ساير ، كبير أساقفة كنيسة واشنطن ، فى خطبة الأحد عام ١٩٧٢ : « إن الإسرائيليين الذين تعرضوا للاضطهاد باتوا الآن يمارسونه فى القدس » واستطرد ذاكرا هدفه من ذكر هذا المثال : « أليست إسرائيل صورة لضعف الإنسان الذى يطيع ربه لساعة ، ثم يثور عليه ويفرض إرادته على الناس طورا » . ثم أوضح أن « العرب الآن يطردون من الأرض بلا حق ، ويمنعون من جلب أقاربهم للسكن فى القدس ، التى يعتبرونها أرضا مقدسة ، تماما مثل اليهود » .

نتيجة لهذه الخطبة ، قامت صحافة واشنطن وما قعدت . ذكر فورستر وارستين من قيادة A D L أن ماير أعاد الأسطورة الأساسية لمعاداة السامية ، وهى أن اليهود جميعا اشتركوا فى قتل المسيح . طلب الصحفيون إقالة ساير من وظيفته ، أو إجباره على الاعتذار . ثم حدثت قضية أخرى . فقد قال القسيس فى خطبة لاحقة تعليقا على ما حدث له من تشويه سمعة : « نعزى ليس فقط ضحايا ميونخ من رياضيين يهود ، بل أيضا العرب الذين قتلهم القصف الإسرائيلى على لبنان للانتقام » . هذه الخطبة استخدمت كدليل آخر على معاداة القسيس ساير للسامية .

وقد حاول قسيس كندى آخر ، وهو أ . س . فورست ، رئيس تحرير مجلة -Unit ed Church Review ، أهم المجلات المسيحية الأمريكية ، الدفاع عن ساير ، ولكنه تعرض هو الآخر لحملة تعريض شديدة ، وقد قال عما حل به ما يلى : « جريمتى هى أنى أنتقد سياسات إسرائيل منذ حرب ١٩٦٧ أومن بضرورة السماح للفلسطينيين المهجرين بالعودة إلى ديارهم كما وعدت إسرائيل . لا أزال أقول إن سلوك إسرائيل يشجبه العالم » . وكان الرد هو أن الرجل « يحرض » و « يكذب » . قال أحد الأحبار إن فورست قال : « إنه يكره إسرائيل » . نشرت مجلة يونايتد تشرش رفيو ، رد كبير الأحبار ، ولكن حين رفضت نشر رد آخر للسفير الإسرائيلى فى كندا ، عاد الحديث عن معاداة السامية . البروفسور إميل فاتنهام من جامعة تورنتو طلب أن يطرد فورست من وظيفته . ثم بدأ أغراب بحضور الخطب الدينية التى ألقاها القسيس ، وسجلوها . قالت مجلة « جلوب » : « إن فورست مخدوع من قبل العرب والشيوعيين » . وحين لم يتهم بمعاداة السامية ، قالوا إن مصادره معادية لها ، وخطبه تسهم فى خلقها . اضطر القسيس لإلغاء خطبه . وبقى الصهاينة يسعون لطرده من وظيفته ،

أو على الأقل ، فرض الرقابة على كتاباته . وحين نشر الرجل أخيرا كتابا إنسانى النزعة تعاطف مع معاناة الفلسطينيين بعنوان : « الأرض غير المقدسة » رفض قراء كندا أن يقوم مقص الرقيب بحذف الكتاب . ولكن الكثير من الشركات المهمة رفضت عرض الكتاب ، مما دفع بالقراء للبحث عنه وشرائه حتى بات فى قوائم أكثر الكتب مبيعا .

وإن فشلت الصهيونية فى إخفاء هذا الكتاب ، إلا أن فورست بقى يعانى النقد المقذع ، ورفعت ضده أكثر من قضية فى المحاكم . فورستر وإبستين دعياه « المسيحى معادى السامية الأول فى كندا » . وقد لاحظت إحدى المجلات فى تعليقها على الموضوع « عدم مرونة اليهود تجاه أى فرد يتساءل بشأن سياسات إسرائيل . استطرد صحفى مجلة « مان أوف ذ تشرش » قائلا : « الصحافة الكنائسية تلتزم بأخلاقيات المهنة ، مثل الصدق ، وترفض الدفاع عن فكرة بسبب الخوف أو بحثا عن العطف » ثم استطرد : « تحتاج الكنيسة والمجتمع لصحافة حرة ، ملتزمة ومسئولة ، حتى تنقل صورة صادقة عن العالم لقرائها . وإن استسلمت قيادات الكنيسة لضغوط مجموعات بعينها ، مهما قويت ، فذلك يقلل من قدرة القراء على معرفة ما يدور حولهم » .

كان القسيس الكاثوليكى دانيل بريجان ممن احترمهم اليهود لعدة أعوام بسبب شجاعته فى انتقاد حرب فيتنام . ثم زل حين تحدث عما يدور فى الشرق الأوسط . إذ قال فى ندوة لشباب العرب الأمريكان حديثى التخرج فى واشنطن :

> **المأساة هى أن تتحول كلمات الحكمة التى نطق بها أنبياء إسرائيل القديمة ، إلى سيل من العنصرية ، والاستخدام السيئ لعلم الاجتماع لإثبات تفوق اليهود على الشعب الذى احتلوا أرضه . تحول حلم إسرائيل إلى كابوس ، فهذه الدولة لم تساعد العالم فى الخلاص من الفقر والمعاناة ، بل فى البحث عن السلاح . ولم تحرر الأسرى ، بل ملأت السجون بالأفراد ، وأنتجت أجهزة التصنت ، وباعت للعالم أسلحة متطورة .**

قسوة هذه الكلمات لم تتجاوز حدود حرية الحوار فى مجتمع ديمقراطى . وقد قال بريجان كلاما أسوء بكثير عن تصرفات الأمريكان خلال حرب فيتنام ، وقال المدافعون عن إسرائيل كلاما أكثر سوءًا عن العرب . ولكن العاصفة التى واجهها هذه

المرة فاقت كل ما لاقاه من قبل . فقد تناسى رفاقه من اليهود كل مواقفه التى شجعوها سابقا . سعوا لإسكاته تماما . مثلا ، حجبت عنه جائزة نوبل للسلام التى كان المفترض أن يأخذها بسبب معاداته للحرب فى ٩ يناير ١٩٧٤ . والمتحدث باسم مجموعة نيوهيفن الذى كان سيقدم الجائزة تحول للقدح : « إن كلمات بريجان زادت العرب ثباتا واليهود خوفا فى الوقت الذى لا يمكن أن يحدث السلام إلا من خلال تهدئة مخاوف اليهود وإضعاف ثبات العرب » (وقد تكون هذه المقولة خير مثال للتعصب ، إذ تعنى أنه يحق لإسرائيل أن تخيف جيرانها ، وأن العرب هم فقط المتعصبون فى الشرق الأوسط) . فى مجلة التايمز ظهرت دراسة ناقدة بقلم ارفنج نبيجال ، وفى مجلة كومن ويل ، انتقد مايكل نوفاك بحدة نقد بريجان لإسرائيل .

ولكن نوفاك ذاته ، ورفيق عمره فى الصحافة الأمريكية ، إيفنز ، تعرضا لمحاولات لكتم صوتهما حين ذكرا عام ١٩٧٣ ، أن قيادات الصهيونية الأمريكية متضايقة من اختطاف إسرائيل لطائرة لبنانية وإجبارها على الهبوط فى إسرائيل . بل إن الصحفيين نبها « لاحتقار إسرائيل للرأى العام العالمى » ، وبسبب تحذيرهما « إن إنشاء إسرائيل للمستوطنات فى الجولان السورية التى احتلتها إسرائيل ، وفى سيناء المصرية خطر » بسبب هذه الأقوال اعتُبرا من أعداء السامية فى كتب مجموعة ADL واستمر الانتقاد لهما حتى اضطرا للحديث عن هذا الموضوع ثانية ، عام ١٩٧٥ ، للدفاع عن نفسيهما ضد الاتهام بالتحيز ضد إسرائيل .

نظريتنا الثابتة هى أن رؤية الولايات المتحدة لصراع العرب مع إسرائيل تحكمه مصالحها ، لا مصالح العرب أو إسرائيل . دوما سعينا حينما كتبنا عن الشرق الأوسط للبحث عن مصالح بلادنا ، ولا يمكن اعتبارنا فى صف العرب أو إسرائيل .

مجلات معروفة مثل كرستيان ساينس مونتر انتقدت كذلك لأنها تقف فى صف العرب ضد إسرائيل . وقد واجهت هذه المجلة العريقة ، مثل غيرها من الصحف ، بعض المشاكل الاقتصادية . فحاولت عقد اتفاق مع مجموعة تحرر المرأة ، التى تضم حوالى ١٥٣ ألف عضو وعضوة . وضغطت التجمعات اليهودية لإيقاف هذه الصفقة . فى جريدة « يهود بوسطن » ، هاجم د . جيرالد والبرج المجلة لأنها « انتقدت

إسرائيل ، وتعاطفت مع وجهات النظر العربية » .ثم أكد على ضرورة إيقاف الصفقة ، وطالب « المرأة اليهودية » بالكتابة لقيادات المجموعة ، لإيضاح « أن التعامل مع مجلة عنصرية يعني الموافقة على عنصريتها » .

تغيرت المجلة بعد ذلك ، ولم تعد تقدم وجهات النظر العربية التي شرحها الصحفي جون كولي في صفحاتها الأولى ، ورفضت نشر دراسات جادة قدمها أعضاء مركز المعلومات العربي . ضغوط A D L وغيرها أثرت بالفعل على مجرى الصحافة .

وليست الصحافة فقط ضحية للابتزاز باسم معاداة السامية ، بل كان من الضحايا أيضا مدير ثاني أكبر شركة نفط أمريكية ، كما توضح المراسلات التالية بين مدير A D L ومدير شركة جولف أويل ، بوب دورسي :

السيد دورسي :

كما تعلم ، هناك قلق بين يهود أمريكا بسبب إدراك أن شركة جولف أويل تبرعت بمبلغ من المال في بيروت لبنك استخدم المبلغ لدعاية عربية في الولايات المتحدة . وصلت المؤسسات اليهودية عدة رسائل بشأن هذا المبلغ الذي قدمتموه وما نتج عنه من ضرر . وحتى نستطيع الاستجابة لهذه الرسائل ، نحتاج لإجابة رسمية من طرفكم .

وأجاب السيد دورسي بما يلي :

السيد جراوبارد :

أشكرك على رسالتك في ١٥ أغسطس ، نشارككم اهتمامكم بقضية المبلغ الذي تبرعنا به في الخارج لأهداف تعليمية داخل الولايات المتحدة .

نؤكد عدم معرفتنا الشخصية بالتبرع أثناء حدوثه . ونعتقد أنه لا يحق لشركة أمريكية التبرع لدعم مصالح قوة أجنبية داخل الولايات المتحدة . وعزمنا على عدم تكرار هذا الوضع ثانية . يؤسفنا حدوث هذا التبرع ، ولن نسمح بتكرار الخطأ ثانية .

والتبرع ، وقدره ٥٠٠٠٠ دولار أمريكى ذهب لإبلاغ الأمريكان بوجهة النظر العربية بشأن صراع الشرق الأوسط . ولكن قوة معاداة السامية أجبرت إحدى أضخم الشركات الأمريكية على التراجع . ومع ذلك . فمن يجرؤ على مواجهة المؤسسات التى تتبرع بملايين الدولارات كل عام لذات الأهداف التعليمية لمصلحة إسرائيل ؟ ربما بات الدفاع عن إسرائيل مقبولا . أما العرب فيبقون أجانب معتدين . كما ذكر صحفى فى مجلة لايف : « نتيجة الإعلام اليهودى هى أن كل أمريكى بات قريبا من اليهود ، وأن إسرائيل باتت جزءا من سياساتنا ، بينما تحول العرب إلى أعداء » . كانت عملية غسل دماغ ناجحة تماما . إسرائيل صارت جزءا من الولايات المتحدة .

تأثير الصهيونية واضح كذلك فى الكونجرس الأمريكى . فبعد حديث صحفى معروف للجنرال براون ، قال ممثله فى نيويورك بيلا أبروك : « نتوقع سماع هذه الأقوال من طاغية نازى ، لا قائد عسكرى مخضرم فى الجيش الأمريكى » . « أما سبب هذه الضجة »، فقد كان استجابة الجنرال لسؤال بشأن إمكانية استخدام الولايات المتحدة للقوة ضد الدول المنتجة للنفط ، إذ قال :

لا أعتقد . أرجو ألا يحدث ذلك . لا نخطط لأى شىء الآن . من الممكن أن ترتفع أسعار النفط حتى يسوء الاقتصاد ، فيعانى الناس ، ويقررون النهوض ومواجهة التأثير الصهيونى فى هذه البلاد . وذلك التأثير أقوى مما تتصورون . يأتى الإسرائيليون طالبين التسلح ، فنقول لهم : الكونجرس لا يوافق . فيجيبوننا : لا تقلقوا . نحن نتعامل مع الكونجرس . هؤلاء أفراد من دول أخرى ، ولكنهم يملكون بنوكا هنا . تطلع لعمل المال اليهودى فى الولايات المتحدة .

وقد دار هذا اللقاء خلال الفترة التى جاء فيها ياسر عرفات إلى الأمم المتحدة ، وتحدث بشأن مغاناة شعبه وطموحاته بشأن تكوين دولته المستقلة .

وكلمات الجنرال براون تدل على معاداة للسامية ، ولكن بيتر كاهن ، مدير جامعة يورك ، اليهودى ، الذى دعا جنرال براون للحديث فى الجامعة قال : « بقية اللقاء معه ، وما ذكره فى جميع المواضيع الأخرى ، لا يدل على معاداته للسامية » .

ثم تم تغيير الكلمات لجعل معناها أشد خطورة . الصحفى هاميل حرّف الكلمات كالتالى : « سيعانى الشعب الأمريكى إن لم يواجه التأثير اليهودى فى هذه الدولة » المعنى هنا تبدل تماما . والواقع هو أن براون كان قائدا عسكريا خلال حرب عام ٧٣ ، وفتح الجسر الجوى الذى عاون إسرائيل على مواجهة القوات العربية وأنقذها من هزيمة محققة ، ولذلك كان عارفا بقوة الضغط الإسرائيلى على البيت الأبيض ، والبنتاجون (القيادة العسكرية) لنقل القوة العسكرية المطلوبة بسرعة .

وبدلا من التساؤل بشأن استمرار الولايات المتحدة فى تسليح إسرائيل ، وهو ما عناه الجنرال فى حديثه ، اتُهم بمعاداة السامية ، وبقى الاتهام يتكرر لأسابيع لاحقة . الصحفى جيمس وشسلر من مجلة نيويورك بوست هاجم الرئيس فورد لإبقاء الجنرال براون فى منصبه ، واعتبر « هذيانه المعادى للسامية » غلطة مؤسفة . وادعت الصحافة أن ما قاله الجنرال فى الواقع جريمة لا تغتفر . أما الصحفى الآخر المعروف فى ذات المجلة ، هاريت فان هورن ، فاعتبر أن العنصرية موجودة فى داخل الجيش الأمريكى . وأن معاداة السامية بين العساكر جزء من « نظام قديم لا يفيد الدولة فى شىء » . أما ميج جريرفيلد ، فكتب فى واشنطن بوست ، منكرا وجود أى تأثير للوبى إسرائيلى فى واشنطن . وأكد أن اليهود كذلك لا « يملكون سوى ٣٪ من الصحف الأمريكية » . والواقع هو أن اليهود لا يحتاجون لامتلاك الصحافة ، إذ يكفى تواجد دعاة الصهيونية والمدافعين عنها فى مراكز الإدارة للصحف الأكثر أهمية وشيوعا .

وقبل أسبوعين من يوم الانتخابات ، تعرض الجنرال لهجوم قاس جديد . فى ١٢ أبريل ، أجرى الصحفى رانال لورى (الذى خدم فى الجيش الإسرائيلى) حواراً صحفيًا مع الجنرال الذى أكد أن « إسرائيل عبارة عن ضغط ومسئولية تنوء بحملها العسكرية الأمريكية » . وقد تم تأجيل نشر هذا الحوار حتى الوقت الملائم للصهاينة، بعد ستة أشهر من حدوثه أثناء الحملة الانتخابية ، وبسبب الرغبة فى إحراج الرئيس فورد ، وطرد الجنرال ، وهو ما طالب به كل ساع وراء الصوت اليهودى . اعتبر والتر موندال أن « كلمات براون إهانة لليهود فى أمريكا » . وأنه « يجب ألا يعمل فى الجيش ، بل فى البالوعات » . الرئيس فورد اعترض على « اختيار الكلمات » ، ولكنه اعترف بان احتياجات إسرائيل أضعفت قدرات الجيش الأمريكى فى أوربا خلال عام ١٩٧٣ ، وإن تغير الوضع حاليا .

ومن الطريف أن إسرائيل لم توافق على هذه الاتهامات . فقال إسحاق رابين فى ٢٨ ديسمبر ١٩٧٤ لجمهور فى تل أبيب : إن الجنرال براون « ساعد إسرائيل خلال الحرب الأخيرة أكثر من أى فرد آخر » .

وقد حاولت عدة مرات التحدث إلى ضحايا الإعلام الصهيونى ، ولكنهم خشوا الحديث بهذا الشأن . إن ما نذكره هو بعض تفاصيل من قصص معروفة . وهناك كثيرون فى جميع أرجاء الولايات المتحدة ممن فضلوا الصمت والتراجع عن مواقفهم . ربما سيجمع المؤرخون قصص المعاناة كاملة فى يوم ما .

ومن الواضح أننى كنت من أول الضحايا خلال الـ ٣٠ عاما الماضية . وسأكتب قصة ما واجهته فى مذكراتى . ولكن ذكر بعض الأحداث قد يوضح للقارئ ما يواجهه من يحاول الخوض فى هذا الشأن فى عصرنا.

منذ أن بدأت فى الحديث لأول مرة فى ١٦ ديسمبر عام ١٩٥٢ بشأن الأوضاع المأساوية للاجئين العرب وحتى عام ١٩٧٦ ، ضغط الصهاينة على من دعونى للحديث لإلغاء الدعوة . وإن لم يتحقق هذا ، تعرضت للمقاطعة أثناء الحديث . القلة منا التى حاولت التعبير عن الآراء غير الشائعة لم تعرف هل ستستطيع الحديث إن دعونا ، أم سيلغى اللقاء فى آخر لحظة . فمجموعة A D L أخافت الداعين أو رشتهم أو عرضت عليهم جلب متحدثين أكثر شهرة . مثلا ، بعد ظهور كتابى إسرائيل وقيم السلام ، دعانى نادى الإمبراطورية البريطانية للحديث وقدمنى مقدم الجلسة د . برس هوجسون قائلا : « اتصلت بى سيدة وقالت : « نعرفك منذ أعوام ، ولا نود خسارة صداقتنا ، نتمنى أن تلغوا هذه الدعوة . إنه يقدم آراء خطرة » . وقد أجابها هوجسون بالقول : « إنه يود أن يدعو من يعبر عن وجهة نظرها أيضا فى وقت لاحق . نريد سماع وجهات النظر المختلفة » . إذ كانت وجهة النظر الإسرائيلية هى المسموعة أغلب الوقت .

كتبت فى مذكراتى عام ١٩٦٨ ما يلى :

فى مدينة ماكنيس بلويزيانا اكتشفت أن الصهاينة وصلوا إلى أقصى أعماق الجنوب . فالحبر فى الولاية اتصل برئيس الكلية وطلب إلغاء كلمتى . وبعد إلقاء الكلمة الصباحية بدأت فترة سؤال وجواب عاصفة تدخل فيها ممثل A D L وزوجة الحبر

المذكور التى قالت : « لا توجد ديمقراطية فى الشرق الأوسط سوى فى إسرائيل ، ولذلك لابد لنا من الدفاع عن واحة الحرية فى صحراء الطغيان العربى » . وحين ذكرت فى جوابى سوء معاملة إسرائيل للعرب واليهود الشرقيين ، أجابت « هذه قضية سنحلها قريبا » أجبتها : « ومن أنتم الذين سوف تحلونها ؟ » . قالت بسرعة : « أنا يهودية ، صهيونية ، أمريكية » .

وقد تلقيت رسائل – الكثيرمنها من نيويورك ، حوت السب والتهديد – الاتهام بالفاشية ، والنازية ، وبأنى بعت نفسى للنفط العربى ، وإلى من قال إنه سيدفع ٥٠٠٠ دولار لمن يقتلنى .

والواقع هو أن الخطر الأساسى هو الموجه ضد الحرية . د . إسرائيل شاحاق ، الذى تعرض لحملة مشابهة فى الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل ، بهدف طرده من عمله الجامعى ، قال : إن هناك من يعيشون ومعهم عقدة اضطهاد حتى فى الولايات المتحدة ، وإنهم سبب هذه الحملات . ثم استطرد قائلا :

الولايات المتحدة دولة حرة ديمقراطية ، إلا فى شأن قضية إسرائيل ويهود الشرق الأوسط ، الكثير من دعاة الحرية فى كل موضوع آخر يصبحون قساة مضطهدين ، بل وعنصريين بهذا الشأن . المجتمع الذى يستند إلى الاضطهاد لا يكبت الصوت الآخر فحسب ، بل يدافع عن رأى سائد يردده الجميع بدون التفكير فيه ، أو حتى إدراك معناه . وقد يتوهم البعض أنى أبالغ ، ولكن ، وقبل مجىء القوى التسلطية لأى مجتمع ، اتهم الناس الذين قاموا بالتحذير بالمبالغة . فقط فى مرحلة لاحقة ، عرف الناس بوجود قوى كانت تتسلط أساسا فى المجتمع قبل مجىء هذه القوى للسلطة .

هناك علاج واحد لخطر التسلط ، وهو محاربته فى كل مكان ساعة ظهوره حسب قاعدة أرسطو القائلة : إن أية حياة لا يفكر فيها المرء لا تستحق أن يحياها . لابد من مراجعة كل القواعد حسب أسس العدالة بدون أى خوف من التهديد .

خامساً: « الأساطير المؤسسة للسياسات الإسرائيلية »

روجيه جارودى

تمهيد

يعد كتاب « الأساطير المؤسسة للسياسات الإسرائيلية » لروجيه جارودى من أهم الوثائق التى تدين الحركة الصهيونية ، إذ يتناول تاريخ الحركة الصهيونية وسياساتها منذ تكوينها حتى أواخر القرن العشرين .

وقد رفعت أكثر من قضية ضد جارودى لأنه شكك فى حقيقة المحرقة التى أقامتها النازية لليهود فى هذا الكتاب . وهذا التشكيك فى التاريخ الرسمى لأوربا القرن العشرين لا يزال من المحرمات فى فرنسا .

ومن المؤكد أن جماعات الضغط الصهيونية التى انتقدها فى كتابه كانت وراء القضايا التى رفعت ضده والتشويه الإعلامى لسمعة رجل فرنسى هو من أعظم مفكرى القرن العشرين .

والكتاب يبدأ بدراسة بعض النصوص الدينية التى اعتمد عليها الفكر الصهيونى ، موضحا أن لهذه النصوص معانى تخالف كثيرا تلك التى تستند عليها الصهيونية لتبرير إقامة دولتها على أراض احتلتها وهجرت سكانها منها ، مؤكدا أن الدين لا يبرر الإرهاب الاسرائيلى : بدءا بقتل ٢٣٧ فلسطينيا فى دير ياسين ، حتى قتل باروش شتاين للفلسطينين وهم يصلون ، واغتيال الكونت برنادوت ولورد موين ، اللذين قُتلا بسبب كشفهما لحقائق الإرهاب الصهيونى ضد الفلسطينيين الذين شُرِدوا من قراهم التى تم تدميرها ، ومقتل الآلاف من المدنيين من قبل شارون فى عام ١٩٨٢ ومسئوليته ، مع الجنرال رافال إيتان ، عن قتل المواطنين فى صبرا وشاتيلا .

جارودى يحلل أيضا سيطرة جماعات ضغط إسرائيل على السياسات الأمريكية المتعلقة بالشرق الأوسط ، وتمويل الولايات المتحدة لدولة إسرائيل .

وقد يتهم البعض جارودى هنا بمعاداة السامية ، ولكنه فى الواقع يذكر فى أكثر من موقع فى دراسته القيمة ، أن هدفه هو كشف حقائق الفكر الصهيونى ، وليس نقد أى دين سماوى .

مقدمة المؤلف

يقدم هذا الكتاب تاريخا لهرطقة . فمن خلال تفسير حرفى اعتمد على اختيار أجزاء بعينها من كتاب مقدس ، تحول الدين إلى أداة سياسية وأفرغ محتواه . وهذا النوع من الهرطقة مرض شاع فى أواخر القرن العشرين .

لقد حاربت التطرف الإسلامى فى كتابى « عظمة وانحدار الحضارة الإسلامية » وأغضبت آرائى البعض . وحاربت التطرف المسيحى فى « معارك الأديان » . وأنا أحارب اليوم التطرف اليهودى فى « الأساطير المؤسسة للحضارة الإسرائيلية » مؤكدا صدق قول الحبر هرش : « الصهيونية تسعى لتحويل الديانة اليهودية إلى قومية ، وهذه هرطقة » .

وماهى الصهيونية التى أنتقدها فى هذا الكتاب ؟ لقد عرّفت هذا الحركة نفسها بشكل سياسى :

منذ عام ١٨٩٦ ، تدل كلمة صهيونية على حركة سياسية أسسها ثيودور هرتزل .. وهى حركة وطنية لم تنتج عن اليهودية ، بل بعد بزوغ النزعات الوطنية فى القرن التاسع عشر . وهرتزل مؤسس الصهيونية السياسية لم يدع الانتماء لدين إذ يقول : « أنا لا أتبع وازعا دينيا » . ويستطرد قائلا : « أنا علمانى النزعة »[١] ولم يكن هرتزل مهتما بأرض مقدسة بعينها . لتحقيق أهدافه الوطنية ، كان سيقنع بأوغندا ، أو قبرص أو الأرجنتين ، موزمبيق أو الكونغو [٢]. ولكن ، وبعد أن اعترض الكثير من

(١) Th. Herzl : Diaries . Ed. Victor Gollanzq, 1958

(٢) ذات المصدر ، ص ٥٤ .

رفاقه اليهود ، عرف أهمية « الأسطورة العظيمة » التى كانت بمثابة « صرخة لا يمكن مقاومتها » .[٣] وهذا كان نداء لم يستطع السياسى الواقعى تجنبه . متخذا القرار بتحويل الأسطورة العظيمة بالعودة إلى تاريخ حقيقى ، قال : « فلسطين هى الوطن الذى عشنا فى ربوعه فى الماضى . الاسم وحده صرخة تجمع شعبنا »[٤]. ثم استطرد قائلاً : « بالنسبة لى ، القضية اليهودية ليست مسألة اجتماعية أو دينية .. إنها قضية وطنية » .

القضية استعمارية ، هرتزل يوضح هذا بصراحة : « لابد من تأسيس « شركة » تحميها بريطانيا ، أو أى قوة أخرى ، كخطوة أولى فى درب تأسيس « الدولة اليهودية » ، ولذلك طلب العون من رجل خبير بتأسيس المستعمرات والتعامل معها ، وهو سيسيل رودز ، الذى استخدم شركته حتى امتلك جزءًا من جنوب أفريقيا يحمل حتى الساعة اسمه : « روديسيا » .

وقد كتب ثيودر هرتزل رسالة إلى رودز فى ١١ يناير عام ١٩٩٢ : « أرجو أن ترسل لى ردك بالموافقة على المشروع الذى كتبت لك بشأنه بعد دراسته . وقد تتساءل : لماذا أطلب مساعدتك ، السبب هو أن طبيعة مشروعى سياسية »[٥]

وقد كان للمشروع ثلاثة مستويات : السياسى ، والوطنى ، والاستعمارى . وقد كان هرتزل فى الواقع عبقريًا سياسيًا ، وإن استخدم أساليب ميكافيلى . بل ويمكنه القول : « لقد أنشأت الدولة اليهودية ».[٦]

وبعد نصف قرن ، طبّق تلامذته ذات الأساليب ، واتبعوا ذات الخط السياسى لتكوين دولة إسرائيل بعد الحرب العالمية الثانية . ولكن المشروع السياسى ، الوطنى ، الاستعمارى ، لم يحقق طموحات الديانة اليهودية وروحانياتها . فى الوقت ذاته بينما

(٣) نفس المصدر ، ص ٤٥ .

(٤) L' etat Juif, P. 209

(٥) Herzi , Tagebuch, vol 3 , p. 105

(٦) Diaries, p. 224

دار المؤتمر المعروف في براسل ، الذى استحال انعقاده في ميونخ ، نظرًا لمعارضة اليهود الألمان له ، حدث مؤتمر آخر في مونتريال عام ١٨٩٢ ، حين تحدث الحبر إسحاق مير وايز ، أهم أحبار اليهود في أمريكا ، مطالبًا بالاحتجاج ضد الصهيونية .

نعارض تمامًا فكرة تكوين دولة إسرائيلية . المساعى من هذا النوع تقدم رؤية خاطئة لوظيفة الأمة اليهودية .. التى تهدف لتكوين أمة واحدة تتكون منها مملكة الرب في الأرض .

وهذه المعارضة للصهيونية السياسية ، التى نتجت عن الجانب الروحى فى العقيدة اليهودية ، بقيت حتى عصرنا هذا . أما الإسرائيلية الصهيونية ، فاستخدمت التصارع بين الأمم ، وتأييد الولايات المتحدة ، وكونت قوة لا يستهان بها . وإن كانت قد قلبت تراثًا روحيًا عظيمًا رأسًا على عقب ، إلا أنها لم تستطع إسكات أصوات رجال روحانيين عظماء .

وأحد أعظم الأصوات اليهودية فى هذا القرن ، وهو مارتن بوبر ، انتقد تحول اليهودية إلى الصهيونية السياسية طوال أعوام إقامته فى إسرائيل حتى وفاته .

وقد قال بوبر فى نيويورك :

الشعور الذى أحسست به أول يوم دخلت به إلى الحركة الصهيونية منذ ستين عامًا لم يتغير . تمنيت ألا تسير هذه الحركة مثل غيرها ، فتبدأ بآمال عظيمة ثم تنحط إلى أنانية جماعية ، مقدسة ، ولكن أنانية . على كل حال ، السؤال الأساسى الذى واجهنا حين عدنا إلى فلسطين : هل نأتى إلى هنا كرفاق وأخوة لسكان الشرق الأوسط ، أم كممثلين للقوى الاستعمارية ؟

التناقض بين الغاية والوسيلة الملائمة للوصول لها مزق الصهاينة . البعض أراد المزايا والقوة العظيمة ، وآخرون ، خصوصًا من الشباب ، تمنوا العمل معا مع جيرانهم ، حتى يعيشوا جنبا إلى جنب من أجل المستقبل .

ليست الأمور مثالية فى علاقاتنا مع العرب ، ولكن وجد شعور بحسن الجوار بيننا وبينهم .

المرحلة الأخلاقية فى تكون فلسطين بقيت حتى جاء هتلر إلى السلطة . فدفع بجماهير اليهود الأوربيين للمجىء إلى فلسطين ، قسرا ، بلا خيار ،

كما كان يحدث سابقا . وهكذا ، تم استبدال التطور العضوى بهجرة جماعية تطلبت قوة سياسية لحمايتها .. غالبية اليهود فضلوا أن يتعلموا من هتلر ، لا منا . هتلر أثبت أن التاريخ لا يتبع دروب العقل ، بل القوة ، وأن القوى يقتل ولا يحاسبه أحد . وهذا كان المجمع الذى اضطررنا إلى مواجهته . اقترحنا فكرة الحياة معا ، بل والتعاون مع العرب ، مما كان سيحسن الأوضاع الاقتصادية فى الشرق الأوسط ، ويعيد لتلك المنطقة دورها الريادى فى الحضارة العالمية (٧) .

متحدثًا إلى المؤتمر الصهيونى الثانى عشر فى كارلسباد ، قال بوبر : فى ١٥ سبتمبر ١٩٢١ .

نتحدث عن عقل إسرائيل مدركين أننا نختلف عن بقية الأمم . ولكن عقل إسرائيل هو شعورنا الوطنى ، أى أنه عبارة عن غرورنا الجمعى ، الذى حولناه إلى معبود . لقد رفضنا عبادة أى أمير سوى خالق الكون ، ومع ذلك ، فنحن مثل بقية الأمم ونشرب من مواردهم معهم . الوطن ليس القيمة الأعظم ، اليهود أكبر من وطن : إذ تجمعهم عقيدة عظيمة .

وقد تم فصل الديانة اليهودية عن جذورها ، وكان هذا هو جذر المرض الذى أدى لخلق الشعور الوطنى لدى اليهود منذ منتصف القرن التاسع عشر . وهذا النوع الجديد من الرغبة فى الأرض هو حجر أساس الوطنية اليهودية الذى أخذناه من وطنيات الغرب .

وما علاقة كوننا الشعب المختار بكل هذا ؟ إن يتم اختيارنا لا يعنى أننا أعظم . لا نقارن نفوسنا بالآخرين ، بل نتحمل مسئولية لإنجاز الوظيفة التى علمنا إياها الأنبياء . إن تفاخرت بكونك مختارًا ، بدلاً من إطاعة الرب ، ستحيا فى الخطيئة .

Jewish Newsletter, Junre, 2 , 1958 . (٧)

وبعد أن تحدث عن « أزمة الوطنية » التى تعانيها الصهيونية السياسية ، التى اعتبرها انحرافًا عن الروحية ، يصل بوبر للاستنتاج التالى :

« حاولنا إنقاذ الوطنية اليهودية من تحويل شعب إلى صنم وعبادته ، وفشلن[٨] » .

الأستاذ جوداس مانجاس ، مديرالجامعة العبرية منذ عام ١٩٢٦ اعتبر أن «برنامج بلتمور» الذى يتطلب تكوين دولة يهودية فى إسرائيل » سيؤدى إلى حرب مع العرب .[٩] وفى عام ١٩٤٦ ، فى احتفالية بدء عام دراسى جديد فى الجامعة العبرية ، التى ترأسها لعشرين عامًا ، قال :

إن الصوت اليهودى الآن هو صوت المسدسات . بات السلاح عقيدة جديدة ، توراة أخرى ، فى إسرائيل ، العالم مقيد بجنون العنف ، ونرجو أن يحمينا الرب من تقييد اليهودية وسكان إسرائيل بهذا الجنون . هذه اليهودية المنتصرة يهودية الأمم الأخرى التى تعلمناها منهم . خلال العصر الرومانسى ، حلمنا باستعادة صهيون الصدق . يهود أمريكا جميعا مسئولون عن هذا الخطأ ، هذا التشوه ، حتى أولئك الذين يرفضون القيادات الآثمة ، بل يتطلعون بصمت . تخدير الحس الأخلاقى يؤدى إلى ضموره .[١٠] .

وفى الواقع ، منذ إعلان بلتيمور ، وجدت الصهيونية راعيًا قويًا يحميها ، وهو الولايات المتحدة ، جرفت منظمة الصهيونية العالمية معارضة القلة التى تمسكت بالتراث الروحى اليهودى لأنبياء إسرائيل القدامى ، وطالبوا بتكوين دولة يهودية ، لا « مسكنًا فى فلسطين لليهود » حسب وعد بلفور أثناء الحرب العالمية الأولى .

فى عام ١٩٣٨ ، انتقد ألبرت أينشتاين هذا الوعد :

(٨) Martin Buber , Israel and the World " Ed . Schocken . New York : 10 48P > 263

(٩) Norman Bentwich : For Zion Sake ; Biography of Judas Magnes Philadelphia " Jew- ish Publication Society of America, : 1954 , p. 325 .

(١٠) نفس المصدر ، ص . ١٣١ .

أعتقد أنه سيكون منطقيًا أكثر الاتفاق مع العرب للحياة معا ، بدلاً من تكوين دولة لها حدودها ، وجيشها ، وقوتها العسكرية ، مهما كانت ضعيفة . أخشى من الدمار الداخلى الذى ستعانيه اليهودية بسبب الشعور الوطنى . نحن لسنا الآن يهود الأزمنة القديمة . أن نتحول ثانية إلى أمة بالمعنى السياسى يعنى ترك روحية قومنا التى تركها لنا أنبياؤنا العظماء .(١١)

ولم يخطئ هؤلاء المنذرون . إذ كثيراً ما خالفت إسرائيل القوانين الدولية . ولنذكر مثالين عما قيل بصوت مرتفع ، معبراً عما فكر فيه اليهود بصمت ، وإن خافوا قوله للآخرين ، بسبب سطوة الجماعات الصهيونية . فى عام ١٩٦٩ ، خلال محاكمة إيشمان فى القدس ، أعلن تجمع يهود أمريكا : « نشكك فى حق الحكومة الإسرائيلية فى الحديث باسم جميع اليهود . نؤكد أن اليهودية دين ، لا قومية » .(١٢) .

خلال غزو إسرائيل الدموى للبنان ، ذكر البروفسور بنيامين كوهين ، من جامعة تل أبيب فى رسالة إلى ب . فيدال ناكيت فى ٨ - ٦ - ١٩٨٢ ما يلى :

أكتب لك وأنا أستمع إلى الأخبار فى المذياع . يقولون « إننا » سنحقق « أهدافنا فى لبنان : أى التأكيد على السلام » . أكاد أصاب بالجنون حين أستمع لهذه الأكاذيب . أدرك أن هذه الحرب الهمجية ، الأكثر وحشية من أى حرب أخرى ، لا تتعلق بمساعى أمنية . فاليهود ، أولاد إبراهيم ، الذين عانوا وحشية العالم أكثر من أى أمة أخرى ، كيف تحولوا إلى ممارسة القسوة ؟ نجاح الصهيونية الأساسى هو فى تدمير العقيدة اليهودية .

أتمنى أن نستطيع إيقاف بيجن وشارون من تحقيق طموحاتهما ، وهى القضاء على الشعب الفلسطينى ، وعلى إنسانية اليهود .(١٣) .

(١١) Rabbi Moshe Menuhim . " The Decadence of Judaism in our Time " 1969, P. 324

(١٢) le Monde , june 21. 1960

(١٣) " Le Monde ? July 19 , 1982, P. 9

وقد سمى أحدهم سياسات إسرائيل فى لبنان « اليهودية النازية » . وهذه هى أهداف الصراع بين الديانة اليهودية والصهيونية القومية ، التى تعتمد ، مثل أى قومية ، على رفضها لتقبل الآخر ، وعلى تقديس الذات .

تحتاج أى قومية للتحرر من ادعاءاتها وأنانيتها . فبعد أن ضعفت الكنيسة المسيحية ، ادعت كل أمة من الأمم لنفسها حق تمثيل الدين . فرنسا قالت إنها تنجز عمل الرب ، وألمانيا ادعت أن الرب معها . إيفا بارون قالت : إن « مهمة الأرجنتين هى أن تجلب الرب إلى العالم » ، وفى عام ١٩٧٢ ، قال رئيس وزراء جنوب أفريقيا ، الذى دافع عن نظام التفرقة العنصرية ، ما يلى : « دعنا نتذكر أننا أمة الله ، ولنا وظيفة » . الصهيونية تشترك فى هذا المدح للذات الذى تقوم به جميع الأمم . حتى البروفسور أندر نيهر يستسلم لهذا الإغراء . ففى كتابه الجيد ، « أسس النبوة » (ص ٣١١) بعد أن يفسر معنى ارتباط الخالق بعبيده ، يكتب أن إسرائيل هى « الدلالة على التاريخ المقدس فى العالم . إنها مركز الكون ، وقلبه النابض » .

وهذا التعليق يذكرنا بأسطورة عظمة الرجل الأبيض التى تأسس على أساسها الفكر النازى ، الذى يتعارض تمامًا مع ما علمه الأنبياء ، وما نادى به مارتن بوبر حين تحدث عن الأنا والآخر . والنزعة الوحدوية التى تستند إلى الغرور لا تتيح أى إمكانية للحوار . لا يستطيع المرء التحدث مع هتلر ، بسبب شعوره بأنه ينتمى لجنس أعظم ، ولا يتوقع من الآخر سوى الطاعة العمياء . وفى عصرنا لا يوجد سوى الحوار أو الحرب ، ولكن الحوار يتطلب أن يعرف كل طرف ما يفتقده واحتياجه للآخر لملء الفراغ . وهذه هى أوضاع أية رغبة للكمال (وهى روح أى عقيدة) .

لا نفعل سوى ذكر أقوال اليهود الذين حاولوا الدفاع عن الأنبياء ضد صهيونية القبائل . وهذه الصهيونية تؤدى لمعاداة السامية لا بسبب سياساتها العدوانية ، والخداع ، والقتل ، بل لأنها تختار النصوص الدينية التى تبررها فحسب ، وترفعها فوق مستوى القوانين الدولية .

الأساطير الدينية ...

١ – أسطورة الوعد : الأرض الموعودة أم المحتلة .

تعتمد الصهيونية السياسية على تأويل أصولى للدين ..

« إن امتلك الفرد التوراة ، واعتبر نفسه من الأفراد المذكورين فيه ، فلابد له من ملكية الأراضى التوراتية »(١٤) .

فى ٢٥ فبراير ١٩٩٤ ، ارتكب د . باروك جولدشتاين مجزرة وقتل عربًا يصلون فى جامع .

فى ٤ نوفمبر ١٩٩٥ اغتال يجال آمير إسحاق رابين ، « بأمر من الرب » ، له ومجموعته من « محاربى إسرائيل » بقتل كل من يسعى لإرجاع أراض موعودة لليهود العرب .

١ – الرؤية المسيحية

البروفسور ألبرت دى بورى ، المتخصص فى التوراة فى جامعة جنيفا ، يلخص دراسته للدكتوراه بالكلمات التالية :

العنوان : « الوعد المقدس والأسطورة الثقافية فى أسرة يعقوب » (من جزئين ، مطبعة جابالدا ، باريس ١٩٧٥) والدراسة تتناول بالتحليل أهم نظريات دارسى العهد القديم من المؤرخين ، ومنهم : مارتن نورث وألبرخت آلت . يقول المؤلف :

إن موضوع الوعد بوطن يتكرر فى سفر التكوين حيث وعد الرب الآباء إبراهيم وإسحاق ويعقوب بالأرض التى كانوا قد بدأوا باستيطانها . وهذا الوعد ينطبق على أرض فلسطين المعاصرة .

لقصة إسرائيل فى التوراة مراحل واضحة بداياتها ونهاية كل منها . جميع الذكريات ، القصص ، الأساطير ، والقصائد ، جمعت من التراث

(١٤) موشى ديان ، Jerusalem Post, August, 30 , 1967

الشـفـوى ، حـسـب إطار تاريخى . وهذا الإطار واضـح فى أسلوب كـتـابة وترتيب النصـوص .

كل من هـؤلاء الأنبيـاء كـان مـسـتقـلاً ، ولكن الأسـمـاء جـمـعت لتنتـمـى لذات الأسـرة . وهكذا بات إبراهيم أبا اسـحـاق وجـد يعـقـوب . الأسـبـاط الاثنا عـشر لإسـرائيل يعتـبـرون أبناء يعقـوب ... إلـخ ، إنهم الاثنا عشـر ابنا – أجداد بنى إسـرائيل ، الذين تركوا فلسطين لمصر بسـبب المجاعة . وبعـد نفى لمدة أربعمائة عـام ، عاد أحـفادهـم ليكونوا « شـعب إسرائيل » . وخلال ذات الفـترة ، تركـوا مصـر ، وتاهـوا فى الصـحراء وأخيرا امتلكوا الأرض التى وعد بها أجدادهم . يؤكد المختصون أن غالبية هذه النظرية أسطورية .

أعمـال ألبـرخت آلت ، ومـارتن نورث ، أوضـحت بشكل خـاص أن التـقـسـيم إلى مراحل متتالية (الأنبياء ، الأسر فى مصر ، الانتصار فى كنعان) مصنوع .

يقر غالب الدارسين فى عصرنا أن إسرائيل تكونت من القبائل والأسر التى تجمعت فى القرنين الثانى عشر والحادى عشر قبل الميلاد فى فلسطين . وغالبية هذه القبـائل ادعت أنها تنتمى لجد حفظوا عنه قصصا كثيرة . وهكذا ادعت بعض القبائل أنها تنتمى للأب إبراهيم ، وغيرها أن جدها هو يعقـوب ، وآخرون أنهم أحفـاد يوسف . حين سعت هذه الأسـر للاتحـاد تم ربط أجـدادهـم ببـعـضـهـم البعض فى نظام أسـرى واحـد . المعتـقـد هو أن إبراهيم وإسـحاق ضموا إلى الأسـرة الواحدة بعد أن اعتبرت الاثنا عشرة أسـرة أنها حفيدة يعقوب – إسرائيل . وهكذا بات إسحاق أبا ليعقـوب ، بينما صار إبراهيم الجد ، أى أبا إسحاق .

باختـصـار ، إن انتـصـار الإسـرائيليين عبارة عن اسـتقرار فى أرض بعد تجواب طويل . المعارك التى حدثت كانت محدودة تماما.

أكثـر المفسـرين يعتـبرون أن الوعد عبارة عن تبرير للاستيلاء على أرض تم احتلالها بالفعل فى عصر الملك داوود . الوعد عبارة عن تقديم للعصر الذهبى ، وهو عـهد النبى سليمـان . وقد اعتـاد رؤسـاء القبـائل على الذهاب لمعبد الرب إيل حين استعدوا للرحيل إلى مواقعهم الشتائية . وقد قدم الكاهن عادة وعداً بحماية الرب لهم

خلال السفر وضمان عودتهم بأمان إلى الأراضى التى ترعى قطعانهم فيها فى نهاية الموسم البارد . وقد شملت هذه الوعود أحياناً كثيرة إمكانية الاستقرار فى أراض خصبة .

يمكننا تلخيص بدايات الوعد بأرض بالشكل التالى :

١) الوعد بأرض ، أى بالاستقرار ، قدم أولاً لمجموعة من القبائل الرحل الذين طمعوا فى لاستقرار فى موقع خصب . وبهذه الصيغة قدم الوعد لقبائل كثيرة .

٢) هدف الوعد ليس احتلال أرض بعينها ، بل الاستقرار فى منطقة محدودة .

٣) الوعد المقدم أول مرة فى سفر التكوين لم يكن لليهود، بل للكنعانيين ، فقط الرب الذى يملك أرضاً يحق له تقديمها للناس .

٤) بعد أن استقرت القبائل وكونت شعب إسرائيل ، بات للوعد معانٍ جديدة ، منها السياسى والعسكرى .

وهكذا يأتى الوعد تبشيراً ، أو دلالة على احتلال فلسطين الفعلى ، وتبرير لقيامها . وكل الوعود المذكورة فى سفر التكوين تم رؤيتها بهذه الطريقة .

وإن كانت الوعود الأولى التى دلت على استقرار قبائل رُحَّل تسبق مرحلة الاستقرار ، فإنها لا تنطبق على الوعد الذى يحمل فحوى وطنية أو قومية . وبما أن قبائل إسرائيل توحدت فقط بعد أن استقرت فى فلسطين ، فلابد أن الوعد قد كتب فى مرحلة لاحقة . وهكذا فإن الوعد فى سفر التكوين الذى يقدم للشعب المختار الأراضى بين الفرات ووادى العريش ، وسكان هذه الأراضى ، عبارة عن طموح قومى نتج عن فتوحات الملك داوود . من الضرورى تذكر إضافة وعود جديدة ، مثل عدد كبير من الأحفاد ، للوعد الأول . وكل قاص قد أضاف صيغته الخاصة للوعد . فياهسفت ركز على عدد كبير من الأحفاد ، بينما أكد ديوترنومى على امتلاك أراضى كنعان . البحوث المعاصرة أوضحت أن الوعد تحول إلى نص قومى قبل كتابته .

يعتبر ياهفست أول القاصين ، أو ربما مراجعى ومحققى القصص ، وقد عاش فى عصر النبى سليمان . وقد شاهد تحقق الوعد فى عصر داوود . قراءة متفحصة للنص توضح أن هدفه كان توضيح الفوارق بين سوء طباع الشعب ، وعظمة الرب .

والنص المذكور فى سفر التكوين ١٢ - ٣٦ ضرورى لفهم ما سعى ياهفست له . فحسب ذلك النص ، يتطلب رضا الرب عن إسرائيل رخاء الأمم الأخرى التى تعيش معها فى فلسطين . وهكذا لا نجد ما يدل على أن الرب فى يوم ما حادث شخصية تاريخية تدعى إبراهيم ووهبه أرض كنعان . لا يوجد عقد قانونى بتوقيع يهوه لإثبات هذا التعاقد . وليس هناك ما يدل على أن الوعد فى سفر التكوين يعكس واقعًا تاريخيًا . ولا يمكن رسم حدود لدولة على هذا الأساس .

هل يمكن إذًا استخدام الوعد لتحقيق أهداف سياسية ، مهما تكون مشروعة ؟ الإجابة لا . لا يمكن تكوين أى سياسة على أساس وعد مثل هذا . ولا يحق لأى مسيحى مساعدة مشروع توسعى لأى دولة على هذا الأساس .(١٥) .

٢ - رؤية اليهود لإسرائيل

قال الحبر آلمر برجر ، المدير السابق للاتحاد اليهودى فى الولايات المتحدة فى مؤتمر صحفى :

لا يحق لأحد أن يدعى أن تكوين دولة إسرائيل الحالية تحقيق للنبوءات القديمة - أو أن الرب يبارك أفعال الإسرائيليين فى سبيل تكوين دولتهم والحفاظ عليها . بالنسبة لنا ، إن سياسات إسرائيل الحالية لا ترتبط البتة بإسرائيل القديمة الروحية . أقترح امتحان فكرتين تنتميان للتراث الروحى اليهودى .

فأولا ، حين طلب الأنبياء القدامى إحياء إسرائيل ، لم تكن القداسة قد وهبت للأرض ذاتها . الشرط الأساسى كان إحياء التعاقد مع الرب ، فى وقت حين كسر الناس وملوكهم هذا التعاقد . ميخا يوضح هذا حين يقول :

(١٥) مصدر المعلومات هو مؤتمر فى ١٠ فبراير ١٩٧٥ فى سويسرا تناول تأويلات دينية للصراع العربى الإسرائيلى ، ونشرت دراساته فى مجلة Theological and Religious Studies. N 3, 1976 (Mont-pellier)

« اسمعوا هذا يا رؤساء بنى يعقوب وقضاة بيت إسرائيل الذين يكرهون الحق ويعوجون كل مستقيم . الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم .. ولذلك بسببكم تفلح صهيون كحقل وتصير أورشليم خرابًا وجبل البيت شوامخ وعر . (ميخا ٣ – ١٥ – ١٢) .

تبقى صهيون مقدسة إن حكمتها قوانين الرب . وهذا لا يعنى أن كل قانون يسن فى القدس ربانى .

التعاقد لا يشمل الأرض فحسب ، بل احترام المبادئ التى سنها الرب مع الشعب . لابد للأفراد من تطبيق قوانين العدالة ، الحق ، والإخلاص للرب . صهيون لا تعتمد على معاهدات ، وموازين قوى ، تجعلها أقوى من جيرانها . التراث الدينى يوضح أن القداسة لا تعتمد على التراب ، أو على حضور شعب على قطعة أرض . الشىء الوحيد الذى يجعل صهيون مقدسة هو احترامها للتعاقد الربانى .

لا يحق لدولة إسرائيل الحالية ادعاء أنها تحقق المشروع المقدس . ذلك نفاق . الصهيونية المعاصرة فى إسرائيل ، التى تود التحكم فى الشعب اليهودى بأسره ، وتستخدم القوة لتحقيق ذلك الغرض ، عبارة عن دولة مثل غيرها من الدول .(١٦) .

الواقع هو أن يجال آمير ، الرجل الذى اغتال إسحاق رابين ، ليس منحرفًا أو مختلاً ، بل نتاجًا مثاليًا للتعليم الصهيونى . فوالده من الأحبار ، وكان تلميذًا ممتازًا فى جامعة كلير كال بجوار تل أبيب ، حيث تعلم التراث التلمودى . وقد كان جنديًا جريئًا فى الجولان ، وكتب عن باروخ جولدشتاين ، الذى قتل ٢٧ عربيًا أثناء الصلاة فى الجامع . ومن الممكن جدًا أن يكون قد شاهد فى التلفاز الإسرائيلى البرنامج الطويل الذى أقسم فيه أفراد – جنود إسرائيل – بجوار مقبرة هرتزل على قتل كل من سيسلم للعرب الأراضى الموعودة .

(١٦) Rabbi Eimer Berger : : Prophecy, Zionism and the State of Israel " Ed, American Jewish alternatives to Zionism. Conference at Leiden University (Netherlands) on March 20th 1968

اغتيال الرئيس رابين ، مثل جريمة جولدشتاين ، تنتمى للمنطق الأصولى للصهيونية : وهو الأمر بالقتل الذى « يأتى من الرب » كما يقول يجال أمير (١٧)، الذى لا يعتبر حالة خاصة فى المجتمع الإسرائيلى : فحين تم اغتيال إسحاق رابين ، رقص المستوطنون فرحًا حول مقبرة (يعتبرونها ضريح !) جولدشتين (١٨) .

وقد كان رابين رمزًا ، لا لأنه كما ادعى الرئيس الأمريكى فى جنازته ، حارب طوال حياته من أجل السلام . بل كان فى الواقع على رأس القوى المحتلة فى بداية الانتفاضة ، هو الذى قدم الأوامر « بكسر عظام » الأطفال ، الذين استخدموا الأحجار للدفاع عن حياتهم . ولكن رابين أدرك استحالة الحسم العسكرى حين يتصادم جيش ، لا مع جيش آخر ، بل مع شعب بأسره . ولذلك وافق على التنازل والوصول لحل وسط مع ياسر عرفات . وهو إعادة جزء من الأرض التى شجبت الأمم المتحدة إسرائيل لاحتلالها وإعطاء شعبها حكمًا ذاتيًا مستقلاً جزئيًا . ولكن الجيش الإسرائيلى سيبقى موجوداً فى قلب هذه المناطق لحماية المستوطنات التى باتت بقعًا للكراهية المتبادلة .

وكان هذا كثيرًا للأصوليين الذين استفادوا من المستوطنات : وهكذا خلقوا حول رابين – الذى اعتبروه « خائنًا » – جوًا من الكراهية أدى إلى قتله . وهكذا مثل آلاف من الفلسطينيين ، صار إسحاق رابين ضحية لأسطورة « الأرض الموعودة » ، وهو العذر القديم الذى يستخدم لتبرير الاستعمار الدموى .

وهذا الاغتيال يوضح مرة أخرى أن سلامًا حقيقيًا بين دولة إسرائيل ، الآمنة فى حدود تقسيم عام ١٩٤٧ ، ودولة فلسطينية مستقلة ، يتطلب إنهاء الاستيطان الاستعمارى ، أى أنه لابد من إزاحة المستوطنات الواقعة فى قلب الدولة الفلسطينية ، لأنها ستبقى مصدرًا للاستفزاز وسببًا لحروب ستحدث فى المستقبل .

(١٧) Le Monde (AFP) November 8 th 1995.

(١٨) El Pais (Spain) Novermber 7th 1995 P. 4

أسطورة الشعب المختار

« هكذا يقول الرب : إسرائيل ابنى البكر » . (خروج ٤ ، ٢٢) .

« يمكن تقسيم سكان العالم إلى إسرائيل وباقى الأمم . إسرائيل هى الشعب المختار .[١٩] .

وهذه الأسطورة هى العقيدة ، بلا أى أساس تاريخى ، التى على أساسها تكونت ديانة التوحيد فى العهد القديم . يبدو فى التوراة ذاتها أن كاتبيها الأساسيين ، ياهفست والوهست ، لم يكونا من الموحدين وإن أكدا على عظمة رب اليهود على غيره من الأرباب ، وغيرته بشأنهم (الخروج ، ٢٠، ٢ - ٥) أما رب موآب ، كاموش ، فمذكور فى القضاة (١١، ٢٤) والملوك (٢، ٢٧) كأرباب أخرى (سامول ١، ٢٧، ١٩) (الملوك ١، ٢٧) . بعد النفى ، وخصوصًا فى عهد الأنبياء المتأخرين ، تم التأكيد على التوحيد . صيغة « لا تتبع ربًا آخر » باتت « لا يوجد رب آخر » . وهذا التأكيد الذى لا يمكن التشكك فيه بالتوحيد يأتى فى النصف الثانى من القرن السادس قبل الميلاد (بين ٥٥٠ - ٥٣٩ ق.م) .

عقيدة التوحيد ثمرة نتجت من حضارات الشرق الأوسط العظيمة فى بلاد ما بين النهرين ومصر . فمنذ القرن الثامن قبل الميلاد ، مسح الفرعون إخناتون جمع كلمة رب من جميع المعابد . صلاته « إلى الشمس » ملخصة فى صلاة 104 حرفيًا . الديانات البابلية اتجهت نحو التوحيد كذلك . المؤرخ البرايت تحدث عن كبير الأرباب - مردوخ ، قائلاً : « مادام جميع الأرباب باتوا صورًا لرب واحد ، فما كان التوحيد بعيدًا » .[٢٠] .

أفكار عن التوحيد ، والبحث عن مغزى للمعاناة الإنسانية ، الموجودة فى قصة أيوب ، وفكرة التحرر من سلطة المضطهد عن طريق الاستقرار فى بلاد أخرى (الموجودة فى سفر خروج) ، جميعها وجدت فى عدة ديانات شرق أوسطية .

(١٩) رابين كوهين ، التلمود - باريس ١٩٨٦ . ص ١٠٤ .

(٢٠) albright . : Les religions dans le Moyen Orient . : P . 159

أسطورة يشوع : التطهير العرقى

ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه إلى عجلون فنزلوا عليها وحاربوها وأخذوها فى ذلك اليوم وضربوها بحد السيف وحرم كل نفس بها . ثم صعد يشوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون وحاربوها وأخذوها وضربوها بحد السيف مع ملكها وكل نفس بها . (يشوع ١٠، ٣٤) .

التفسير الأصولى الذى تعتمد عليه الصهيونية السياسية :

فى ٩ أبريل ١٩٤٨ ذبح مناحم بيجن وجحافل أرجون ٢٥٤ فرداً سكنوا فى ديرياسين ، ومنهم الرجال والنساء والأطفال . ونحن هنا ندرس استخدام النصوص الدينية لتبرير جرائم القتل الوحشية ، وهو ما حدث حين قتل الرومان اليهود ، ثم جاءت مجازر الحروب الصليبية ، وأخيراً أفعال إسرائيل ، ليس عبر سياساتها التوسعية فى الشرق الأوسط فحسب ، بل عن طريق ضغوطها على الحكومات . وأقوى جماعاتها الضاغطة توجد فى الولايات الأمريكية ، وقد أسهمت فى خلق سياسة أمريكية اعتمدت على السيطرة والعدوانية واستغلال الماضى الأسطورى للسيطرة على المستقبل حتى ينتج ما يمكن أن يكون انتحاراً للعالم بأسره .

والتوراة تحوى بعض صور تدخل الله القدسى فى العالم ، بدءاً بظهوره الذى يفوق أنظمة الفهم البشرى ، وتضحية إبراهيم ، وفرار الإنسان من العبودية فى ملحمة الخروج ، ومعها نبوءات آموس وحزقيال ، أشعياء وأيوب ، حتى نصل للتعاقد مع داوود . والتعاقد الجديد (أو العهد الجديد) ينبئ بأعظم تقدم فى تاريخ البشرية مع مجىء المسيح ، الذى « بات إنساناً حتى يتيح للإنسان أن يصير رباً » . ثم ، ومع القديس بولس ، عادت الرؤية التقليدية لرب يتحكم فى حياة الإنسان من بعيد ، لا عن طريق قانون يهودى بل الرحمة المسيحية التى تدمر مسئوليات الإنسان بذات الطريقة » . لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم . هو عطية الله » (افسس ٢، ٨ – ١٠) .
ولن نتعامل مع التوراة عموماً ، بل مع الأجزاء التى تلهم النظام الدينى فى إسرائيل ، والحركة الصهيونية : التوراة ، أى الأسفار الخمس الأولى ، التكوين والخروج ولاويين وعدد وتثنية ، والأجزاء التاريخية ، وهى يشوع ، وقضاة وملوك وساموئيل . وهى

تحوى أيضًا الأجزاء النبوية من التوراة التى تؤكد على تعاقد الرب مع الإنسان بشكل مطلق يطلب من الإنسان احترام القانون المقدس ويفتح الدين لجميع الأمم .

والتوراة كما أوضحت الدراسات التاريخية لأكثر من قرن ، جمعت أكثر من تراث شفوى كتبه كتّاب سليمان فى القرن التاسع قبل الميلاد . وقد كان اهتمامهم الأكبر هو وصف انتصارات داوود وتكوينه لإمبراطورية . قاموا بتمجيدها ، ورسموا لها صورة أسمى مما كانت عليه فى الواقع . وعلى كل حال يستحيل تأكيد حقيقة وجود هذه الإمبراطورية من أى مصادر تاريخية أخرى . لا توجد أى آثار سوى النصوص التوراتية ، باستثناء قصة سليمان ، التى تشير لها أدلة آشورية . وقبل ذلك ، لا مصادر ، سوى النص الدينى ، تؤكد أو تنفى صحة المعلومات المذكورة . مثلاً ، الآثار العراقية لا تعطينا أى دلائل على وجود إبراهيم ، أكثر مما تدل آثار الإغريق على وجود هكتور أو برايم .

كتاب الأرقام (٣١، ٧ – ١٨) يصف أفعال « أبناء إسرائيل » الذين قتلوا الرجال كما طلب الرب من موسى أن يفعل ، وأسروا النساء ، وأحرقوا المدن . وحين عادوا إلى موسى ، غضب كثيـراً ، لأنهم تركوا النسوة والأطفال . وطلب منهم ما يلى : « فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال . وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها . لكن جميع الأطفال من النساء اللواتى لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات » . (عدد ٧١ ، ١٤ – ١٨) . وخلال احتلال كنعان ، استخدم حفيد موسى ، يشوع ، سياسة التطهير العرقى التى أملاها عليه رب الجنود :

وأخذ يشوع مقيدة فى ذلك اليوم وضربها بحد السيف وحرم ملكها هو وكل نفس بها لم يبق شاردًا . وفعل بملك مقيدة ما فعل بملك أريحا . ثم اجتاز يشوع من مقيدة وإسرائيل معه إلى لبنة وحارب لبنة . فدفعها الرب هى أيضًا بيد إسرائيل مع ملكها فضربها بحد السيف وكل نفس بها . لم يبق بها شاردا وفعل بملكها ما فعل بملك أريحا . ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لبنة إلى لخيش ونزل عليها وحاربها . فدفع الرب لخيش بيد إسرائيل فأخذها فى اليوم التالى وضربها بحد السيف وكل نفس بها حسب ما فعل بلبنة . حينئذ صعد ملك هورام لإعانة لخيش وضربه يشوع مع شعبه حتى لم يبق له شاردًا .

ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لخيش إلى عجلون فنزلوا عليها وحاربوها وأخذوها فى ذلك اليوم وضربوها بحد السيف وحرم كل نفس بها فى ذلك اليوم مثلما فعل بلخيش . ثم صعد يشوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون وحاربوها . وأخذوها وضربوها بحد السيف مع ملكها وكل نفس بها . لم يبق شاردًا . (يشوع ١٠ ، ٢٨ - ٣٣) .

يستمر النص بذكر « المذابح المقدسة » التى ارتكبت فى فلسطين . وحين نقرأ قصصًا مثل هذه ، نطرح سؤالين :

١) الحقيقة التاريخية للموضوع .

٢) نتائج تقليد سياسة التصفية العرقية فى عصرنا .

بالنسبة للسؤال الأول : يلاحظ المؤرخون أن الإسرائيليين جاءوا فى أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، بعد أن هجرت مدينة أريحا . فتلك المدينة كانت قد هجرت حوالى عام ١٥٥٠ ق . م . وقد عاد للسكن فيها عدد قليل من الأفراد ، إذ وجدت بعض الآثار التى تعود لأواسط القرن الرابع عشر قبل الميلاد . ولا توجد أى آثار تعود للقرن الثالث عشر . استنتاج الآنسة ك . م . كنيون هو استحالة تدمير أريحا حين جاء الإسرائيليون فى أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد [٢١] .

وذات الوضع ينطبق على احتلال آتيل .

من بين جميع القصص ، كانت هذه الأكثر تفصيلاً . ولا تحوى أى مادة من المعجزات وتبدو الأكثر واقعية . ولكن مع الأسف لا تثبت دراسات الآثار صدقها .

فقد فتشت الموقع مجموعتان من المؤرخين . وكانت النتائج كالتالى : ففى العصر البرونزى الباكر ، كانت آتيل مدينة كبيرة لا نعرف اسمها . ثم تدمرت حوالى عام ٢٤٠٠ ق . م . وبقيت مهجورة حتى حوالى عام ١٢٠٠ ق . م حين نشأت قرية غير محصنة على الأنقاض . وبقيت القرية فقط حتى أوائل القرن العاشر . وحين جاء

(٢١) K. M. Kenyon, " Digging up Jericho 3 London 1957, pp. 256 - 265.

الإسرائيليون ، لم توجد هذه المدينة ، وما كان لها ملك ، كل الموجود كان خرابا عمره ١٢٠٠ عام[٢٢] .

بشأن النقطة الثانية : « لماذا ، إن كان اليهودى متدينا وأصوليا (يقرأ النص التوراتى بشكل حرفى) لا يتبع شخصيات مثل موسى ويشوع ؟ ألا يقرأ فى عدد ، « فسمع الرب لقول إسرائيل ودفع الكنعانيين فحرموهم ومدنهم . فدعى اسم المكان حرمة » (٢١ - ٣) وعن الأموريين وملكهم : « فضربوه وبنيه وجميع قومه حتى لم يبق له شارد » (عدد ٢١ - ٣٥) .

شارون والحبر كاهان يطبقان هذه الأقوال فى التعامل مع الفلسطينيين . ألم يكرر مناحم بيجن فعل جاشوا حين قتل ٢٥٤ فردا جلهم من النساء والأطفال فى مجزرة دير ياسين التى أجبرت العرب العزل على الفرار ؟ [٢٣]وهو يطلب من اليهود ليس دفع العرب بعيدا فحسب ، بل احتلال فلسطين بكاملها . ألم يكن يشوع هو الذى يتحدث بصوت موشى ديان ، إذ قال : « إن كنا شعب التوراة ، فإن أرض التوراة ملكنا ».[٢٤] وصوت يشوع يسمع ثانية فى كلمات يورام بين يوراث حين قال للجريدة الإسرائيلية « يديعوت أحرونوت » فى ١٤ يوليو ١٩٧٢ « لا يوجد شىء اسمه الصهيونية ، بدون طرد العرب والاستيلاء على أرضهم » . أما الأسلوب الملائم لتحرير الأرض ، فهو ما قاله رابين للتعامل مع أطفال الانتفاضة : اكسروا عظامهم . أما تلامذة التلمود ، فساعدوا رافال إيتان ، وهو من أهم المسئولين عن مجازر صبرا وشاتيلا ، فى الوصول للسلطة حتى يعطيهم المزيد من السلاح للدفاع عن المستوطنات .

(٢٢) Pere De Vaux : " History ancienne d' Istrael " Ed . Lecoffre et Gabalda . Paris . 1971 T1. P. 565 .

(٢٣) Menahem Begin " La Revolte Histoire de L'Irogoun (P. 200) : Editions Albaros ,1973

(٢٤) Jerusalem Post " August 10 th 1977.

التفسير الحرفى للتوراة يؤدى لتكرار ذات المجازر التى توصف فى أجزاء منه . وهذه الأفكار دفعت بباروخ جولدشتاين لقتل خمسين فلسطينيًا وهم يصلون . فقد انتمى لتجمع أصولى أسسه آريل شارون ، الذى كوفئ على تخطيط مجازر صبرا وشاتيلا بأن بات وزيراً للإسكان ، حتى يدعم السياسات الاستعمارية ويساعد المستوطنين فى إنشاء المزيد من المستوطنات فى قلب الأراضى المحتلة . أما جولدشتين ، فله ضريح يزار من قبل الأصوليين . لأنه استمع لكلام الرب وسار على خطى جاشوا فى جرائم القتل التى ارتكبها .

ونظام التطهير العرقى الذى بات جزءاً من سياسات الدولة الإسرائيلية ، ينتج عن مبادئ تحرم دمج الدم اليهودى بدماء من هم من غير اليهود . فالرب يطلب من موسى ألا يسمح لقومه بالزواج من بنات الأقوام الأخرى . (خروج ٣٥ ، ١٦) . والنصيحة تتكرر فى تثنية : « لا تصاهرهم . بنتك لا تعط لابنه وبنته لا تأخذ ابنك » . (تثنية ٣ – ٤ ، ٧) ، وهذا الفصل يعنى أن دم الشعب المختار لا يمكن جمعه بدماء الأمم الأخرى : فى كتاب « التلمود » (باريس ، بيوت ،١٩٨٦ ص ١٠٤) ، يكتب الحبر كوهين : « يمكن تقسيم سكان العالم إلى اليهود والأمميين ، وإسرائيل هى القوم المختار » . قال والد شمشمون له حين أراد الزواج من فلسطينية : « أليس فى بنات إخوتك وفى كل شعبى امرأة لتأخذ امرأة من الفلسطينيين الغلف ؟ » (قضاة ٣ ، ١٤) . وهذا الرفض للدم الغريب فى الزواج يشمل أيضًا رفض الدين الآخر ، الثقافة الأخرى ، وحتى أسلوب الحياة . وهكذا نجد فى التوراة نقداً لمن يتعلمون أساليب ارتداء الأجانب للثياب ، ولغاتهم .

وقد نعى هاييم وهين ، القاضى فى المحكمة الإسرائيلية العليا ، « مرارة القدر الذى جعلنا نطبق ذات القوانين العرقية التى دعا لها النازيون فى إسرائيل » [٢٥] .

وبالفعل ، خلال محاكمات مجرمى الحرب فى نيورمبرج ، طرح السؤال خلال التحقيق مع جرليوس ستريتشر ، المتخصص فى شئون الأعراق :

Joseph Badi, " Fundemental Laws of the State f 8 Israel " New York 1960 , P . 156 (٢٥)

« فى عام ١٩٣٥ ، فى لقاء نيورمبرج ، طرح سؤال بشأن الأعراق . هل ساهمت بمشروع إعداد هذا القانون ؟

قال المتهم ستريشر : نعم . أقر بأنى ساهمت فى إعداد قوانين نيورمبرج لأنى كتبت فى عدة دراسات لأعوام بشأن ضرورة منع زواج الألمان من اليهود . واعتبرت اليهود مثالا لنا ، لأنهم احترموا قانون موسى القائل ، إن سافرت إلى بلاد غريبة ، لا تتزوج من نسائها . وقد اعتبرنا هذه القوانين اليهودية قاعدة لنا . فاليهود بقوا لأنهم احترموا هذه القوانين ، بينما توت الأجناس الأخرى (٢٦) .

وقد استخدم مستشارو النازية الكثير من هذه القوانين لحماية الدم الألمانى . وقد قال السيدان برنارد لوسنر وفردريك نوست عن هذه القوانين ما يلى : « لم نعتبر أن قوانين نيورمبرج ستسبب الكراهية بين الأعراق . بل دلت على أن أوضاع اليهود ستتحسن . فهم سيسافرون إلى وطن خاص بهم . لذلك لم نحتج البتة على روح قوانين نيورمبرج » .

وقد باتت العنصرية اليهودية مثالاً للعنصريات الأخرى التى تسعى لإفناء الشعوب : « اعتمد الأمريكان الأوائل على صورة يشوع وهو يطهر الأرض من الأجانب فى عمليات إبادتهم للهنود الحمر »(٢٧) .

وقد وافق ٧٧ ٪ من الأحبار على أفكار الفصل بسبب أن هناك جانب دينى لهذه الدعوة . ولكن هذا العذر لا يعفى الصهيونية من الإثم الذى ترتكبه . وهكذا يقول الحبر سيتروك : « أتمنى ألا يتزوج اليهودى سوى اليهودية » .

(٢٦) Trial of the Major War Criminals Before the International Military Cour : (Numrem November 14th 1945 - Oct 1th., 1946) . Official French Text.).

(٢٧) Thomas Nelison, The Puritans of Massachussets " Judaism . Vol xvi n2 1967.

وفى ١٠ نوفمبر عام ١٩٧٥ أعلنت الأمم المتحدة أن الحركة الصهيونية عنصرية . وبعد نهاية القطب السوفيتى ، تصرفت الولايات المتحدة وألغت هذا القرار ، ومرة أخرى مسحت الدم الذى يلطخ يد القيادة الإسرائيلية . فلم يتغير أى شىء منذ عام ١٩٧٥ فالكبت والقتل والاستيطان الاستعمارى زادوا عشرة أضعاف منذ ذلك الحين .

أسطورة معاداة الصهيونية للفاشية

فى عام ١٩٤١ ، ارتكب إسحاق شامير « جريمة لا تغتفر » من وجهة نظر أخلاقية . فقد دعا إلى اتفاقية مع هتلر ، والنازية الألمانية ، ضد بريطانيا »[١] . حين ابتدأت الحرب ضد هتلر ، جمعت كل تنظيمات اليهود قواها مع الحلفاء ، وأعلن عدد من أهم القياديين ، مثل وايزمان ، وقوفهم فى صفهم ، ولكن كان للمجموعة الصهيونية الألمانية ، القليلة العدد ، آراء مخالفة . فمنذ عام ١٩٣١ حتى ١٩٤١ ، اتخذت قرارات بالتنازل والتعاون مع هتلر . وقد أبقت السلطات النازية ، حتى وهى تعادى اليهود ، عن طريق منعهم من الخدمة العسكرية ، صلاتها بالقيادات الصهيونية ، وعاملتهم جيدا لأنهم ما كانوا من دعاة الاندماج . وهكذا ، فإن اتهام التصالح مع السلطات الألمانية لا ينطبق على غالبية اليهود . وهم لم ينتظروا حتى بدء الحرب لرفض الفاشية ، كما فعلوا فى إسبانيا منذ ١٩٣٦ حتى ١٩٣٩ – حين عرفوا كيف يموتون فى المعركة .

ونظرًا لأن غالبية القيادات الصهيونية الألمانية تعاونت مع النازية لمدة ثمانية أعوام ، وبسبب الرغبة فى تكوين دولة إسرائيلية – باتت رؤيتهم أقرب للنازية ومعادية لبريطانيا .

(١) Bar Zohar. " Le Prophete arme : Ben Gourion ." .(Fayard . Paris 1966, p. 99

وفى ٥ سبتمبر ١٩٣٩ ، بعد إعلان البريطانيين والفرنسيين الحرب ضد ألمانيا بيومين ، أعلن حاييم وايزمان ، رئيس المؤسسة اليهودية ، فى رسالة كتبها إلى رئيس الوزراء البريطانى ، نيفل تشامبرلن ، ما يلى : « نقف نحن اليهود فى صف بريطانيا العظمى ، وسنحارب من أجل الديمقراطية . » ثم استطرد قائلا : « نحن مستعدون للتوقيع فورا على معاهدة تسمح لكم باستخدام كل ما لدينا من قوة مادية وتقنية » ، وقد طبعت الرسالة فى مجلة Jewish Chronicle فى ٨ سبتمبر ١٩٣٩ . وكان إعلان مواقف حقيقية ، تسبب فى حصار جميع اليهود الألمان فى مواقع مقفلة على أساس أنهم « مواطنو دولة معادية فى حالة حرب مع ألمانيا » .

خلال عهد هتلر وموسولينى ، قامت قيادات الصهاينة فى ألمانيا بالتعامل بطريقة غامضة مع الفاشية ، أحيانا معارضة القوى المعادية للفاشية ، وطوراً متعاونة مع الفاشيين . لم يكن هدف الصهاينة هو إنقاذ حياة اليهود ، بل خلق دولة يهودية فى فلسطين . بن جوريون ، أول رؤساء الدولة اليهودية أعلن فى ٧ ديسمبر ١٩٣٨ لحركة العمال الصهاينة مايلى :

لو عرفت أننى أستطيع إنقاذ كل أطفال اليهود فى ألمانيا عن طريق نقلهم إلى بريطانيا ، ونصفهم فقط عن طريق نقلهم إلى إسرائيل ، لاخترت الحل الثانى . فلابد أن نتذكر ليس فقط حياة الأطفال ، بل تاريخ إسرائيل [٢].

إنقاذ يهود أوربا لم يكن من أهم دوافع القيادات . بل كان تكوين الدولة العبرية هو الدافع الأكثر أهمية[٣] . وقد قال أحد قياديى الحركة الصهيونية الألمانية ما يلى :

(٢) Yvon Gellbner, " Zionist Policy and the fate of Europran Jewry ' , in Yad Vashem Studies (Jerusalem , vol XII , p. 199

(٣). " Tom Segev . " Le Septieme Million " Ed. Liana Levi, Paris, 1993 , P . 539

هل يجدر بنا إنقاذ الجميع بدون التفكير فى قدرات ومزايا كل فرد على حدة ؟ ألايجدر بنا أن نقدم الأفراد الأكثر أهمية لدولتنا الجديدة وفائدة لليهودية ؟ أعرف قسوة طرح السؤال بهذا الأسلوب ، ولكن ، عمليا ، يجدر بنا إنقاذ من يمكن إنقاذه ومن سيفيد مستقبل بلادنا (٤) .

وقد دفعت هذه السياسات القاسية بالوفد الصهيونى فى مؤتمر ايفيان عام ١٩٣٨ ، الذى سعى للتعامل مع المشردين من ألمانيا ، إلى طلب السماح بتهجير ٢٠٠٠٠ يهودى إلى فلسطين .

وهكذا بات إنشاء إسرائيل أكثر أهمية من حياة اليهود .

أما القيادات الصهيونية ، فاعتبرت أن أسوأ الشرور هو اندماج اليهود فى التجمعات الأوربية التى يحيون فى وسطها . وفى هذا شابهوا الهتلريين وغيرهم من العنصريين ، الذين اعتبروا الأساس هو طهارة الدم . ولهذا السبب اعتبر الهتلريون الصهاينة رفاقا يمكن التفاهم معهم . وقد كان هدف النازية هو إفراغ أوربا من اليهود تماما . وهناك أدلة على هذا التواطؤ بين النازيين والصهاينة . ففى رسالة بعثت فى ٢١ يونيو عام ١٩٣٣ إلى الحزب النازى ، قالت مجموعة « الاتحاد الصهيونى الألمانى » مايلى :

حين نعلن دولتنا الجديدة ، سنحاول التطبع مع الواقع العالمى . اعترافنا بالجنسية اليهودية يسمح لنا بتكوين علاقات طيبة مع الشعب الألمانى بقياداته وحقائقه العرقية ، نظرا لأننا لا نود تقليل قيمة هذه المبادئ – فنحن أيضا نعارض الزواج من أجناس مختلفة – ونطالب بطهارة الجماعة اليهودية ونقاء دمها . اليهود الواعون لهويتهم والذين نتحدث باسمهم ، سيجدون مكانا فى بنية الدولة الألمانية ، نظرا لأنهم لا يفكرون مثل اليهود الذين انضموا للمجتمعات التى يحيون فى وسطها .. نؤمن بإمكانية علاقات جيدة بين اليهود المتمسكين بهوياتهم والدولة الألمانية .

(٤) Memorandum of the Salvation Committee of the Jewish Agency of the Jewish Agency . 1943

ومن أجل الوصول لهذه الأهداف العملية ، تعاملت الصهيونية مع حكومة معادية لليهود . « تحقيق الصهيونية لطموحاتها يعوقه فقط معاداة اليهود خارج ألمانيا . الإعلام المعارض للنازية الألمانية حاليا ليس صهيونيا »(٥).

وقد أضافت الرسالة « ستسعى الصهيونية لإقناع يهود العالم بعدم محاربة ألمانيا إن تعاونت السلطات الألمانية معها » (٦) .

تعاطفت القيادات النازية مع الصهيونية ، التى سعت لخلق دولة فى فلسطين ، مما سيعاونهم فى تحقيق أهدافهم فى التخلص من اليهود . وقد كتب ألفريد روزنبرج ، فيلسوف النازية ، ما يلى : « لابد من مساعدة الصهاينة حتى يسافر عدد من اليهود كل عام إلى فلسطين » (٧) .

رينهارت هايدرش ، الذى بات لاحقا « حامى » تشيكوسلوفاكيا ، كتب فى Das Schwarze Korps ، وهى مجلة الفرع الرسمى للمخابرات الألمانية ، دراسة بعنوان : « العدو الخفى » فصلت بين نوعين من اليهود :

لابد من التفرقة بين نوعين من اليهود ، دعاة التفرقة ودعاة الاندماج . الصهيونية تؤمن بالفصل بين الأجناس المختلفة ، وعن طريق الهجرة إلى فلسطين ، يسعون لتكوين دولتهم الخاصة بهم . ونحن نتمنى لهم التوفيق فى مسعاهم الحميد (٨) .

وقد كان للصهاينة فى ألمانيا اسم خاص بهم ، وهو هرزليا . وقد شجعت الجستابو هذه الجماعة وقامت بحمايتها . وقد حدث فى يوم أن هاجم عدد من الضباط الألمان مخيما تابعا للجماعة ، فقدم رئيسها شكوى إلى الجستابو . وبعد بضعة أيام ، أعلن البوليس السرى أن الضابط المسئول قد عوقب على خطئه .

(٥) Lucy Dawidovitch , " A Holocast Reader : P. 155 .

(٦) Lucy Dawidovitch : " The War Agaist Jews " (1933 - 1945) " Penguine books . 1977 . P. 231 - 232 .

(٧) A. Rosenberg. " Die Spur des Juden im Wacndel der Zeiten . " Munich 1937. P. 153.

(٨) Hohne. " Order of the Deathe's Head " p. 333 .

الجستابو سأل المجموعة عما تريده للتعويض عما لحق بها من ضرر ، فطلبوا أن يعاد لهم حق ارتداء القمصان الرمادية ، الذى كان اليهود قد حرموا منه ، ووافقت السلطات على ذلك(٩) .

وقد كتب بولو – شوانت إلى وزارة الداخلية ما يلى : « لا يوجد أى سبب لفرض أى قيود على الحركة الصهيونية فى ألمانيا . فالصهاينة لا يعادون منهجنا الاشتراكى القومى ، الذى يهدف إلى دفع اليهود لهجر ألمانيا بشكل مرحلى » (١٠) .

وقد تم تطبيق هذه الأوامر القيادية بحزم . وبسبب الأوضاع المثالية للصهيونية فى ألمانيا ، طلب البوليس فى دولة أخرى ، وهى بافاريا فى ٢٨ يناير ١٩٣٥ ما يلى : بسبب سعى الصهيونية إلى الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، يجب ألا نعاملهم بذات القسوة التى نعامل بها اليهود الذين يبدون الارتباط والانتماء إلى المجتمعات الأوربية التى يعيشون فى وسطها (١١) .

كان للتنظيم الصهيونى للألمان اليهود كيان قانونى حتى ١٩٣٨ ، خمسة أعوام بعد مجىء هتلر . بل إن جريدة Judaice Rundschau الصهيونية النازية بقيت تصدر حتى عام ١٩٣٨(١٢) . وفى مقابل الاعتراف بالصهيونية كممثل للمجتمع اليهودى ، عرضت القيادات الصهيونية كسر الحصار الذى حاولت تجمعات عديدة فرضه على النازية . وقد بدأ التعاون الاقتصادى بين الطرفين عام ١٩٣٣ ، وتم تأسيس شركتين ، وهما « حفارة » فى تل أبيب و « بالترو » فى برلين . وكان النظام المتبع كما يلى : إن أراد يهودى الهجرة يحتاج لدفع ١٠٠٠ باوند إسترلينى فى بنك واسرمان فى برلين أو بنك واربرج فى همبرج . وبهذا المبلغ يستطيع المصدرون شراء مواد ألمانية ترسل إلى فلسطين ، يتم دفعها هناك لحساب شركة حفارة فى البنك الإنجليزى

(٩) Ben Yeruham . " Le Livre de Betar. T. II . P. 350.

(١٠) Letter number Zu 83 - 21 . 28/8, April 13, 1935 .

(١١) Kurt Grossmann :" Sionistes et non Sionistes Sous la Loi Nazie dans les annes 30 :" Yearbook. Vol. V1. P . 310

(١٢) Leibowitz: " Israel et Judaisme " Ed. Desclee de Brouwer, 1993. P . 116.

الفلسطيني في تل أبيب . وحين يصل المهاجر إلى فلسطين ، يستلم مبلغا موازيا لما دفعه في ألمانيا .

والكثير من وزراء ورؤساء وزارات إسرائيل اشتركوا في عملية « حافارا »، وبينهم بن جوريون ، وموشي شارت ، وجولدا مائير (التي شجعتها من نيويورك) ، وليفي أشكول ، الذي مثلها في برلين [١٣] . وكانت العملية مفيدة لطرفيها . استطاع النازيون كسر الحظر (وبيعت منتجات ألمانية في بريطانيا ذاتها) ، بينما نجح الصهاينة في تهجير الأثرياء ، وقدم رأسمالهم ما احتاجته الصهيونية لدعم مشروعها الاستيطاني في فلسطين .

وقد استمر التعاون بين الطرفين حتى عام ١٩٤١ ، لمدة ثمانية أعوام بعد وصول هتلر للسلطة . أشمان تعاون مع كاستنر . محاكمة أشمان أوضحت بعض عوامل هذا التبادل الذي كان مفيدا في خلق الدولة العبرية . فالأثرياء والعلماء هاجروا ، بينما بقي عدد كبير من اليهود الأقل فائدة تحت سيطرة هتلر . وقد قال بن جوريون في هذا الشأن ما يلي : « ليست وظيفة الصهيونية إنقاذ اليهود الموجودين في أوربا ، بل إنقاذ أرض إسرائيل لليهود » [١٤].

قيادات المجموعة اليهودية اتفقت على أن الأقلية التي يمكن إنقاذها لابد من اختيارها حسب احتياجات المشروع الصهيوني في فلسطين [١٥] ، استنتج مؤلف كتاب – عايزية – : (Judenrat (Mcneill : New York, 1972 ما يلي : « كان من الممكن لأكثر من نصف اليهود الفرار إن لم يتبعوا أوامر القيادات اليهودية » . (ص ١٤١) .

في الاحتفال الخمسين لثورة الأحياء الفقيرة في مدينة وارسو ، طلب إسحاق رابين من ليس واليسا عدم السماح لأحد الشخصيات التي قادت الثورة ، مارك أدلمان بإلقاء كلمة . في عام ١٩٩٣ ، التقى الصحفي إدوار والتر بمارك أدلمان لمجلة

(١٣) " L'accord de la Havaara " , p. 294. Quoted by Tom Segev in " Le septieme milliom " French translation. 1993, p . 30 and 595)

(١٤) Tom Segev, op. cit. p, 158

(١٥) ذات المصدر ، ص ١٢٥ .

« هارتز » وتذكر الأخير أن من دعوا للقتال كانوا « اشتراكيين ، شيوعيين ، معادين للصهيونية ، وقلة صهيونية يسارية » . وكان هؤلاء هم الذين حاربوا النازيين بالسلاح ، كما فعل المتطوعون اليهود فى إسبانيا . وقد انتقدت الصحف النازية هؤلاء اليهود لأنهم حاربوا بدلا من السفر إلى فلسطين(١٦) . وبين خمسة آلاف بولندى قاوموا النازية ، كان هناك ٢٢٥٠ يهوديا . وهؤلاء الأبطال قاوموا فى كل مكان المد الفاشى . ولكن القيادات الصهيونية قالت فى رسالة نشرتها بعنوان : « هل لابد لليهود من معاداة الفاشية ؟ » كلا الهدف الأوحد هو : « تكوين دولة إسرائيل ».

فى مذكراته ، تذكر رئيس التنظيم الصهيونى العالمى ، ناعوم جولدمان ، لقاءه مع رئيس وزراء تشيكوسلوفاكيا ، إدوارد بتر ، عام ١٩٣٥ . وقد اتهم بتر الصهاينة بكسر الحصار المفروض على هتلر باتفاق هافارا ، وانتقد بشدة رفضهم لتنظيم مقاومة النازيين :

> **لقد مررت فى حياتى بلقاءات كثيرة أحزنتنى ، ولكن لم أشعر بالخجل والحزن فى أى لقاء بقدر ما شعرت بهما خلال هاتين الساعتين . شعرت بأن كل كلمة قالها بتر لى كانت صادقة (١٧) .**

وقد اتصل الصهاينة أيضا بموسولينى عام ١٩٢٢ وقد التقى بهم بعد زحفه على روما فى أكتوبر ، فى العشرين من ديسمبر عام ١٩٢٢(١٨) .

وقد التقى موسولينى بوايزمان فى ٣ يناير ١٩٢٣ ، ومرة أخرى فى ١٧ سبتمبر عام ١٩٢٦ . ناعوم جولدمان ، رئيس المؤسسة الصهيونية الدولية ، التقى بموسولينى فى ٢٥ أكتوبر ١٩٩٧ ، حين أبلغه القائد الإيطالى بقراره « سأعاونك فى تكوين الدولة اليهودية » (Autobiographie, p. 170) .

وقد تعارض هذا التحالف مع السعى العالمى لمحاصرة الفاشية . ولم يتغير تفكير الصهيونية طوال الحرب ، حتى حين بلغ اضطهاد هتلر لليهود ذروته . وحين تم

(١٦) Jewish Life , April 1938, p. 11.

(١٧) Nahum Goldman, " Autobiographie, op. Cit. Pp. 157 .

(١٨) Ruth Bondy, : The Emissiary : A life of Enzo Sereni. P. 45).

تهجير اليهود من هنغاريا ، تفاوض كاستتر ، مساعد رئيس المنظمة الصهيونية ، مع اشمان على الأسس التالية : إن سمح أشمان بتهجير ١٦٨٤ يهوديًا مفيدا إلى فلسطين ، فإن كاستنر سيقنع اليهود ، ، وعددهم ٤٦٠٠٠٠ بأنهم سيذهبون إلى مكان آخر ، لا إلى مخيمات أوشويتز .

أثناء محاكمة أشمان فى إسرائيل ، تذكر القاضى هاليفى أن كاستنر قد تدخل لمساعدة أحد مساعدى النازى هتلر ، وأن الرجل – واسمه ستاندراتين بيشر – بُرِّئ بسبب شهادة كاستنر فى محاكمات نيورمبرج . وقال القاضى مايلى بهذا الشأن :

كذب كاستنر أمام المحكمة حين ادعى أنه لم يتدخل لصالح بيشر . كذلك خبأ حقيقة مهمة . فما فعله من أجل بيشر كان باسم التجمع اليهودى العالمى الذى ينتمى إليه . ولذلك السبب أخرج الحلفاء بيشر من السجن .

وبعد صدور الحكم ، اهتز الرأى العام الإسرائيلى . وكتب د. موش كرين مطالبا بضرورة محاكمة كاستنر لتواطئه مع النازية فى جريدة هآرتز فى ١٤ يوليو ١٩٥٥عام ولكن جريدة « يديعوت أحرنوت » المسائية أوضحت فى ٢٣ يونيو أوضحت سبب استحالة إتمام هذه المحاكمة : « فإن حوكم كاستنر ، قد تسقط الحكومة بأسرها بسبب ما سيكشف من حقائق » . ما سيتم اكتشافه هو أن كاستنر لم يتصرف وحيدا ، بل بموافقة القيادات الصهيونية الأخرى الذين كانوا جزءا من حكومة إسرائيل خلال فترة المحاكمة . الطريقة الوحيدة لمنع كاستنر من الحديث كانت أن يختفى ، وبالفعل توفى فى الوقت المناسب ، وبعد ذلك طلبت الحكومة الإسرائيلية تبرئته من التهم الموجهة إليه . ووافقت المحكمة الإسرائيلية العليا على ذلك .

وقد وصلت سياسة التعاون إلى أكثر مراحلها انحطاطا عام ١٩٤١ ، حين طالبت المجموعة الصهيونية المتطرفة « ليهى » بقيادة إبراهيم شتيرن ، وبعد وفاته ، والتى كان إسحاق شامير أحد أعضائها ، « بالتحالف مع هتلر ، وألمانيا النازية ، ضد بريطانيا » [(١٩)] وقد أعلن اليزر هاليفى ، الشخصية المعروفة فى أوساط اليسار

(١٩). Bar Zohar. "ben Gourion, le Prophete Ame" (Fayard. Paris 1966. P 99)

الإسرائيلى ، فى جريدة تل أبيب هوتام فى ١٩ أغسطس ١٩٨٣ عن وجود وثيقة وقّع عليها إسحاق شامير وإبراهيم شتيرن ، تم تقديمها أثناء الحرب العالمية الثانية إلى السفارة الألمانية ، حين وصلت قوات روميل إلى حدود مصر . وقد قالت الوثيقة : « نشترك فى المبادئ ، فلماذا لا نتعاون ؟ » . نصوص أخرى أوضحت ارتباط مجموعة شتيرن مع « الأنظمة غير الديمقراطية ، وتشابهها معهم فى الفكر والبنية » . وهذه النصوص موجودة حتى الساعة فى النصب التذكارى للمحرقة (ياد فاشيم) فى القدس ، برقم : E2341515-8 . وقد نشر أحد قياديى عصابة شتيرن ، وهو إسرائيل الداد ، مقالة فى يديعوت أحرنوت الجريدة اليومية لتل أبيب (٤ فبراير ١٩٨٣) أكد فيها حقيقة المفاوضات التى حدثت بين الصهاينة وممثلى النازية . وقد أوضح رفاقه آنذاك أن الفكر الأوربى الجديد لا يتعارض مع طموحات اليهود فى فلسطين . الصحافة الإسرائيلية تؤكد أن اليهود لم يتقبلوا أفكار شتيرن ، شامير ، ورفاقهم ، ولم يقاتلوا إلى صف الألمان ، وقد توقفت المفاوضات حين قبضت قوى الحلفاء على مفاوضى شتيرن وشامير فى يونيو عام ١٩٤١ . بل وقبض على المبعوث ، ويدعى نافتالى لوبنتشيك ، فى مقر للمخابرات الألمانية فى دمشق . واستمرت المفاوضات بشكل متقطع حتى اعتقلت الشرطة البريطانية إسحاق شامير عام ١٩٤١ واتهمته « بالإرهاب والتعاون مع العدو النازى » .

وهذا الماضى لم يمنع شامير من الوصول لرئاسة الوزارة فى إسرائيل ، ومن البقاء حتى اليوم قويا فى المعارضة التى تود الاحتفاظ بالأراضى المحتلة . وسبب ذلك هو أن جميع القيادات الصهيونية تسعى لهدف مشترك عنصرى ، بغض النظر عن الفوارق والتنافس الشخصى بينهم . وهو تهجير الفلسطينيين من أرضهم عن طريق الإرهاب ، وامتلاك الأرض ، حتى يصيروا أسياداً لها .

وقد صرح بن جوريون يوما : « إن بيجن ينتمى إلى النموذج الهتلرى . فهو عنصرى ، مستعد لتدمير العرب من أجل حلمه بإسرائيل ، ولا يمانع من استخدام أى أسلوب لتحقيق حلمه المقدس »(٢٠).

(٢٠) E. Haber. " Menahem Begin, the Man and the Legend " Delle Book. New York 1979, p. 385 .

بن جوريون ذاته لم يؤمن بإمكانية السلام مع العرب . اعتقد أن تقليل أعدادهم داخل إسرائيل هو الحل الوحيد للمشاكل الأمنية .

خلال محاكمة ايشمان فى القدس ، ذكَّر المحامى حاييم كوهين ، القضاة ببعض الحقائق :

إن لم يتطابق فكره مع فكركم ، يحق لكم انتقاد كاستنر . ولكن ما علاقة هذا بالتواطؤ ؟ اخترنا دوما الصفوة لتهاجر إلى إسرائيل . وما فعل كاستنر سوى ذلك (٢١) **.**

لم يفعل المحامى المخضرم سوى ذكر العقائد الأساسية للحركة الصهيونية . التى لم تسع من أجل إنقاذ حياة اليهود بل إنشاء دولة عبرية قوية .

الحبر كاوسنر ، الذى كان مسئولا عن نقل الأفراد المرغوب فى وجودهم فى فلسطين إليها ، ذكر فى تقرير قدمه إلى المؤتمر الأمريكى اليهودى العالمى فى ٢ مايو ١٩٨١ :

أشعر بأنه لابد من إجبار الأفراد على الذهاب إلى فلسطين . وكلمة « إجبار » تعنى برنامج .. عذب اليهود فى بولندا ، وفى تاريخ الخروج من مصر . ولذلك يجدر بنا أن نضايقهم فى أماكن إقامتهم ، حتى يرغبون بالمجىء إلى إسرائيل (٢٢)**.**

وهناك عدة أمثلة على أسلوب الترغيب والترهيب هذا . فى عام ١٩٤٠ ، لإغضاب العالم على البريطانيين ، قرر زعماء الهاجانا (بقيادة بن جوريون) تفجير السفينة الراسية فى حيفا فى ٢٥ ديسمبر ، مما تسبب فى مقتل ٢٥٢ يهوديا وراكبا بريطانيا على متنها (٢٣).

(٢١). Court Record 134/53. Jerusalem district Court

(٢٢) Alfred H. Lilienthal in " What Price Israel " , Chicago . 1953 . P> 194-195,

(٢٣) د. هرزل روزنبلام ، مدير – بدوت أحرونوت ، اعتراف قدم عام ١٩٥٨ وبرر فى جريدة ، Jewish Newsletter, عدد نوفمبر ، ١٩٥٨ .

مثال آخر هو ما حدث ليهود العراق ، وعددهم كان حوالى ١١٠٠٠٠ عام ١٩٤٨ . الحبر الأكبر فى العراق ، خدورى ساسون ، صرح : « استمتع اليهود والعرب بذات الحقوق لألف عام ولا نعتبر أنفسنا جزءا منفصلا عن الأمة » . ثم بدأت الأعمال الإرهابية فى بغداد عام ١٩٥٠ . وحين تردد يهود العراق فى الهجرة ، فجر أفراد المخابرات الإسرائيلية القنابل فى أماكن تجمعهم لإقناعهم بخطورة وضعهم . حدث هجوم على كنيس يهودى أدى لقتل ثلاثة وجرح عشرات غيرهم . وبدأت نتيجة لذلك عملية الهجرة من العراق إلى إسرائيل [٢٤]. وقد كانت هذه سياسة متبعة منذ أن بدل ثيودور هرتزل تعريف اليهودية من دين إلى قومية .

القانون ٤ ب من قوانين إسرائيل الأساسية الذى يحدد الهجرة يؤكد أن : « اليهودى هو من له أم يهودية ، أو تحول إلى ذلك الدين » [٢٥].

وقد أكد ثيودور هرتزل على اختلاف اليهود عن باقى الأمم فى يومياته ، إذ يقول : « أفهم معاداة السامية . بقى اليهود منفصلين عن الشعوب التى عاشوا فى وسطها ، وكأنهم أغراب »[٢٦] . وبعد بضع صفحات ، يقول بصراحة أكثر : « معادو السامية هم رفاقنا ، ودولهم ستساعدنا على تحقيق أهدافنا » (ص ١٩) . وقد كان الهدف ، وهو نقل اليهود إلى موقع واحد ، مشتركًا . وقد أكدت الحقائق على صحة أفكار ثيودور هرتزل .

اليهود قالوا فى صلواتهم : العام المقبل فى القدس ، ولكن القدس كانت رمزا لارتباط بين الرب والإنسان ، وسعى المخلوق للتقرب من الخالق . أما العودة الفعلية فحدثت فقط بسبب تهديدات أعداء السامية فى بلاد أجنبية . وقد صرح بن جوريون فى ٣١ أغسطس عام ١٩٤٩ لمجموعة من الزوار الأمريكان إلى إسرائيل : « مع أننا حققنا حلمنا بتكوين دولة يهودية ، فنحن لا نزال فى البداية . هناك ٩٠٠٠٠٠

(٢٤) Ha'olam Hazeh. April 20 th and Hune 1 st 1966, and Yediot Ashronot, November, 8, 1977

(٢٥) Klein : L'Etat Juif " , ed. Dunod. Paris. P. 156

(٢٦) Diaries. P. 9 .

يهودى فقط في إسرائيل ، بينما تبقى الغالبية في الخارج . هدفنا هو أن يأتى جميع يهود العالم إلى إسرائيل » ، وقد طمح بن جوريون فى جلب أربعة ملايين يهودى إلى إسرائيل بين عامى ١٩٥١ و ١٩٦١ جاء منهم ٨٠٠٠٠٠ فقط . فى عام ١٩٦٠ ، هاجر فقط فرد . وفى عامى ١٩٧٥ – ١٩٧٦ فاق عدد المهاجرين من إسرائيل الداخلين إليها .

فقط فى أحوال المعاناة الشديدة ، فى رومانيا مثلا ، أحس اليهود بالرغبة فى الهجرة من بلادهم إلى إسرائيل . معاناتهم فى عهد هتلر لم تكف لتحقيق حلم بن جوريون . ومن بين مليونين ونصف مليون يهودى . بحثوا عن ملجأ خارج ألمانيا . بين عامى ١٩٣٥ و ١٩٤٣، ذهب ٨,٥ ونصف فى المائة إلى فلسطين . الولايات المتحدة تقبلت حوالى ١٨٢ ألفا ، (أقل من ٧ ٪) وحددت بريطانيا رقمهم إلى ٦٧ ألفا (أقل من ٢ ٪) . أما الأغلبية العظمى (١٩٠٠٠٠٠) ، أى ٧٥ ٪ ، فوجدوا ملجأ فى الاتحاد السوفيتى[٢٧] .

أسطورة العدالة فى نيورمبرج

« هذه المحكمة تمثل استمرارية للحرب التى قام بها الحلفاء »[٢٨].

فى ٨ أغسطس ١٩٤٥ التقى الأمريكان ، والإنجليز ، والفرنسيون والروس فى لندن لتنظيم « مطاردة ومعاقبة مجرمى حرب دول المحور » .

وتم تعريف الجرائم بالشكل التالى :

١ – جرائم ضد السلام ارتكبها من بدأوا الحرب .

٢ – جرائم الحرب حين لم تحترم قواعد الحروب .

٣ – جرائم ضد الإنسانية ، وهى التى ارتكبت ضد المدنيين .

(٢٧) Institute for Jewish Affairs of New York, quoted by Christopher Skyes in " Crossroads to Israel : London 1965, and by Nathan Weinstock, " Le Sionisme contre Israel, : P, 146

(٢٨) Robert Jackson, U. S. Attorney -General (26, th July 1946 session)

يدفع استناد المحكمة على هذه الأسس لطرح عدة ملاحظات :

١ – لم تكن المحاكمة دولية بل تكونت من أعضاء الدول المنتصرة ، وهكذا حوسب المهزومون فقط على ما ارتكبوا من جرائم . كما لاحظ رئيس القضاة الأمريكيين فى جلسة ٢٦ يونيو ١٩٤٦ . : « لا يزال الحلفاء رسميا فى حالة حرب مع ألمانيا . هذه المحكمة استمرارية للمساعى العسكرية لدول التحالف » .

كانت المحكمة غير اعتيادية لأنها مثلت جزءا من معركة ، وتجاهلت جميع مسئوليات المنتصرين ، أولا بشأن بدء الحرب ، أى مناقشة لأسباب الحرب الأساسية تم تجاهلها مقدما ، ليس هناك أحد تحدث عن اتفاقية فرساى ودورها فى ما حدث ، الإفلاس والبطالة اللذان ساعدا على وصول هتلر للسلطة بموافقة غالبية الشعب الألمانى . قانون الأقوى انطبق على أوضاع ألمانيا التى هزمت فى عام ١٩١٨ واضطرت لدفع ١٣٢ بليون مارك ذهبى كتعويضات ، حين كانت ثروة الدولة الكلية ٢٦٠ بليونا . انهار الاقتصاد الألمانى نتيجة لهذه الظروف ، ويأس الشعب بعد سقوط قيمة العملة إلى الحضيض وازدياد نسب البطالة . كل هذه العوامل أدت لصعود هتلر إلى السلطة ، ووهبته أفضل إمكانيات العمل السياسى : إذ دعا لإلغاء اتفاقية فرساى ، ومعها كل ما تحويه من معاناة وإذلال .

وحين انتصر هتلر فى الانتخابات ، ساعدته البنوك الأمريكية والبريطانية والفرنسية . فمثلا ، شارك بنك دليون الأمريكى فى صناعات الحديد الألمانية ، بينما استثمرت شركات الكيماويات الأمريكية فى صناعة الكيماويات الألمانية . وقد وجهت محكمة نيورمبرج الاتهامات بالتخطيط ضد السلام لمديرى شركات " Dupont de Nemeurs, Dillon , Morgam , Rockfeller " وغيرها .

دوما يذكر انتقاد هتلر للشيوعيين واليهود . وذلك صحيح فى الفصل الخامس عشر من كتاب « كفاحى » ، حيث يتذكر هتلر حرب الغازات التى بدأتها بريطانيا فى الحرب العالمية الأولى . وعنوان الفصل هو : « حق الدفاع عن النفس » .

وإن حدث ، فى بدء أو خلال الحرب ، أن مات ١٢٠٠٠ أو ١٥٠٠٠ من هؤلاء اليهود مفسدى الأمم الذين لم يواجهوا إلا مرة الغازات السامة التى عانى منها ملايين الشباب الألمانى فى الجبهة ، لما كانت المعاناة بلا جدوى .

بالعكس ، إن تخلصنا من اثنى عشر ألفا من هؤلاء الأشرار لأنقذنا حياة مليون ألمانى شاب سيكون المستقبل لهم .

وفى خطاب ألقاه أمام الرايخستاج فى ٣٠ يناير عام ١٩٣٩ ، قال كذلك :

إن نجحت المؤسسات المالية اليهودية فى داخل وخارج ألمانيا فى دفع العالم مرة أخرى فى حرب عالمية، فالنتيجة لن تكون تحول العالم للشيوعية وانتصار اليهود ، بل اندثارهم من أوربا . فالوقت الذى قدم فيه غير اليهود بلا سلاح إلى الإعلام المضلل قد انتهى . ألمانيا القومية الاشتراكية وإيطاليا الفاشية تملكان الآن مؤسسات قادرة فى الوقت الضرورى على تنوير العالم بشأن القضايا التى تحس بها الشعوب بدون أن تستطيع فهم معناها . سيستطيع اليهود الاستمرار فى حملاتهم فى عدة دول ، إذ تحميهم وسائل الإعلام ، السينما ، الإذاعات ، المسرح ، الأدب ، وغيرها من الأساليب . وإن نجح أولئك الأفراد ثانية فى تضليل ملايين الناس ، سنرى آنذاك قدراتنا التى حررتنا تماما من السيطرة اليهودية خلال بضعة أعوام (٢٩) .

فى ٣٠ يناير ١٩٤١ ، حادث هتلر يهود أوربا ، وأبلغهم أن « دورهم سينتهى إن اشتعلت نيران الحرب » . ثم قدم خطابا فى ٣٠ يناير ١٩٤٢ أعلن فيه أن الحرب ستنهى « اليهودية فى أوربا » .

أفكار هتلر السياسية ، التى نشرت فى محكمة نيورمبرج ، تحوى خطبا كثيرة شملت ذات المعنى .

وإن تحدث هتلر كثيرا عن تدمير « تأثير » اليهود على الاقتصاد ، فإن هملر يتحدث عن تدمير الناس . فقد قال فى احتفال فى وايمر لقواد الأسطول البحرى فى ١٦ ديسمبر ١٩٤٣ :

(٢٩) 1/M. T. Volxxxl, P. 65.

حينما : اضطررت لإعطاء الأمر لمهاجمة مساكن اليهود فى قرية ، قدمت الأمر بقتل الزوجات والأطفال والرفاق كذلك .

وحين تحدث لاحقا فى عام ١٩٤٤ فى سونثوفين فى ٥ مايو ١٩٤٤ ، أضاف : « فى صراعنا مع آسيا ، لابد أن نعتاد على نسيان قوانين الحروب الأوربية السابقة ، وإن تعودنا عليها » .

ولكن هذه الوحشية لم تكن من صفات دول المحور فحسب . ففى ٤ سبتمبر عام ١٩٤٠ ، أعلن هتلر فى « سبورتبلاست » ما يلى : « إن سعت القوات البريطانية لإلقاء ثلاثة أو أربعة آلاف كيلو من القنابل علينا ، فسنلقى مئات الآلاف منها فى ليلة واحدة » . ومن الواضح أن هذه المبالغة تفوق قدرات الدولة الألمانية ، إلا أنها توضح درجة الكراهية التى كنها كلا الطرفين للخصم .

وفى استجابته ، أعلن لفتون فاديمان ، رئيس تحرير مجلة نيويوركر ، والمسئول عن الكتابة فى زمن الحرب ، رغبته فى التزام الكتاب : « بإشعال الكراهية ضد جميع الألمان ، لا القيادات النازية فحسب » . ثم أكد : « الألمان لن يفهموا إلا حين نقتلهم ، وحتى حين يموتون ، فلن يفهموا » . وفى أبريل ١٩٤٢ . أثناء خطاب مدح فيه كتاب د. سيلز ، **تكوين الغد** ، طور فاديمان أفكاره العنصرية وكتب قائلا : « إن العدوان النازى اليوم ليس عملا لعصابة ، بل أقوى تعبير عن المشاعر العميقة للشعب الألمانى . إن هتلر رمز لطاقات وقوى أكبر منه . الأفكار التى يدعيها ترفض تراث الثقافة الغربية منذ بداياتها » . وقد سخر من دوروثى ثومسون ، الذى فرق بين النازيين وغيرهم من الألمان . وشاركه البعض فى أفكاره هذه . فبعد خطبة هتلر فى « سبورتبالاست » نشرت جريدة Daily Herald فى لندن مقالة للقس س . و . وب ، **أكد** فيها أن : « الهدف هو إفناؤهم ، عن طريق تركيز علومنا على اكتشاف متفجرات مخيفة . وربما لا يصح لقسٍ التعبير عن مشاعر كهذه ، ولكن أقول بصراحة إننى لو استطعت لأزحت ألمانيا من الخريطة . فسكانها لعنة حلت على أوربا لقرون » .

لحسن الحظ ، كان هناك ردود على هذه الأقوال التى تقطر حقدا وكراهية ، حيث فرق الشعب البريطانى بين القيادات الألمانية والألمان العاديين .

في يناير عام ١٩٣٤ ، أعلن القائد الصهيوني ، فلاديمير جابوتنسكي ، في المجلة اليهودية « ناتاشا رتش » ، مايلي : « تتطلب مصالح اليهود تدمير ألمانيا التام . الشعب الألماني بأسره يشكل خطرا علينا » .

أما تشرشل ، فكتب إلى بول ريوند في ١٦ مايو ١٩٤٠ : « سنقوم بتجويع ألمانيا ، وندمر مدنها ونحرق محاصيلها وغاباتها »(٣٠) وفي عام ١٩٤٢ أعلن الوزير البريطاني ، لورد فانسيتر ، داعية الكراهية ، تبريرا لقصف مدن ألمانيا : « الألماني الجيد هو الألماني الميت . دع القنابل تهطل » .

وفي يوليو ١٩٤٤ ، بعث تشرشل لمديره ، الجنرال هاستنجس إيماي ، برسالة شملت الاقتراح التالي :

أود أن تفكر في الغاز الخانق بشكل جدي تماما . من السخف التفكير بالأخلاق في حين استخدم الجميع هذه الغازات خلال الحرب الماضية ، بدون أن تحتج الكنيسة البتة ، وكذلك كان قصف المدن محرما آنذاك : واليوم ، شاع هذا ، ومارسه الجميع .

أود أن يتم التفكير في فوائد استخدام الغاز الخانق ببرود . لا داعي للتمسك بمبادئ سخيفة . نستطيع إغراق المدن الألمانية بحيث تحتاج غالبية السكان للعلاج بشكل دائم . قد تحتاج للانتظار لبضعة أسابيع أو شهور قبل أن أطلب منك إغراق المدن الألمانية بالغاز الخانق ، وإن كنا سنفعل هذا ، فلنفعله بشكل تام . بلا تردد . أود أن يتناول القضية بالدراسة مجموعة عقلانية ، لا مغني الكنيسة (٣١).

ملاحظة : صنعت الولايات المتحدة حوالي ١٣٥ ألف طن من الغازات السامة خلال الحرب الثانية ، وصنعت ألمانيا ٧٠٠٠ طن ، وبريطانيا ٤٠٠٠ طن ، واليابان ٧٥٠٠ طن .

لم يواجه تشرشل وستالين أو ترومان المحاكمة بسبب جرائم ضد الإنسانية .

(٣٠) Paul Boudouin, " Neuf Mois au Gouvernement " . La Table Ronde , 1948 , P . 57

(٣١) American Heritage " , August - September 1985 .

ولم تحاكم محكمة نيورمبرج بعض دعاة القتل الذين نذكر منهم اثنين . الأول كان كتابا لليهودى الأمريكى ثيودور كوفمان بعنوان : « لابد من فناء ألمانيا » ، حيث قدم النظرية التالية : « إن الألمان (بغض النظر عن فكرهم ، سواء أعادوا النازية ، أم كانوا شيوعيين ، أو حتى مدافعين عن اليهود ،) لا يستحقون الحياة . ولذلك ، فلابد للأطباء من تعقيمهم حتى لا يستطيعون الإنجاب . بهذه الطريقة سيندثر العنصر الألمانى خلال ٦٠ عاما » . وقد سعد أعداء السامية كثيرا بهذا الكتاب ، وطلب هتلر إذاعة أجزاء منه فى المحطات الألمانية عام ١٩٤٢ . عمل آخر مشابه ، وهو « دعوة إلى الجيش الأحمر » بقلم الكاتب الروسى ، إليا آهرنبرج ، نشر فى أكتوبر ١٩٤٤ :

اقتلوهم . فليس هناك أبرياء بين الألمان ، سواء أكانوا مولودين أم سيولدون . طبقوا تعاليم الرفيق ستالين واكسروا عظام الوحش الفاشى . دمروا كبرياء نساء ألمانيا بالعنف . اعتبروهن غنيمة . اقتلوهم ، ياجنود الجيش الأحمر الشجعان ، فى هجومكم الكاسح [٣٢].

ولم تتم محاكمة من كتبوا هذه الأقوال فى نيورمبرج ، ولم ينقد أحد زعماء دولهم . ولم يحاسب الزعماء الذين قصفوا درسدن ، وقتلوا ٢٠٠٠٠٠ مدنى بلا أى فائدة عسكرية . ولم يحاسب أى إنسان ترومان ، وهو المسئول عن تفجير القنابل الذرية فوق هروشيما وناجازاكى ، حيث قتل ٣٠٠٠٠٠ مدنى أيضا بلا داع ، لأن الإمبراطور اليابانى كان قد اتخذ قرارا بالتسليم .

ولم يحاسب ستالين على قتل الآلاف من البولونيين ، بل وجه الاتهام إلى الألمان .

أما وضع المحاكمة القانونى ، فكان كالتالى :

النص ١٩ : لن تعتمد المحكمة على القوانين المرتبطة بالوصول إلى الأدلة . بل ستعتمد على أى أساليب تعتبر جازمة لإثبات صحة الاتهام المطلوب إثباته .

النص ٢١ : لن تطلب المحكمة أدلة على حقائق معروفة . وهى كذلك تعتبر كل الوثائق الرسمية لدول التحالف أدلة جازمة .

(٣٢) Dix ans et 20 Jours p . 343 - 44

وهكذا اعتبرت وثائق كثيرة يمكن التشكيك فى صحتها صادقة .

تعرضت مثل هذه الأساليب فى محكمة نيورمبرج للكثير من الانتقاد حتى من قبل المحكمة العليا الأمريكية . يذكر المؤرخ البريطانى ، ديفيد أرفنج ، تقييم واقعى للمحاكمة :

القضاة المعروفون فى جميع أرجاء العالم خجلوا من أساليب محكمة نيورمبرج . القاضى روبرت جاكسون ، رئيس المحلفين فى المحكمة ، عبر عن خجله فى مذكراته ، إذ اعتبر أن تفجير القنبلة الذرية كان من الأعمال الخطرة الشريرة . قاض آخر معروف فى المحكمة العليا الأمريكية ، وهو هارلان فسك ستون ، اعتبر محاكمات نيورمبرج « حفلة إعدام » . أما القاضى ونرسترام ، فقد تقزز لدرجة رفض الذهاب إلى ونسبرج ، وعاد إلى الولايات المتحدة ، وعبر عن رأيه فى مجلة شيكاغو تربيون : ٦٠ ٪ من أعضاء المحلفين فى المحكمة كانوا يهودا ، وكذلك المترجمون . أما المتهمون الرئيسيون : هوس ، ستريتشر ، بوهل ، فجميعهم تعرضوا للتعذيب وانتزعت منهم الاعترافات القسرية .

وبسبب قوانين نيورمبرج ، التى تقبلت جميع إعلانات الحلفاء كحقائق ، فإن اتهام السوفييت للألمان بقتل ١١٠٠٠ بولونى كان كافيا لإسقاط الاتهام وكأنه حقيقة ثابتة على المتهمين(٣٢) .

ومحامى الاتهام ، الجنرال رودنكو ، قال : « لا يحق لهم الاعتراض على الاتهامات » .

وفى ١٣ أبريل ١٩٩٠ ، أعلن الإعلام الدولى أن المجزرة تمت بأوامر من السلطات السوفيتية .

سنبحث الآن أسطورة أساسية للدولة الإسرائيلية ، وهى فكرة خاطئة تؤثر كثيرا على العالم اليوم ، أى أسطورة قتل ستة ملايين يهودى . التى تحولت إلى عقيدة تبرر

Usser Document 54, in vol 39 of the TMI (p. 290 . 32. (٣٢)

احتلال إسرائيل لفلسطين ، وتعدياتها على دول الشرق الأوسط ، وابتزاز الولايات المتحدة ودول العالم ، بحيث لا يحق لأحد أن يحاسبها .

منذ أن قننت محاكمات نيورمبرج هذا الرقم ، تم استخدامه لخداع الرأى العام فى الإعلام المكتوب والمسموع ، فى الأدب والسينما ، وحتى فى الكتب المدرسية .

والرقم يعتمد على نصين ، الأول : لهويتل ، والثانى : لويسليسنى . وهذه صيغة النص الأول :

« فى أبريل ١٩٤٤ ، أبلغت قضاة نيورمبرج بما حدث ، إذ التقيت بأدولف أيشمان ، الذي عرفته منذ ١٩٣٨ ، فى مكتب الأمن المركزى للرايخ . عرف أنه يعتبر من مجرمى الحرب ، بعد أن تسبب فى مقتل آلاف اليهود . سألته عن العدد الكلى ، فأجاب إن الرقم سر كبير ، ولكنه يعتقد حسب معلوماته أن الضحايا فى المعسكرات المختلفة حوالى أربعة ملايين ، وأن مليونين آخرين ماتوا بوسائل أخرى [٣٤].

والنص الثانى كان كالتالى : « قال ايشمان إنه سيذهب إلى قبره ضاحكا سعيدا بأنه قتل خمسة ملايين يهودى ».

وعن هذين النصين ، قال م . بولياكوف نفسه : « هذا رقم لا يوجد دليل على صحته ولابد من التشكيك فيه »[٣٥].

دعنا نوضح أن الشهادة الأوثق ، الأكثر دقة هى التى قدمها هوت ، ضابط المخابرات الذى قيل عنه فى مجلة ويك إند البريطانية : إنه « وإن كان صديقا لزعماء النازية ، فمديره كان ضابط مخابرات بريطانى » .

وقد حدث الكثير من التجاوزات لقوانين المحاكمات الاعتيادية فى نيورمبرج . وسنقدم منها الأمثلة التالية :

– لم يتم التحقق من صدق أية وثيقة .

(٣٤) Nuremberg Trail, vol iv, p . 657

(٣٥) Revue d'histoire de la Seconde Guere Mondiale . October 1956 .

– لم يتم التحقق من قيمة أية شهادة والظروف التى أدت إليها .

– لم يتم فحص الأسلحة التى ارتكبت بها الجرائم للتأكد من عملها ونتائجها .

١ – النصوص

النصوص الأساسية هى تلك الأوامر التى قدمها هتلر ، وجورنج وهايدرش ، وهملر .

أولاً : النص الذى قدمه هتلر : لا يوجد أى دليل على وجود هذا النص حتى الساعة . كما لا حظت أولجا ورمسر ميجوت :

وكما لا يوجد أى دليل على استخدام الغاز فى اشترش ، لا يوجد أمر بذلك . فى محاكمات نيورمبرج ، والمحاكمات اللاحقة لها لأفراد ، ومحاكمة هس فى كراكو ، ومحاكمة اشمان فى إسرائيل ، ومحاكمات القيادات ، أو محاكمة القياديين المختلفة ، وحتى محاكمة العاملين فى أوسترش ، جميع هذه المحاكمات لم تقدم الأمر الذى طلب به هتلر إفناء اليهود بالغاز (٣٦).

وقد اعترف د. كوبوفى « من مركز تل أبيب للمستندات » عام ١٩٦٠ :

لا يوجد أى نص وقع عليه هتلر ، هملر ، أو هايدرتش بإفناء اليهود . كلمة إفناء لا تظهر فى رسالة من جورنج إلى هايدرتش تتعلق بالحل الحاسم للمشكلة اليهودية » (٣٧).

بعد إتمام مؤتمر فى السوربون بباريس فى فبراير عام ١٩٧٩ لانتقاد أعمال المشككين فى حقيقة محرقة اليهود ، اعترف ريموند آرون وجاك فيورت فى لقاء صحفى بعد المؤتمر أن :« البحث المضنى حتى الساعة لم يوصلنا للأمر الذى قدمه هتلر بإفناء اليهود » وفى عام ١٩٨١ اعترف لاكور : « لم نعثر حتى الساعة على الأمر

(٣٦) Olga Wurnser-Migot, " Le Systeme Concentrationaire Nazi " P U F 1968, 544 and P .

(٣٧) Lucy Dawidowiez, " The War Agaist the Jews " (1975) p. 121

الذى قدمه هتلر لتدمير المجتمع اليهودى فى أوربا ، ومن الممكن ألا يكون الأمر قد صدر البتة »(٣٨).

وقد أصدر مؤرخون آخرون – بتشجيع من فيدال ناكيت وليون بولياكوف – النص التالى ووقعوا عليه :

لا يجدر بنا أن نسأل أنفسنا كيف تمت جرائم مثل هذه . كانت ممكنة لأنها وقعت . وهذه هى النقطة الضرورية للبدء فى أى طرح للموضوع . هدفنا هو تذكير الناس بهذه الحقيقة . لا يوجد ولا يمكن أن يدور نقاش بشأن وجود غرف الغاز . لا يحق لنا أن نتساءل .

يجب ألا يفتح الموضوع ...

هناك موانع توقف البحث بهذا الشأن .

ومثل هذا النص بالفعل يصنع التاريخ . إذ يعتمد على حقائق لابد من تقبلها ولا يحق لأى باحث التساؤل بشأنها . أى نقاش بشأن ما قاله الحلفاء المنتصرون بعد انتصارهم فورا غير مسموح .

ولكن لابد للتاريخ ، إن احتُرمت علميته ، من البحث الدءوب ، والتساؤل بشأن الحقائق مرة تلو أخرى . المثال التالى معروف .

قررت مؤسسة أوسترش الدولية فى نوفمبر عام ١٩٩٠ تغيير اللوحة القائلة أربعة ملايين قتيل ، بأخرى كتب عليها : أكثر من مليون قتيل ، ولكن د. موريس جولدشتاتين رئيس هذه اللجنة ، رفض الاقتراح (٣٩).

فى الواقع ، فإن د. جولدشتاين لم يود التغيير لأنه أدرك أن الأرقام المذكورة ستقل أكثر مع مرور الوقت . والنص الذى كتب حتى عام ١٩٩٤ ذكر : « هنا ، منذ عام ١٩٤٠ – ١٩٤٥ عذب وقتل أربعة ملايين رجل وامرأة وطفل من قبل قتلة هتلر » وبسبب نشاطات العلماء متعددى الجنسيات ، ويرأسهم المؤرخ العريق والدسلو

(٣٨) Walter Laqueur : " The Terrible Secret", Frankfort on the Main. Berlin. 1981 . P. 190 .

(٣٩) " Le Soir " , Brussels, 19 - 29 th Oct . 1991, p.16

بارتوزسكى ، تم استبدال اللوحة بأخرى أقرب للحقيقة : هذا المكان ، الذى قتل به النازيون مليون ونصف مليون رجل وامراة وطفل ، أغلبهم من اليهود من دول أوربية مختلفة عسى أن يبقى صرخة يأس وتحذير للإنسانية »[٤٠].

وهذا المثال يوضح أن التاريخ ، إن ابتعد عن الكراهية ، يتطلب مراجعة دائمة . وإن لم تتم المراجعة ، لتحول التاريخ إلى دعاية إعلامية .

دعنا إذًا نعود للتاريخ الحقيقى ، من النوع الذى يستند إلى المراجعة ، أى تحليل النصوص ، مقارنة الشهادات ، وكلمات المختصين بشأن الأسلحة :

أولا : هناك النص الموجود فى برنامج الحزب الاشتراكى الوطنى الألمانى بشأن اليهود . وهو يتكون من عدة نقاط ، منها التالية : « فقط المواطنون من ذوى الدم الألمانى تحق لهم المواطنة ، بغض النظر عن الدين . ولذلك لا يحق لليهود المواطنة ».

ثم هناك النقطة الخامسة :« من لا يملك الجنسية الألمانية يستطيع الحياة فى ألمانيا كضيف ، ويتوجب عليه التعامل مع السلطات المختصة بشأن الإقامات للأجانب ». .

ثم تطرح النقطة السابعة قضية منع الإقامة لمن ليست لديهم الجنسية الألمانية ، والنقطة الثامنة تطلب إيقاف هجرة من ليسوا من الألمان ، وكذلك فكرة تهجير من جاءوا إلى البلاد منذ ١٩١٤ . وهذه النقطة موجهة لليهود الذين هاجروا من الشرق بعد الحرب العالمية الأولى .

النقطة الثالثة والعشرين تتعامل مع ذات القضية : فتدعو لمنع اليهود من العمل فى الإعلام ، وتؤكد أن الحزب يتصارع مع الروح « المادية » لليهود .

١ – أوامر هتلر للقضاء على اليهود : فى كتاب « تدمير اليهود فى أوربا » ، أكد راول هايلبرج فى الطبعة الأولى (١٩٦١) على وجود أمرين لقتل اليهود صدر أولهما عام ١٩٤١ ، والآخر فى وقت لاحق .

(٤٠) Luc Rosenveig" LE Monde " ,27 th January ١٩٩٥

ولكن فى ١٩٨٥ وفى الطبعة الثانية المنقحة من الكتاب ، اختفى كل ذكر لأوامر وقرارات هتلر بشأن « الحل الحاسم »[٤١].

فى الأجزاء المعادية للسامية من « كفاحى » ، طالب هتلر بنفى اليهود خارج ألمانيا ، ونحن سنبقى هنا فقط النصوص التى حوت المصطلح « الحل الحاسم » حتى نفهم معناه . وفى ٢٤ يونيو عام ١٩٤٠ بعد انتصار ألمانيا على فرنسا ، تحدث هايدرتش فى رسالة إلى ربينتروب ، وزير الاقتصاد ، بشأن حل حاسم لمشكلة الأرض التى سينقل إليها اليهود . وكان الحل هو مشروع مدغشقر ، الذى عنى خروج جميع اليهود من أوربا . وكان الحل ملائما لأوضاع أوربا التى سادتها ألمانيا . إذ لم يعد طرد اليهود من ألمانيا ذاتها كافيا ، بل تطلب الوضع إخراجهم من جميع أجزاء أوربا . وقد كان من الممكن تحقيق المشروع خلال أربعة أعوام ، وإن كانت تكاليفه باهظة .

سأل هايدرتش جورنج فى رسالة فى ٣١ يوليو ١٩٤١ : « هل يجدر به أن يطبق قوانين التعامل مع اليهود فى ألمانيا خارجها ، فى المناطق المحتلة من روسيا ، كذلك ؟ » الإجابة كانت فقط بنقل اليهود من مكان إلى آخر ، والتعامل مع الظروف الجديدة » الحل الحاسم » إذاً كان نقل اليهود إلى خارج أوربا عن طريق إبعادهم عنها شيئا فشيئا حتى يتم جمعهم فى نهاية المطاف فى موقع واحد (وهو ما دل عليه مشروع مدغشقر).

وفى نص تم توزيعه من مكتب هايدرتش ، « أبلغ الوزراء بضرورة جمع اليهود جميعا فى شرق أوربا ، بينما ينتظرون نقلهم إلى موقع بعيد مثل مدغشقر التى ستصير مقرا لهم بعد الحرب ».

وقد قال بولياكوف ، « سميت خطة نقل اليهود إلى مدغشقر « الحل الحاسم » للقضية اليهودية »[٤٢].

(٤١) The Revised Hilberg " Simon Wiesenthal, Annal 3. 1986 . P .294

(٤٢). Polilakov. " Le Proces de Jerusalem " Paris, 1963, p. 152

وقد ادعى البعض أن مصطلح « الحل الحاسم » كان رمزا للمعنى الحقيقى ، وهو قتل جميع اليهود فى أوربا (٤٣) . ولكن لا يوجد أى دليل على صحة هذه الفكرة . وليس هناك شك فى أن هدف المشروع كان لا إنسانيا ، ولكن لم يحو البتة فكرة تصفية اليهود عن طريق القتل الجماعى التى ادعاها محلفو نيورمبرج ، ومنهم روبرت مبنر الذى ادعى : أن « الأمر بتطبيق الحل الحاسم يعنى قتل جميع اليهود » . وقد احتج جورنج على ترجمة كلمة " Gesanmtlosung " ، التى عنت الحل العام ، إلى كلمة الحل الحاسم . ووافق المحامى جاكسون على هذا الاحتجاج وأعاد المعنى السليم .

وفى يونيو عام ١٩٤٠ ، بعث هملر إلى هتلر برسالة كان استنتاجها : « أتمنى أن نحل القضية اليهودية عن طريق تهجير اليهود إلى أفريقيا أو أى مستعمرة أخرى »(٤٤) . وقد أبلغ هتلر آبيتز ، سفيره فى باريس ، بأنه ينوى إخراج اليهود من أوربا بعد الحرب (٤٥) . وإن اعترف القاضى جاكسون بحقيقة هذه النصوص فى المحاكمة ، إلا أن الإعلام لم يتحدث بشأن هذه المعلومات التى تفند نظرية القتل المتعمد لليهود من قبل النازيين .

نص وانسى (٢٠ يناير ١٩٤٢)

« فى أثناء البحث عن الحل الحاسم للمشكلة اليهودية ، كان لابد من نقل اليهود شرقا واستخدام قدراتهم فى العمل . سيتم فصلهم حسب الجنس ونقل القادرين على العمل إلى أماكن حيث ينشئون الطرقات ، وسيفنى الكثيرون منهم فى العمل الشاق حسب قانون الطبيعة « البقاء للأصلح » .

أما الباقون فهم بذرة سيتكون منها جنس يهودى جديد أفضل ، كما أثبتت تجارب التاريخ . يقول المؤرخ البريطانى ديفيد أرفنج : « لا توجد فى نصوص

(٤٣) Gerald Reitlinger. " La Soulution Finale"P . 19

(٤٤) Vierteljaheshestie, 1975, 197

(٤٥) Documents on German Foreign Policy " 1918 - 1945 . Series D. VOIX P . 484 .

المحاكمات المختلفة للنازية بعد سقوطها أى أدلة على أن قرار التخلص من اليهود اتخذ فى وانسى » .

انعقد مؤتمر وانسى فى برلين فى ٢٠ يناير عام ١٩٤٢ ، وحضره وزراء دولة معنيون بالمشكلة اليهودية ، والرؤساء لأجهزة معنية بتطبيق سياسات بهذا الشأن . ولا يوجد فى النص الختامى للمؤتمر أى ذكر لغرف الغازات أو القتل ، بل فقط أمر نقل اليهود إلى أوربا الشرقية .

وبعد أن ادعى المؤرخون لنصف قرن أن أوامر القتل ضد اليهود الأوربيين قد صدرت فى مؤتمر وانسى الذى عقد فى ٢٠ يناير ١٩٤٢ ، تمت مراجعة التاريخ وظهرت الحقائق . فى عام ١٩٩٢ كتب يهودا باور فى « الأخبار اليهودية الكندية » عدد ٣٠ يناير أن تفسير ما حدث فى وانسى كان « سخيفا » . وحتى أشد المدافعين عن نظرية سعى هتلر لفناء اليهود ، الكيميائى كلود بريساك ، أكد على ضرورة إعادة النظر فى هذا الشأن . فى صفحة ٣٥ من كتابه " Les Crematories d'Auschwiz " يقول :

وإن تحدث الأعضاء عن ترحيل اليهود إلى الشرق ، وتم بحث فكرة التخلص منهم عن طريق العمل المضنى ، إلا أن أحدا لم يذكر فكرة التصفية بطريقة كيماوية صناعية . خلال أيام وأسابيع تالية ، لم تصل إلى أوشوتز أية رسالة أو برقية أو مكالمة مطالبة بإنشاء أى مبنى لإنجاز هذا الغرض . « كان الهدف هو نقل اليهود ، لا تصفيتهم » .

ومن الغريب كذلك أن هذا الكتاب الذى يسعى لإثبات سعى النازيين لتصفية اليهود ، لم يذكر الرسالة المعروفة التى كتبها جورنج إلى هايدرتش فى ٣١ يوليو عام ١٩٤١ ، حيث أكد أن الحل الحاسم يعنى « التصفية » ، لا النقل من أوربا .

والنص الوحيد الموجود الذى يأمر بالقتل صدر فى ظروف خاصة . فبعد أن احتلت القوات الألمانية موسكو ، قامت وحدات المقاومة بالتسلل إلى الصفوف الخلفية لهذه القوات ، ودمرت مخازن وقودها ، وأساليب الاتصالات وماليها من ذخيرة ومعدات ، بحيث قطعت حلقات الوصل بين المراكز الألمانية المختلفة . وقد كان أسلوب

المقاومة هذا فعالا لدرجة أن هتلر قدم أوامره بقتل جميع قواد هذه الحركات . وبين هؤلاء القواد ، كان هناك أعداد كبيرة من اليهود الذين واجهوا الموت بشجاعة .

أما الأمر بقتل اليهود جميعا ، فلم يقدم أبدا ، ولا وجود له بين المخطوطات الكثيرة المتوفرة .

أما إن اعتمدنا على أفضل المصادر وأهم الإحصائيات ، مثل كتاب راول هلبرج ، « تدمير يهود أوربا » ، فالعدد هو مليون قتيل فى أوسوتيش . والرقم يتفق عليه الدارسون ، إذ أن الاتفاق الآن هو على أن عدد الضحايا يتراوح بين ٩٥٠٠٠٠ ومليون ومئتا ألف (٤٦) .

وهذه الإجابة الجديدة تتناسب مع دليل لم يستطع دعاة نظرية « سياسات القتل النازى الجمعى لليهود » تجاهلها . فخلال آخر عامين من الحرب ، بعد ستالينجراد ، كان هتلر يحارب معركة خاسرة . ما فتئ الحلفاء يقصفون مواقعه الصناعية بقنابلهم ويدمرون وسائل اتصالاته . وقد اضطر لإفراغ المصانع والدفع بعمالها إلى وطيس المعركة . ولماذا ، فى هذه الأوضاع ، يفكر فى قتل السجناء واليهود ، بدلا من استخدامهم فى هذه المواقع حيث كان يحتاج لهم ؟ بولياكوف ذاته ، فى كتاب Breviaire de la Haine ص ٣ يؤكد على هذا التناقض الغريب : « كان الأكثر اقتصادية هو استخدامهم فى الأعمال الشاقة ، عن طريق حبسهم بجوار مصانع مثلاً » . حنا أرندت كذلك لاحظت الجنون فى هذه العملية : « من الغريب أن ينفق النازيون تكاليف باهظة ، أثناء الحرب ، لإنشاء مصانع لقتل الناس وطرقًا لنقل ملايين الضحايا إليها . الفكرة ذاتها تبدو غير عملية لدرجة الجنون (٤٧) . والواقع هو أن مواقع احتجاز الجماعات حوت العديد من المنشآت الصناعية ، سواء الكيماوية فى استرش ، المواصلات فى سيمتر ، والتعمير فى بورتلاند (٤٨).

أكثرية المعسكرات مابين عامى ١٩٤٢ ، ١٩٤٤ استخدم المساجين فى العمالة ، وفى ١٩ موقعا كان غالبية العمال من اليهود . وقد كتب هملر رسالة إلى الضابط

(٤٦) Le Monde, 23 rd July 1990 .

(٤٧) Hannah arendt. " Le Systeme Totalitaire " Paris 1972 , P. 182 .

(٤٨) Genab Crimes in Poland, Warsaw 1964 . VOII P . 37

المسئول عن المخيمات قال فيها : « استعد لاستقبال ١٠٠٠٠ يهودى . خلال الأسابيع القادمة ، ستناط بكم أعمال لمصلحة الاقتصاد الألمانى يتم إنجازها فى المخيمات » .. وهتلر ذاته فى مايو عام ١٩٤٤ طلب استخدام ٢٠٠٠٠ يهودى فى مشاريع إعمار مختلفة . وهكذا تم استخدام اليهود فى العمالة : وذلك يضعف من مصداقيه نظرية التصفية لهم .

ومهما استمر العد التنازلى لأعداد الضحايا ، فالناس يستمرون فى القول إن هناك ستة ملايين ضحية من اليهود فى أوسترج .

ما قاله الشهود :

وقد حدثت محاكمة اسوتش فى فرانكفوت من ٢٦ ديسمبر ٢٠ إلى أغسطس ١٩٦٥ ، فى مسرح كبير دل على عملية سياسية استعراضية . وقد اعترفت السلطات القانونية بأن ما تملك من أدلة للوصول إلى الاستنتاج كان قليلا .

افتقدت المحكمة لجميع وسائل المعرفة المتاحة فى أية محاكمة لتصف الأحداث بشكل واقعى كما حدثت . أجساد الضحايا ماكانت موجودة ، ولذلك لم توجد تقارير طبية عن أسباب الوفاة ، ولم توجد أدلة تركها المذنبون ، أو أسلحة ، وأمكن التحقق من صحة الادعاءات أحيانا قليلة .

كان الاتهام هو استخدام غرف الغاز ، وإن لم يتم العثور على أى دليل يثبت صحته . ولكن الناس خشيت الحديث خوفا من أن يتم اتهامها بذات التهم الموجهة للمتهمين . أحد القضاة الذين تم إرسالهم من قبل الولايات المتحدة ، هو ستيفن س . بنتر ، كتب :

لقد عشت فى داشوا لمدة عام ونصف العام بعد الحرب كقاضٍ عسكرى ، وأشهد بعدم وجود غرف غازات فى دشوا . ما يشاهده الزوار ويتصورون أنه غرفة غاز فى الواقع عبارة عن فرن صناعى . قيل لنا إن هناك حجرة غاز فى أوسشوتس ، ولكن الموقع كان تابعا لروسيا ، ومُنعنا من زيارته . وأنا أشعر ، بعد أن عشت فى ألمانيا والنمسا لستة أعوام ، أن الكثير من اليهود قتلوا ،

ولكن العدد لم يصل البتة للمليون ، وأنا أكثر قدرة من غيرى على إصدار هذا الحكم(٤٩).

ونظراً لافتقاد أى دليل مكتوب ، اعتمدت محكمة نيورمبرج على شهادات شهود العيان ، وعليها استندت الأفلام والقصص اللاحقة . والناجون لم يعتمدوا على ما شاهدوه فى شهاداتهم ، بل على كلام سمعوه . ومثل معروف على ذلك هو د. بندت كوتسكى ، رئيس الحزب الديمقراطى الاشتراكى فى النمسا . فبعد التأكيد على أن الناس لم يبقوا على قيد الحياة فى أوسترش سوى ثلاثة شهور ، وإن عاش هو هناك ثلاثة أعوام ، قال عن غرف الغازات : « لم أشاهدها بنفسى ، ولكن الكثير ممن أثق بهم شاهدوها » . أما الشاهد الأهم لإثبات النظرية ، فهو رودولف هس ، المدير السابق لمعسكر أوستوتش . والوصف الذى يقدمه حين تم القبض عليه هو ذاته ما قاله فى المحكمة ، وهو ما أراد المحلفون الاستماع إليه . وهذا هو الوصف الذى يقدمه :

كنت مديرا لأوستوش حتى ١ ديسمبر ١٩٤٣ وأعتقد أن حوالى ربع مليون فرد أعدموا هناك بالغاز ، وأن حوالى نصف مليون آخرين ماتوا جوعا ومرضا ، مما يجعل عدد القتلى نحو ٣٠٠٠٠٠٠ ثلاثة ملايين فرد . « الحل الحاسم » للقضية اليهودية عنى قتل جميع يهود أوربا . وصلنى الأمر بالقضاء على جميع اليهود فى يونيو ١٩٤١ . وفى ذلك الوقت وجدت ثلاثة مخيمات قتل أخرى : وهى بلزيك ، تربلانكا ، ولزيك .

ولم يمكن أن تؤكد النظرية التى شاعت فى الإعلام لسنوات مقبلة بشكل أفضل .

ومع ذلك ، فالنص يحوى ثلاث مقولات تتناقض مع الحقيقة :

١ – عدد القتلى فى أستوتش ، وهو ثلاثة ملايين حسب هذا الادعاء ، تم تغييره فى عصرنا إلى مليون .

٢ – معسكرا بلزيك وتربلانكا لم يوجدا عام ١٩٤١ ، بل افتتحا عام ١٩٤٢ .

(٤٩) Letter by pinter to the Catholic Weekly, " Our Sunday Visitor " , June 14 th 1959 , P . 15

٣ - أما معسكر ولزيك ، فليس له وجود على الخريطة .

وكيف يمكن أن يؤخذ بصحة شهادة فيها أخطاء مثل هذه . وهس ذاته يؤكد أن اعترافاته الأولى كانت قسرية بعد أن اعتقلته السلطات البولونية . وهو يقول فى ص . ١٧٤ من مذكراته : « فى التحقيق الأول معى ، انتزعوا منى الاعترافات عن طريق الضرب . وأنا لا أعرف محتوى النص الذى أجبرت على توقيعه . والنص تكوّن من ثمانى صفحات لا تختلف كثيرا عما قاله لاحقا . وهو كذلك يصف فى أوراق مكتوبة بخط اليد ما حدث خلال التحقيق الأول معه من قبل السلطات البريطانية العسكرية :

تم القبض علىّ فى ١١ مارس ١٩٤٥ فى الساعة الواحدة مساء . عاملتنى الشرطة بقسوة . وأعادونى إلى ذات الموقع الذى أخرجونى منه منذ ثمانية شهور . وهناك حققوا معى ، واستخدموا وسائل قاسية مثل الجلد ، وأجبرونى على شرب الخمر . لا أعرف محتوى النص الذى وقّعت عليه . وبعد بضعة أيام ، ذهبوا بى إلى ميدان أون ذوسر ، وكانت أمورى هناك أكثر سوءا .

وفى عام ١٩٨٣ فقط تم إثبات حقيقة التعذيب الذى تعرض له رودلف هس حتى تتم صناعة الدليل على قتل مليونى ونصف مليون يهودى فى أوستوتش . والكتاب المعنى كتبه روبرت باتلر وعنوانه « أروقة الموت » . ويحوى شهادة برنارد كلارك الذى اعتقل هيس بعد معرفة مكانه عن طريق تهديد زوجته بقتلها وقتل أطفالهما . تم اعتقال هس فى مزرعة اختبأ فيها فى ١١ مارس ١٩٤٦ . وباتلر يؤكد أنهم استخدموا التعذيب لثلاثة أيام حتى انتزاع « اعتراف منطقى » من الرجل ، وقّع عليه فى ١٤ مارس ١٩٦٤ ، الساعة الثانية صباحا . وقد تم ضربه بقسوة حتى تدخل الطبيب المسئول ، وأكد أنه سيموت إن استمر هذا الوضع .

ومن الضرورى ملاحظة أن بتلر ورفيقه كلارك يبدوان سعداء تماما بممارسة التعذيب . وقد تكرر هذا الوضع فى دشوا ، التى زارها مجموعة قضاة للتحقيق فى سلوكيات المحكمة الأمريكية العسكرية ، التى حاكمت ١٥٠٠ سجين ألمانى ، وقتلت ٤٢٠ منهم . التحقيق أثبت أن المتهمين تعرضوا لجميع أنواع سوء المعاملة النفسية

والجسدية لإجبارهم على تقديم الاعتراف المطلوب . وقد تم ركل ١٣٧ سجينا ألمانيا من أصل ١٣٩ على أعضائهم التناسلية ، مما سبب لهم أذى شديدا (٥٠) .

محاكمة استرش

من المفيد معرفة مصير المتهم ، ريتشارد باير ، وهو القائد الأخير لأوسترتش ، الذى مات قبل بدء محاكمته . فقد تم اعتقاله فى ديسمبر ١٩٦٠ . بجوار هامبرج حيث عمل حارسا لغابة ، راعيا لها وقد توفى عام ١٩٦٣ فى ظروف غامضة .

والكثير من المصادر تؤكد أنه رفض طوال فترة سجنه الاعتراف بوجود غرفة غاز سام فى القسم الذى كان مسئولا عنه . التشريح للجثة أوضح إمكانية التسمم . المحامى ، إبرهارد إنجلهاردت يستشهد بفقرة من تقرير الطبيب الشرعى عن أسباب الوفاة فى رسالة تؤكد أن موكله تعرض للتسمم .

المثال الثانى : وهو تقرير جرشتاين ، الذى كان مبالغا فيه لدرجة أن المحكمة فى نيورمبرج رفضت تقبله . وإن تم استخدامه فى محاكمة اشمان فى القدس عام ١٩٦١ . وحسب هذه الشهادة ، فإن عدد الضحايا كان ستين ألف ضحية يوميا ، فى ثلاثة مخيمات : بلزيك ، تريلانكا ، وسوبيبور مما يجعل المجموع ٢٥٠٠٠٠٠٠ . بل وادعى الرجل أنه شاهد ما بين ٧٠٠ -- ٨٠٠ رجل يعيشون فى حجرة حجمها ٢٥ مترًا (نحو ٢٨ فردًا فى المتر) .

وحين قدم د . روكيس فى جامعة نانتيس دراسة تثبت أخطاء كثيرة فى تقرير جرشتاين ، حرم من الدكتوراه ، وإن كتب ألين دسو فى ١٣ ديسمبر ١٩٦٨ فى مجلة صباح باريس أن « جميع الدارسين للموضوع يحتاجون الاطلاع على هذه الدراسة » ، مؤكدا أن بروفيسر روكيسى هو « أفضل من يعرف هذا الموضوع » .

Interview With Judge Edward L. Van Roden in " the Progressive ", February 1949 . (٥٠)

أمثلة أخرى

أحد المتهمين الأساسيين ، سوكل ، أعلن في ٣٠ مايو ١٩٤٦ أمام محكمة نيورمبرج :

« أعترف بأن توقيعي موجود على هذه الوثيقة ، وأطلب السماح لي بتوضيح كيفية الحصول على التوقيع . قدمت الوثيقة كاملة لي وطلبتُ قراءتها لأعرف ما بسوقعه ورفض طلبي . ثم قال ضابط بولوني : « أين أسرة هذا الرجل ؟ سنأخذها إلى الحدود السوفيتية ، وسنبقيهم معنا . وأنا أب لعشرة أطفال ، وهكذا وقعت على هذه الورقة » .

شهادة الجنرال أوهلندورف تكشف الكثير . فمنذ صيف ١٩٤١ حتى صيف ١٩٤٢ كان مسئولا عن النشاطات السياسية والعسكرية في جنوب روسيا . في المحكمة ، قال إنه تلقى أوامر شفوية باستخدام عربات كبيرة من نوع خاص لقتل الناس : النساء والأطفال اليهود[(٥١)].

أما شهادة الجنرال أوهلندورف في المحاكمة الثانية (NMTCase 9) فتختلف تماما . فهو أولا أنكر شهادته الأولى بشأن الأمر الشفوي المتعلق بقتل اليهود . اعترف بأنه قتل اليهود والغجر ، ولكن فقط في حدود الصراع مع من قاوموا الألمان ، لا كخطة مدبرة ضد اليهود . وأقر أن عدد القتلى ٤٠٠٠٠ أربعون ألفا ، لا تسعون ألفا كما ادعى سابقا .

لم يناقش أحدٌ المؤرخين الذين طالبوا بإعادة فتح هذه الصفحة من التاريخ الأوربي . تلقى الناس أفكارهم بصمت ، في أفضل الأحوال ، وكبتوها في أسوئها . وقد كان الصمت هو ما لاقاه بول راسيني ، المؤرخ المعروف . أما في الولايات المتحدة ، فواجه الصمت والاضطهاد المهندس المتخصص بالغازات لوتشكر ، الذي قدم شهادة مهنية بشأن غرف الغازات في أوسترتش أثناء محاكمة أرنست زنذل في ترنتو . البروفيسور فوريسن طرد من وظيفته الجامعية في ليون ، وطارده القانون ، وتعرض لمحاولة اغتيال بطعنة سكين ، لأنه شكك في وجود غرف الغاز . وفي مارس ١٩٦٨ ،

(٥١) IMT vol 4 p. 311 - 355

تم اغتيال المؤرخ الفرنسي ، فرانسواز دوبرات ، لأنه نشر نصا شكك في أن أعداد القتلى بالفعل ستة ملايين . وفي ألمانيا ، تعرض القاضي ستاجليش للمضايقة لأنه انتقد النصوص والشهادات بشأن المخيمات ، مؤكدا الحقائق الدامغة في كتابه « أسطورة أوستوتش » (١٩٧٨) وقد سحبت منه شهادة الدكتوراه . أما المؤرخ باتز ، فمنعت كتاباته في كندا وألمانيا حين تناول هذا الموضوع بالبحث . وهذه الاتهامات الموجهة ضد الباحثين استندت إلى أسطورة وهمية ، وهي أن الدراسة بهذا الشأن تخفف من جرائم هتلر . واعتبروا التأكيد على حقيقة أن هتلر لم يهاجم اليهود فحسب ، بل تسبب في مقتل ملايين غيرهم ، نوعا من العنصرية . ونحن نكتب راجين أن يفتح النقاش بهذا الشأن بدون البحث في دوافع الكاتب وحياته الخاصة ، بدون شجبه مقدما . لا يمكن الاستعداد للمستقبل عن طريق الكراهية . لابد من معرفة الحقائق حتى ندرس الماضي ونتعلم من أخطائه ، في عصرنا ، حتى الساعة يكتب الكثير من الأدباء والمفكرين بدون تدقيق في الحقائق .

وقد ظهرت كتب كثيرة وأفلام لا حصر لها تتناول هذا الموضوع . وقد أعيد بث الأفلام التي تدافع عن وجهة النظر الشائعة . وكم مرة شاهدنا أفلاماً مثل : EXedus, Holocost, Shoah في التلفاز ، وكأن معاناة البعض كانت أعلى قيمة من معاناة الآخرين . فيلم لانزمان شوا يستمر لتسع ساعات ، نسمع خلالها كلمات مثل : لقد تم جمع ستة وسبعين شخصا في حجرة بمساحة ١٦ مترا . ومن يدفعون لإنتاج أفلام من هذا النوع كرماء للغاية . فمناحم بيجن اعتبر أن مشروع شوا يقع في صميم « المصلحة الوطنية لإسرائيل » وقدم له ثمانمائة وخمسين ألف دولار[٥٢] .

وقد أثر الفيلم "Holocaust" كثيرا على الرأي العام العالمي . والفيلم :

جريمة في حق التاريخ . والفكرة الأساسية هي أن حدثًا مثل قتل ستة ملايين يهودي لا يمكن أن يحدث بدون أن يلاحظه الألمان جميعا . وإن لم يعرف الألمان ، فذلك سببه هو أنهم لا يريدون أن يعرفوا وهم جميعا لذلك مذنبون متواطئون في الجريمة [٥٣].

(٥٢) Hewish Telegraph Agency June 20 th 1986 .

(٥٣) Liberation, March 7 th 1979

أما أهم الأعمال الأدبية فهو « مذكرات آن فرانك » . وهذه الرواية الجذابة تحتل مكان التاريخ . وقد ادعى المؤرخ البريطاني ديفد ارفنج في محكمة في تورنتو في ٢٦ أبريل عام ١٩٨٨ ما يلي بشأن النص :

وافق والد آن فرانك ، بعد مراسلات لعدة أعوام ، بالسماح لنا بفحص النص في المختبر ، كما يجب أن يحدث مع كل نص تاريخي .

وقد تم الاختبار في مختبرات وايزبادن ، وكان الاستنتاج أن أجزاء من النص كتبت بقلم لم يطرح في الأسواق حتى عام ١٩٥١ ، بينما ماتت آن فرانك عام ١٩٤٥ .

رأيي الشخصي هو أن غالبية مذكرات آن فرانك حقيقة ، كتبتها فتاة مراهقة محبوسة مختبئة ، وأن والدها حصل على المذكرات بعد وفاة ابنته المحزنة بالتيفوئيد في مخيم الاعتقال ، ثم تمت إضافة أجزاء أخرى لها حتى يمكن بيعها . والكتاب جلب الخير لناشريه ، وباتوا أثرياء ، ولكن النص بلا قيمة تاريخية حقيقية نتيجة للعبث به .

وسيلة ارتكاب الجريمة

كان من الضروري لمحكمة تتعامل مع جرائم حرب من استشارة بعض المختصين بشأن أسئلة مهمة ، على الأقل للتأكد من صدق الشهادات التي قدموها . أسئلة مثل : « كم من الوقت يتطلب استخدام غاز زيلكون ب ؟ وكيف تظهر آثاره ، وما هي هذه الآثار ؟ » .

« وما هي مدة بقائه مقفلا ، سواء أثناء الإقفال ، أو بعده ؟ »

« وهل يمكن ، كما ادعى المتهمون ، الدخول إلى المواقع بدون جهاز تنفس بعد نصف ساعة من استخدام الغاز ؟ ».

« هل يمكن إحراق الجثث تماما خلال عشرين دقيقة ؟ »

« وهل تعمل الأفران لمدة أربع وعشرين ساعة في اليوم بدون وقت لتبرد حتى تخف حرارتها » .

« هل يمكن إحراق الجثث في خنادق عميقة ، وكم من الوقت تستغرق هذه العملية ؟ »

حتى الساعة ، لا يوجد أي دليل قاطع على ارتكاب الجرائم التي كثرت الأقاويل حولها . سنقدم بعض الأمثلة :

« وجود حجرات غاز داخل سيارات خاصة » .

« أن الصابون تم إنتاجه من السمن الإنساني ».

وقد ظهرت قصة الحافلات التي خنق داخلها آلاف الأفراد بالغاز لأول مرة في مجلة نيويورك تايمز في ١٦ يوليو ١٩٤٣ . قبل ذلك ، شاعت القصة في الإعلام الروسي . ومرة أخرى ، لم يتم العثور على أي حافلة من هذا النوع . نلاحظ هنا أيضا أن خطة سرية قدمت لسواق آلاف الحافلات . لإبادة اليهود يصعب الحفاظ على سريتها ومرة أخرى ، تختفي آلاف الجثث ولا يمكن العثور على أي منها بطريقة سحرية . أما أسطورة الصابون البشري فمصدرها مقالات كتبها « ويسنتل » في مجلة يهودية في النمسا – الطريق الجديد – عام ١٩٤٦ . في مقالة بعنوان RIF كتب ما يلي :

الكلمات القبيحة : استخدموهم لصناعة الصابون سمعت لأول مرة عام ١٩٤٢ . وقد تم استخدام اليهود لصناعة الصابون منذ عام ١٩٤٢ ، وبهذه الطريقة قتل ما يقارب المليون منهم . وبعد أن يتم تقطيع الجثث للاستفادة من أجزائها المختلفة ، يستخدم السمنه لصناعة الصابون . وبعد١٩٤٢ ، عرف الألمان وحكومتهم معنى صابون RIF . وسعد الألمان وزوجاتهم لإدراك أن كل صابونة تحوي يهوديا كان يمكن أن يتحول إلى فرويد أو أينشتاين .

وقد ردّت أكثر من مؤسسة أن النازيين لم يستخدموا الجثث لصناعة الصابون . ومع ذلك شاعت القصة كثيراً .

يوجد نص ، إن نوقش بجدية ، لأنهى أسطورة غرف الغاز . وهو تقرير ليتشر (٨ أبريل ١٩٨٨) . والتقرير يقول إن غاز زلكون ب استخدم فى عدة سجون لتنقية الثياب والأجهزة التى قد تؤدى لنشر الأمراض المعدية ، خصوصا التيفود ، وكان مستخدما قبل الحرب العالمية الأولى .

أما غاز سايانايد ، فقد استخدم لأول مرة فى أريزونا للإعدام عام 1920 ، ثم استخدمته ولايات أخرى مثل كالفورنيا ، كولارادو ، ماريلاند ، مسسى ، وميزورى ، وغيرها .

وقد كان لوتشر كاتب التقرير مهندسا عمل كمستشار لسجون عدة ولايات . وأغلبها اليوم قد كفت عن استخدام هذا الأسلوب لأن متطلبات الغاز الأمنية مكلفة للغاية . وغاز زلكون ب يتطلب بعد استخدامه على الأقل عشر ساعات فى الهواء الطلق قبل أن يكون الموقع آمنا . ولابد أن تكون الحجرة التى يستخدم فيها محكمة الإغلاق . وبعد أن زار المؤلف عدة مواقع وفحص حجرات الغاز المزعومة فى استرش ، استنتج ما يلى :

> **الفحص لهذه المواقع يدل على أنها غير صالحة وخطرة جدا للقيام بعمليات قتل بالغاز . لا يدل إنشاؤها على أنها صنعت من أجل هذا الغرض . بل إن الموقع قريب من المستشفى ، وهناك خطوط مجارى عبره ، كانت ستسمح للغاز بالوصول للمبانى المجاورة . أما الموقع الثانى ، ماجدانك ، فيستحيل استخدامه لإنجاز هذا الغرض .**

يستنتج لوتشر أن الظروف الملائمة لاستخدام الغرف لقتل الأفراد بالغاز غير موجودة فى اوسترش . ومن فعل ذلك كان سيخاطر بحياة العاملين فى المكان والقريبين منه . بل إن المواد المطلوبة لإنتاج الغاز واستخدامه كان سيصعب إيصالها إلى الموقع .

يستنتج المؤلف بعد زيارة أوسترش وبر كيناو وماجدانيك أن هذه المواقع لم تحو غرف غاز (٥٤).

Written at Malden, Massachusetts, April 5 th 1988 . Fred Leutchter Jr. Chief Engineer ., (٥٤)

بل إن المحامية – كرستي – لاحظت خلال محاكمة تورنتو ، أن عددا كبيرا من الحقائق المذكورة في شهادات شهود العيان تعارضت مع الإمكانيات الواقعية لاستخدام المواد الكيماوية . وهى تقدم ثلاثة أمثلة :

١) قال رودلف هس ، في « قيادات استوش » ص . ١٩٨ ما يلى :« فتحنا الأبواب بعد نصف ساعة من نشر الغاز . ثم بدأنا بنقل الجثث . وكان ذلك جزءاً من عملنا اليومى ، ومارسناه بلا مبالاة . بل دخنا السجائر ونحن نجر الجثث » .

وإذا ، فهم لم يستخدموا الأقنعة الواقية ؟

ومن المعروف أن التعامل مع أجساد تعرضت لغاز زلكون بى ، خلال نصف ساعة بعد التعرض ، خطر جدا ، وأخطر منه تناول الطعام فى ذات الوقت ، يحتاج المرء لكشف المكان للهواء الطلق لمدة عشر ساعات قبل دخوله .

استخدمت كرستي النص PS 1553 حيث قال هلبرج إنه بعث بغاز زلكون ب إلى موقعين وهما أورناينبرج واسترش خلال اليوم . ولكن هلبرج أكد سابقا أن لا أحد تعرض للغاز فى أرناينبرج . وقد أوضح أيضا أسباب استخدام زلكون بى ، وبقيت آثار على استخدامه لمدة طويلة ، فى الحجرات التى تم بها تطهير الثياب . أما الحجرات التى استخدم الغاز فيها كما يدعون لقتل الناس ، فلا توجد فيها بقايا الغاز أو آثار على استخدامه . وهذا يدل على أن الغرف لم تكن أساسا غرف قتل بالغاز [٥٥].

وقد فحص ليوتشكر كذلك بعض المواقع التى قيل إنها استخدمت من قبل النازيين للتخلص من الجثث . والحفر ، كما يصفها دارسو الموضوع ، كانت بعمق ستة أقدام . والغريب أن الماء يبدأ بالظهور في هذه المواقع على عمق قدم ونصف . ومن الواضح استحالة إحراق الجثث أو وضعها فى قوالب أسمنت فى أعماق الماء . وسبب وجود الماء هو أن استرش بنيت أساسا على مستنقع ، مثل بركيناو ، ومع ذلك هناك صور عن هذه الخنادق التى دفنت بها الجثث حيث تم إحراقها .

وقد صدر عام ١٩٧٩ كتاب صور اسويش وبركناو التى التقطها الطيارون الأمريكان ونشره دينو براجيونى وروبرت بوارير بعنوان : The Hohocaust revisited وهو

(٥٥) . Leutcher Report 14 . 006

لا يحوى أى صور مما سمعنا من شهود عيان مثل بريساك الذى ذكر أن السماء اكتظت بالدخان حين تم قتل ٢٥٠٠٠ يهودى هنغارى كل يوم من مايو إلى أغسطس ١٩٤٤ . ولكن الصور التى التقطت خلال هذه الفترة لا تظهر هذا الدخان أو أى أدلة على نشاط غير اعتيادى .

ألبوم أوسترتش ، الذى يحوى ١٨٩ صورة فى معسكر بركانو فى ذات الفترة ، مرة أخرى لا يقدم أى دلالة على ارتكاب المجازر العامة . بل إن الصور تدل على أن أعمال القتل التى حدثت تمت فى مكان سرى فى المخيم [٥٦].

وحتى الآن ، تبقى الكثير من حقائق هذا الأمر بأجمعه غامضة ، ولابد من السماح بطرح الموضوع من جديد ومناقشته من قبل المختصين .

أسطورة المحرقة النازية

التصفية العرقية : وتعنى الإفناء المنظم لمجموعة عرقية عن طريق تصفية أفرادها .

إن التصفية العرقية – مثل الوعد الربانى المذكور فى التوراة – جزء من التبرير لقيام دولة إسرائيل[٥٧].

وقد تم استخدام مصطلح التصفية العرقية لوصف ما عاناه اليهود على يد النازية .

ولكن هل يمكن القول إن « التصفية العرقية » هو ما حل باليهود ؟ حتى إن اتفقنا مع هتلر ودولة إسرائيل على أن اليهود عرق بعينه ؟

وتطبيق مصطلح « التصفية العرقية » لا ينطبق إلا على احتلال يشوع لكنعان . فهو لم يترك أحدا على قيد الحياة فى المدن التى احتلها ، كما يؤكد العهد القديم . ليس هناك شك فى اضطهاد هتلر لليهود ، نظرا لإيمانه بعقيدة « عظمة الجنس الأبيض » . وخلطه بين اليهود والشيوعيين ، الذين عاداهم بشدة وعنف ، وقتل منهم

(٥٦) L / A lbum d'A uschwiz " Le Seuil . Paris. 1983 .

(٥٧) Tom Sergerv . Le Septrime million " Ed. Liana Levi. 1993 . P. 588

ثلاثة آلاف من الألمان ، وسجناء السلاف . وما إن كون الحزب الوطنى الاشتراكى ، حتى قرر طرد اليهود من ألمانيا ، ثم من أوربا حينما بات سيدا لها . وقد فعل ذلك بأسلوب لا إنسانى ، أولا عن طريق نفيهم ، ثم عن طريق حبسهم فى مخيمات ، وطردهم خارج الحدود . ثم فكر فى نفيهم إلى مدغشقر ، ثم إلى شرق أوربا ، خصوصا بولاندا ، حيث عمل السلاف ، اليهود ، والغجر فى الصناعات العسكرية القاسية ، التى حصدتهم أفواجا ، ثم أصابهم التيفود ، ونتج عن ذلك الجثث التى اكتظت بها المقابر الكبيرة . وماذا كانت نتيجة أفعال هتلر القاسية تجاه أعدائه ؟

مات خمسون مليون فرد خلال الحرب الثانية ، منهم سبعة عشر مليون روسى ، وتسعة ملايين ألمانى . دفعت بولندا ثمنا باهظا ، مثلها كمثل غيرها من الدول الأوربية المحتلة . هناك ضحايا حتى بين الجنود من إفريقيا وآسيا ممن لم يكن لهم صلة تذكر بالصراعات الأوربية .

لم يعاد هتلر اليهود فحسب ، كما ادعى حنا أرنديتز . بل كان معاديا للإنسانية جمعاء ، وإن طبقت خمس دول أوربية سياساته ضد « الملونين » . ذات ما فعله هتلر مورس ضد الهنود الحمر ، الذين قتل ٧٥٪ منهم (كذلك عن طريق العمل الإجبارى والمرض ، أكثر من المجازر) . وحدث ذات الشىء مع سكان إفريقيا ، الذين نقل الملايين منهم وبيعوا فى سوق النخاسة ، وقتل عشرة مقابل كل واحد تم استعباده . وهكذا ، فإن الحديث عن أفظع محرقة بشرية فى التاريخ غير صادق ، ويساعد المستعمر على تغطية جرائمه القاسية ، وكان ذلك أسلوبا ملائما لستالين لتغطية جرائمه البشعة ، قتل ٢٠٠٠٠٠ مدنى خلال ساعتين فى درسدن ، بلا أى هدف عسكرى لأن الجيش الألمانى كان يتقهقر أمام التقدم السريع للقوات السوفيتية التى وصلت إلى اودر فى يناير . والولايات المتحدة كذلك ألقت بالقنابل الذرية فوق هروشيما ونجازاكى ، مما تسبب فى مقتل ٢٠٠٠٠٠ شخص وجرح أو إعاقة مائة وخمسين ألفًا آخرين ، بلا داع . فإمبراطور اليابان ، هيروهيتو ، بدأ مفاوضات الاستسلام فى ٢١ مايو ١٩٤٥ مع الاتحاد السوفيتى من خلال سفير اليابان للشئون الخارجية . وقد عرفت واشنطن بحدوث هذه المفاوضات . الهدف من إسقاط القنابل كان سياسيا ، وهو تدمير القوة اليابانية قبل أن تتدخل روسيا . وهكذا وجد جميع قوات الدول المنتصرة أن وجود « محرقة » وقتل منظم على أساس عرقى سيبرر جرائمهم اللاإنسانية .

المؤرخ الأمريكي ، البرايت ، الذى كان مديرا للمدرسة الأمريكية للدراسات الشرقية برر جرائم القتل والتصفية العرقية التى مارسها جاشوا حين غزا أراضي كنعان ، ثم استطرد قائلا : « لا يحق للأمريكان محاسبة الإسرائيليين . فقد قتلنا آلافًا من الهنود الحمر وما أبقينا إلا على قلة قليلة منهم جمعناها فى أماكن بعينها [٥٨].

أما كلمة محرقة ، فبدأ استخدامها فى كتاب « الليلة » (1956) وشاعت بسبب استخدامها عنوانا لفيلم ، وتدل على التصميم على تحويل الجرائم التى ارتكبت بحق اليهود إلى حدث استثنائى لا يقارن بأى جريمة أخرى . التضحية اليهودية باتت ، حسب هذا التفكير ، مثل تضحية المسيح دلالة على بدء عهد جديد .. مما سمح لحبر بالقول : « إن تكوين الدولة العبرية كان إجابة الرب للمحرقة اليهودية » .

وهكذا بات لهذه المحرقة طبيعة مقدسة ، إذ تحوى :

- مجزرة تامة .
- تضحية ومعاناة شديدتين .

فكرة المجزرة التامة التى تؤدى لقتل جميع اليهود تبقى بلا أدلة علمية . معاداة هتلر للسامية ترتبط بحربه ضد الشيوعيين ، وأول مخيمات أنشأها كانت ضد الشيوعيين ، وقتل فيها الآلاف منهم . وقد اتهم هتلر اليهود باتهامين متعارضين : فهم أولا أكثر الشيوعيين نشاطا ، وهم كذلك رأسماليون يستغلون الشعوب . ولذلك قرر ، بعد إتمام تدميره للحزب الشيوعى فى ألمانيا والنمسا ، أن يدمر الاتحاد السوفيتى . كانت بداية النهاية لسلطة هتلر ، وفى روسيا ، استخدم وحدات خاصة من أجل القضاء على الشيوعيين الذين قاوموا قواته ، وقتل قياداتهم ، حتى إن كانوا أسرى حرب .

وقد سعى هتلر كذلك إلى طرد اليهود من أوربا إلى بلد أخرى . الأسلوب الأول كان السماح لهم بالهجرة ، مقابل ثمن . وقد ساعد الصهاينة هتلر فى هذا الجزء من مشروعه . أما الخطوة الثانية فكانت إخراج اليهود من أوربا ونقلهم إلى مدغشقر .

De l'age de Piere. ED. Payot, 1951. P. 205 (٥٨)

ولم يتم تنفيذ المشروع لأن ألمانيا لم تملك العدد الكافى من البواخر فى زمن الحرب . احتلال هتلر لبولندا سمح بتحقيق جزء من هذا المخطط الدموى . فنقل اليهود إلى معسكرات حيث أجبروا على العمل الشاق ، ومات غير القادرين منهم على إنجازه ، وتعرضوا للتجويع وعانوا الأمراض القاسية . وهل كان هناك حاجة إلى المبالغة فى أعداد الضحايا ، والعودة لتقليصها لاحقا ؟

مثلا، حين تحول عدد القتلى المذكورين على مدخل بركيناو واوستوتش من أربعة ملايين إلى مليون . أو حين تحولت القطعة الموجودة على مدخل حجرة الغاز فى داشاوا لتؤكد على أنها لم تعمل أبدا (٥٩). وفى عام ١٩٨٠ ، ولأول مرة ، شكك الصحفى المعروف ، بوآز افرون ، بالطبيعة الخاصة لمعاناة اليهود :

لابد أن يذهب كل زائر إلى ياد فاشم حتى يفهم طبيعة المشاعر والذنب الذى يجدر به المعاناة منه .

وإن تصورنا أن العالم يكرهنا ، فلا نحتاج لأن نحاسب على أفعالنا تجاهه .

العزلة من العالم وقوانينه ستؤدى ببعض اليهود إلى معاملة من هم من غير اليهود كجنس أقل شأنًا مما سيؤدى إلى العنصرية .

افرون يحذر من هذه النزعة للخلط بين عدوانية العرب ومعاداة النازيين للسامية (٦٠).

لابد أيضا من التفرقة بين غرف التطهير وغرف الغاز . فغرف التطهير تهدف للحد من انتشار الأمراض المعدية ، وهى موجودة فى باريس ولندن . وأن اعتبر الإعلام غرف التطهير غرف غاز فذلك للتأكيد على وجود المحرقة . فكل ما تم من بحث لم يعثر على أى ورقة تقدم أمرا باستخدام حجر الغاز ، أو تطلب إنشائها . وقد كتب المؤرخ مارتن بروسزات ، من مؤسسة التاريخ المعاصر : « لم يوجد فى داشوا ، أو فى برجن بلسن ، أو بوشنوالد ، أى غرف قتل فيها الأفراد بالغاز » .

(٥٩) Le Monde, July , 18 th 1990 P. 7

(٦٠) Boaz Evron, " le Genocide Un Danger Pour la Nation . " Iton 77 May June 1980 .

كتب جين جابريل كوهن ما يلي : دعنا نطالب بتكسير هذه الغرف التي يشاهدها السواح فيتصورون أنها غرف غاز ، وإن لم تكن كذلك ، كما نعلم الآن . وإلا فسنخاطر بألا يصدقنا الناس حين نتحدث عن أشياء حدثت بالفعل . »[٦١].

– أسطورة « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض »

« لا يوجد ما يسمى بالشعب الفلسطيني . لا تتصور أننا أتينا وطردناهم واحتللنا أرضهم . لم يوجدوا قبلنا » [٦٢].

العقيدة الصهيونية تعتمد على مبادئ بسيطة ، مذكورة في سفر التكوين : « وفي ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » . (٢٠ – ١٨ ، ١٥) .

بدون التساؤل عما يعنيه هذا الميثاق ، ولمن ، وهل كان بلا قيود ، يؤكد الصهاينة أن الله أعطاهم الأرض الفلسطينية .

الإحصائيات الإسرائيلية تدل على أن نسبة المتدينين في المجتمع ١٥٪ . ومع ذلك ، يدعي ٩٠٪ من سكان المجتمع الإسرائيلي أن الله – الذي لا يؤمنون به – قد قدم لهم هذه الأرض . وحتى الأحزاب المتدينة لا تجد سوى قلة تتبع عقائدها . وهذا التناقض يفسره المؤلف ناثان واينستوك إذ يقول في كتابه « الصهيونية ضد إسرائيل » . (١٩٩٩ ، ص . ٣١٥) .

إن كان الأحبار ينتصرون في إسرائيل ، فذلك بسبب أن الصهيونية تعتمد على ديانة موسى الموجودة في التوراة . إن ذهبت فكرة « الشعب المختار » و « الأرض الموعودة » لانهارت الصهيونية . لهذا السبب تأخذ الأحزاب اليمينية قوتها من الصهيونية العلمانية . البنية الداخلية لإسرائيل تفرض على حكامها تقوية الأحبار . الأحزاب الاشتراكية هي التي تدافع عن تعليم الدين في المدارس . وبما أن هذه الدولة تحيا لأن الرب وعد بوجودها

Liberation, March , 5 th 1979 , P. 4 (٦١)

Golda Meir, Statement to " THE " Sunday Times" 15 June 1969 . (٦٢)

وحمايتها ، لا يحق لأحد مساءلتها عن شرعية وجودها . هذه هى المسلمة التى قدمتها جولدا مائير[٦٣].

أما بيجن ، فقال فى أوسلو لمجلة ديفر ، فى ١٢ ديسمبر ١٩٧٨ : « هذه الأرض وعدنا بها الرب ، وهى حق لنا » .

بن جوريون ذكر بأن الأمريكان أبقوا الحدود مفتوحة مع الهنود الحمر حتى يتاح لهم التوسع إلى المحيط الهادئ . ثم استطرد قائلاً : « لا يهمنا الحفاظ على الوضع الراهن . لابد لنا من خلق دولة قادرة على التوسع » . والممارسات السياسية تتطابق تماما مع هذه النظرية . إذ تؤخذ الأرض عنوة ويطرد سكانها . وهكذا لايمكن تطبيق القوانين الدولية فى التعامل مع إسرائيل . بل فرضت على الأمم المتحدة من قبل الولايات المتحدة ، وعلى أساس ثلاثة شروط :

١) عدم المساس بالقدس .

٢) السماح للفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم .

٣) احترام الحدود التى حددتها قواعد التقسيم .

ولكن بن جوريون أعلن : أن إسرائيل ترفض الاعتراف بقرار الأمم المتحدة الصادر يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧[٦٤].

وقد أوضح موشى ديان أسباب هذا الرفض : « إعلان الاستقلال الأمريكى المعروف لا يحدد حدودا للدولة . لا يجدر بنا تحديد دولتنا[٦٥] .

والسياسات الإسرائيلية تتطابق مع قانون الغابات هذا : فالحكومة الإسرائيلية لم تحترم قوانين التقسيم ، مع أنها تدل على تحيز الغرب لصالحها. فعدد اليهود كان اثنين وثلاثين بالمائة من السكان ، وملكوا خمسة بالمائة من الأرض ، ومع ذلك سيطروا على ستة وخمسون بالمائة منها . الولايات المتحدة ساهمت بتطبيق هذه القوانين .

(٦٣) Le Monde , 15 October 1971 .

(٦٤) " New York Times " , 6 December 1953 .

(٦٥) Jerusalem Post 10 August 1967 .

قال ولسن ، المسئول فى وزارة الخارجية : « طلب رئيس الجمهورية منا الوصول للعدد المطلوب فى الأمم المتحدة بأى شكل من الأشكال . »[٦٦] أما وزير الدفاع آنذاك ، جمس فورستال ، فأكد : « أن أسلوب الضغط وكبت أصوات المعارضة اقترب من الفضيحة » [٦٧] تم استخدام شركات القطاع الخاص التى كان لها تعاقدات مع دول أعضاء فى الأمم المتحدة للتعامل مع دولها من أجل الوصول للقرار . وحين رفض العرب القرار استغلت إسرائيل الفرصة واحتلت أراضى جديدة مثل يافا ، وهكذا وفى عام ١٩٤٩ ، كان ٧٧٠٠٠٠ فلسطينى قد هجروا من ديارهم عن طريق الإرهاب . وأشهر مثل على هذا كان مجزرة دير ياسين التى قتل سكانها البالغ عددهم ٢٥٤ رجلا وفتاة وطفلاً .

فى كتاب « الثورة : تاريخ ارجون » أكد بيجن استحالة إنشاء إسرائيل بدون « انتصار » دير ياسين (ص ١٦٢) ثم استطرد : قامت الهاجانا بعدة هجمات على الجبهات . وهرب العرب صارخين : « دير ياسين » . وأى فلسطينى ترك أرضه قبل ١ أغسطس ١٩٤٨ اعتبر « غائبا .» وبهذه الطريقة تمت مصادرة سبعين ألف هكتار من أصل مائة وعشرة آلاف هكتار . وحين صدر قانون التعويضات ، حدد سعر الأرض بما كان عليه عام ١٩٥٠ ، وإن انخفض سعر العملة الإسرائيلية إلى خمس ماكان عليه قبل ذاك . وكذلك ، بما أن المجتمع الفلسطينى كان إقطاعيا ، فقد اشترى الإسرائيليون الكثير من الأراضى من الإقطاعيين « الأفندية » ، وتم تهجير الفلاحين الذين زرعوها منها .

وقد كتب مبعوث الأمم المتحدة ، الكونت فوك برنادوت ، فى تقريره الأول ما يلى : « لا يحق لإنسان منع هؤلاء الأبرياء من العودة إلى ديارهم . بينما تهطل مجموعات المهاجرين اليهود على فلسطين كالمطر . مما يهدد باستبدال سكان الأرض لقرون بسكان جدد » وهو يصف « العدوانية الصهيونية وتدمير الكثير من القرى بلا أى حاجة عسكرية لذلك » . وقد كتب برنادوت تقريره هذا فى ١٦ سبتمبر ١٩٤٨ . وفى اليوم التالى تم اغتياله فى الجزء الصهيونى من القدس .

(٦٦) . S Welles. We Need Not Fail " Boston , 1948, P. 63

(٦٧) . Forrestal's Memois, NY, Viking Press, 1951 . P. 363

وما كانت أول مرة يقتل فيها الصهاينة من يكشف خداعهم . فقد صرح لورد « موين » ، القائم بالأعمال البريطاني في القاهرة ، في ١٢ يونيو ١٩٤٢ في مجلس العموم البريطاني « إن اليهود في عصرنا ليسوا أحفادا لليهود القدماء ، ولا يحق لهم المطالبة بالأرض المقدسة » . وقد دعا إلى تحديد عدد المهاجرين من اليهود إلى فلسطين ، واعتبر « عدوا لدودا لاستقلال اليهود » . وقد تم اغتياله في القاهرة يوم ٦ نوفمبر من قبل عضوين من أعضاء عصابات شتيرن . وبعد أعوام ، في ٢ يوليو ١٩٧٤ : ذكرت مجلة « نجمة المساء » في أوكلاند أن جسدي اثنين من القتلة تم استبدالهما بعشرين سجينا عربيا حتى يتم دفنهما في المقبرة الخاصة بالأبطال في القدس . وقد نعت الحكومة البريطانية تقدير إسرائيل للقتلة واعتبارهم أبطالا .

وفي ٢٢ يوليو ١٩٦٤ تم تفجير الجناح الخاص بالقيادات البريطانية في القدس مما أدى لوفاة أكثر من مائة شخص - بينهم بريطانيون وعرب ويهود . وكان التنظيم المسئول عن الجريمة هو أرجون . واحتلت دولة إسرائيل مكان المستعمرين القدماء واستخدمت ذات الأساليب . فمثلا ، المساعدات المائية للزراعة لم تقدم بأسلوب المساواة ، بل تمت مساعدة الفلاحين اليهود . فما بين ١٩٤٨و ١٩٦٩ زاد حجم الأراضي المزروعة من قبل اليهود من ٢٠٠٠٠ هكتار إلى ١٦٤٠٠٠ . أما بالنسبة للعرب ، فالزيادة كانت من ٨٠٠ هكتار إلى ٤١٠٠ . وهكذا بات النظام العنصري الذي وجد في عصر الاستعمار البريطاني أشد سوءا . الدكتور روزنفيلد ، في كتابه « العمال المهاجرون العرب » الذي نشره في الجامعة العبرية في القدس عام ١٩٧٠، يلاحظ أن الزراعات العربية كانت أفضل حالا خلال الاستعمار البريطاني مما آلت إليه بعد ذلك .

العنصرية كذلك واضحة في سياسة الاسكان . رئيس مجموعة حقوق الإنسان في إسرائيل ، د . إسرائيل شاهاق ، وهو أستاذ في الجامعة العبرية في القدس ، يقول في كتابه « عنصرية دولة إسرائيل » : توجد مدن في إسرائيل لا يحق للعرب الدخول إليها . وهناك صلوات يهودية تم اقتراحها من قبل وزارة التربية في إسرائيل تدعو الله للانتقام من أمة القتلة الألمان . وهكذا نمت ثقافة معاداة الغير .

يقول إهود بريفر ، وهو ضابط مسئول عن التعليم في الجيش : « بعد الاستماع لخطب كاهانا تخيل عدد كبير من جنود اليهود مخططات كثيرة لقتل جميع العرب » - ويستطرد قائلا :

من المقلق تماما أن ما حدث في ألمانيا لليهود يستخدم لتبرير العنصرية اليهودية . من الضروري إذا التعامل مع قضية اضطهاد اليهود في ألمانيا ، ولكن كذلك مع مخاطر العنصرية في مجتمع يسعى للديمقراطية . الكثير من الجنود بدأوا يعتقدون أن القتل الذي عاناه اليهود على يد النازية الهتلرية يبرر أفعالا لا إنسانية يقومون بها.

وقد طرحت هذه القضية بوضوح قبل تكون دولة إسرائيل . فإن مدير « المؤسسة اليهودية الاقتصادية » ، يوسف ويتز ، كتب في عام ١٩٤٠ .

من الضروري التأكيد أن هذه البلد لن تكفي لشعبين . إن هجرها العرب ، ستكفينا . لابد لهم جميعا من الرحيل . لا يجب أن تبقى قرية واحدة ، قبيلة واحدة . لابد أن نشرح لزعماء الأمم الصديقة أن أرض إسرائيل ستكفينا إن تركها العرب ، خصوصا إن وصلت إلى حدود الليطاني شمالا ، وإلى هضاب الجولان شرقا .(٦٨)

وفي الجريدة الإسرائيلية المعروفة ، يديعوت أحرونوت ، في يوليو ١٤ ، ١٩٧٢ذكر - يورام بار بوراث - الهدف المنشود :

وظيفة القيادات الإسرائيلية هي أن تشرح للرأي العام ، بوضوح وشجاعة ، بعض الحقائق التي نسيناها مع مرور الوقت . الأولى هي عدم وجود صهيونية ، أو دولة يهودية ، بدون طرد العرب والاستيلاء على الأراضي .

وهكذا يصير المنطق الصهيوني واضحا : فكيف يمكن إنشاء دولة يهودية على أرض يسكنها شعب آخر ؟ وقد قدمت الصهيونية حلا وهو طرد الفلسطينيين وإنشاء المستوطنات في أراضيهم . وفي عهد وعد بلفور امتلك اليهود ٢,٥ ٪ من أرض فلسطين ، وخلال وقت التقسيم ٦,٥٪ وفي ١٩٨٢ امتلكوا ٩٣٪ .

(٦٨) . Yossef Weitz, " Journal " Tel Aviv, 1965

أما أساليب طرد الناس واحتلال أراضيهم فتتسم بالعنصرية . فى المرحلة الأولى استغل البارون ادوارد دى روشسكايلد العمالة الفلسطينية الرخيصة ، تماما كما استغل الفلاحة العربية فى الجزائر . وقد حدث تغير مع مجىء المهاجرين من روسيا بعد فشل ثورة ١٩٠٥ . فبدلا من الاستمرار فى الصراع من أجل تحسين الأوضاع فى بلادهم ، مع باقى الثوار الروس ، جلب الفارون معهم نوعا خاصا من الصهيونية الاشتراكية إلى فلسطين . خلقوا تجمعات فلاحية وهى « الكيبوتز » ، التى رفضت الفلاحين الفلسطينيين وخلقت اقتصادا يهوديا . وهكذا انتقلت فلسطين من الاستعمار التقليدى (الذى استغل العمالة العربية الرخيصة) إلى تكوين المستوطنات اليهودية . ومنذ هذه اللحظة بدأ مشروع استبدال شعب بآخر ، واحتلال أرضه . وكانت الخطوة الأولى تكوين « مؤسسة اقتصادية يهودية » عام ١٩٠١ ، التى أوضحت ما يميز المشروع الصهيونى من المشاريع الأخرى الاستعمارية : فالأراضى التى يشتريها الصهاينة لا تباع ولا تعاد ولا تعار لغير اليهود . وقد تم تقنين هذا الوضع فى الخمسينيات .

نظام آخر كان إبقاء قوانين الطوارئ ، التى استخدمها البريطانيون عام ١٩٤٥ ضد العرب . القانون ١٢٤ يعطى للقائد العسكرى للمنطقة الحق فى استخدام ذريعة « الأمان » بحيث يمنع المواطنين من التحرك . وهكذا يمنع الجيش الأفراد من دخول منطقة ، ويتم اعتبارها بعد عام « غير مزروعة » فتأخذها وزارة الزراعة لتزرعها . وحين بدأ البريطانيون باستخدام هذا النظام ، احتج المحامى برنارد جوزف عليه :

وهل بتنا جميعا ضحايا للاضطهاد الرسمى ؟ لايمكن أن يطمئن أى مواطن لعدم تعرضه للسجن بلا محاكمة . قدرة الدولة على طرد أى فرد بلا حدود . لا داع لأن يرتكب المواطن جريمة ، القرار يتم اتخاذه فى المكتب ويطبق بيسر .

وهذا المحامى ذاته برنارد جوزف ، حين بات وزير العدل الإسرائيلى ، طبق القانون ذاته ضد العرب .

وهكذا تحدث ج. شابيرا عن هذا القانون ، فى ذات المظاهرة فى ٧ فبراير ١٩٦٤ , فى تل أبيب [٦٩] : « لا يوجد نظام كهذا فى أى بلد متحضر . حتى ألمانيا النازية لم تستخدم قوانين كهذه » ولكن ج . شابيرا ذاته ، حين عين قاضيا فى الدولة الإسرائيلية ، طبق هذه القوانين التى احتج عليها ضد العرب . ومن أجل تبرير هذه الأوضاع المخيفة ، لم ترفع القوانين الاستثنائية منذ عام ١٩٤٨, وقد أعلن شمعون بيريز بصراحة فى جريدة « ديفر » فى ٢٥ يناير ١٩٧٢ : « أن استخدام قانون ١٢٥ ضرورى للصراع الإسرائيلى من أجل الاستيطان والهجرة ».

قانون ١٩٤٨ (الذى تم تعديله عام ١٩٤٩) عن استصلاح الأراضى يسعى لذات الهدف . إذ يتيح لوزير الزراعة مصادرة أى أراض خاوية هجرها العرب الخائفون ، كما حدث بعد مجازر دير ياسين وكفر قاسم (٢٩ أكتوبر ١٩٥٦) . الوحدة ١٠١ (التى خلقها موشى ديان وقادها آريل شارون) حررت بهذه الطريقة الكثير من الأراضى بعد أن طردت سكانها العرب وقدمتها لليهود .

أسلوب الاستيلاء على الأرض وصل لقمته مع قانون ٣٠ يونيو ١٩٤٨ الذى تعامل مع ملكيات الغائبين ، وقوانين مصادرة الأرض (١٣ مارس ١٩٥٣) وغيرها من القوانين التى قننت السرقة عن طريق إنشاء المستوطنات ، كما يوضح ناثان وينستوك فى كتابه : الصهيونية ضد إسرائيل :

من أجل مسح ذكرى وجود سكان فلاحين ولخلق مصداقية لأسطورة الأرض المهجورة تم تدمير القرى العربية – المنازل ، الحيطان ، وحتى المقابر . وفى ١٩٧٥ ، قدم بروفيسر إسرائيل شاحاق قائمة تحوى اسم ٣٨٥ قرية عربية تم تدميرها ومسحها تماما ، من أصل ٤٧٥ وجدت عام ١٩٤٨ .

ولإقناع العالم بأن فلسطين كانت صحراء قبل وجود إسرائيل ، تم تدمير مئات القرى ومسحها بالأرض [٧٠].

(٦٩) Haprakit, February 1046 , p. 58 - 64 .

(٧٠) Israel Shahak, " Racism and the State of Israel " , p. 152

وكانت النتيجة هى تهجير مليون ونصف مليون فلسطينى ، واعتبرت أراضيهم أراضٍ يهودية ، ملك اليهود ٦،٥٪ ٪ عام ١٩٤٧ ، ويملكون اليوم ٩٣ ٪ (٧٥ ٪ تملكها الدولة ، و ١٤ ٪ تملكها مجموعة الاقتصاد اليهودى (National Fund) .

ولذلك يصعب انتقاد قوانين الأمم المتحدة بشأن إسرائيل ، وخصوصا قانون العاشر من نوفمبر ١٩٧٥ (قرار ٣٣٧٩) الذى يعتبر الصهيونية نوعا من العنصرية والتفرقة » .

ولكن هذه القوانين العنصرية التى تساعد اليهود على الاستيطان ، لم تزد أعداد المهاجرين . والواقع هو أن أغلبية اليهود الذين يأتون إلى إسرائيل يفرون من معاداة السامية فى بلادهم . ففى ١٨٨٠ ، وجد ٢٥٠٠٠ يهودى فى فلسطين من أصل ٥٠٠٠٠٠ . فى عام ١٨٨٢ ، بدأت الهجرة بعد أن قنن القياصرة معاداة السامية . وهكذا انتقل إلى فلسطين حوالى ٥٠٠٠٠ يهودى روسى بين عامى ١٩١٧ و ١٩٨٢ . وبين الحربين هاجر اليهود من بولندا والمغرب فرارا من الاضطهاد . ولكن العدد الأكبر جاء من ألمانيا بسبب معاداة هتلر لليهود ، التى نتج عنها مجىء ٤٠٠٠٠ منهم قبل عام ١٩٤٥ . وفى عام ١٩٤٧ ، عشية إنشاء الدولة الإسرائيلية ، كان عدد اليهود ٦٠٠٠٠٠ من تعداد كلى يبلغ ١٢٥٠٠٠٠ .

قبل حرب ١٩٤٨ ، عاش ٥٦٠٠٠٠ عربى فى الأراضى التى تحولت إلى إسرائيل . عام هاجر منهم ، وبسبب ازدياد أعداد السكان ، باتت أعدادهم ٤٥٠٠٠٠ فى أواخر عام ١٩٧٠ . وقد كشف تنظيم حقوق الإنسان الإسرائيلى أنه ، بين يونيو ١٩٦٧ و ١٥ نوفمبر ١٩٦٩ تم تفجير ٢٠٠٠ منزل بالديناميت من قبل السلطات الإسرائيلية فى الضفة الغربية .

حسب إحصاء ٣١ ديسمبر ١٩٢٢ ، البريطانى ، سكن فلسطين ٧٥٧٠٠٠ مواطن منهم ٦٦٣٠٠٠ عربى (٥٩٠٠٠٠ مسلم عربى ، و ٣٧٠٠٠ مسيحى عربى) و ٨٣٠٠٠ يهودى (أى ٨٨ ٪ عرب و ١١ ٪ يهود) . ومن الضرورى تذكر أن هذه الصحراء المزعومة كانت تصدر الحمضيات .

وقد زار أحد الصهاينة . وهو آشار جوينسبرج فلسطين عام ١٨٩١ ، وكتب باسم احاد حام واصفا ما يراه .

يتصور الناس أن فلسطين أرض صحراوية ، خاوية ، يستطيع أى فرد المجىء إليها وامتلاك ما يريده منها . ولكن الحقيقة مخالفة تماما . ففى أى جزء من هذه الأرض ، يصعب العثور على حقول غير مزروعة . الجزء الوحيد الفارغ هو الصحراء والأراضى المرتفعة التى يصعب زراعتها (٧١).

والواقع هو أن المزارعين الفلسطينيين صدروا ٣٠٠٠٠ طنا من القمح كل عام وأن مساحة الأراضى العربية المزروعة تضاعفت إلى ثلاثة أضعافها بين ١٩٢١ و ١٩٤٢، وأن الحقول التى زرع فيها البرتقال تزايدت أعدادها إلى سبعة أضعاف بين عامى ١٩٢١ و ١٩٤٧ ، الإنتاج الكلى تضاعف عشر مرات بين عامى ١٩٢٢ - ١٩٣٨ .

يتنبأ تقرير بيل ، الذى قدم إلى مجلس العموم البريطانى من وزير المستعمرات فى يوليو ١٩٣٧ ، مستندا إلى تزايد حقول البرتقال ، بأن الدول المصدرة ستكون كما يلى :

فلسطين ١٥٠٠٠٠٠

الولايات المتحدة ٧٠٠٠٠٠٠

إسبانيا ٥٠٠٠٠٠٠(٧٢).

وقد وصلت لجنة تحقيق تابعة للكونجرس الأمريكى للاستنتاجات التالية بشأن الأوضاع السكانية فى الضفة الغربية :

مالا يقل عن ٢٠٠٠٠٠ إسرائيلى يسكنون الآن فى الأراضى المحتلة (شاملة هضبة الجولان والقدس الشرقية) ، وهم تقريبا ١٣ ٪ من السكان . حوالى ٩٠٠٠٠ منهم يعيشون فى ١٥٠ مستوطنة فى الضفة الغربية ، التى تملك

(٧١) Ahad Ha'am. Complete Works (In Hebrew) . Tel Aviv . Devir Publ. House and Jerusale . The Hebrew Publishing House 8 th edition P. 23 (Tel Aviv)

(٧٢) Peel Report " , chapter 8, 19 , p. 214

السلطة الإسرائيلية نصفها . أما في القدس الشرقية والضواحي العربية المحيطة بها ، فحوالي ١٢٠٠٠ إسرائيلي استوطنوا في ١٢ منطقة ، في غزة ، حيث صادرت الدولة اليهودية ٣٠ ٪ من الأرض ، يعيش ٣٠٠٠ اسرائيلي في ١٥ مستوطنة . في الجولان ، هناك ١٢٠٠٠ فرد في حوالي ٣٠ موقع (٧٣) .

وقد ذكرت جريدة إسرائيل الأولى ، يديعوت أحرونوت ، مايلي :

تتزايد النشاطات الاستيطانية بحدة عما شاهدناه منذ السبعينات . وزير الإسكان والتعمير أريل شارون مشغول بإنشاء المزيد من المستوطنات ، تطوير الموجود منها ، إنشاء الطرق وإعداد دروب جديدة (٧٤) .

ولا يمكن أن ننسى أن شارون هو القائد الإسرائيلي الذى أمر بغزو لبنان . وقد قام بتسليح الكتائب التى طبقت « البرامج » فى مخيمات فلسطينية مثل صبرا وشاتيلا وقد تورط شارون فى هذه القضية ، واعترف بهذا التورط المحقق الإسرائيلى الذى حقق فى المجزرة . أما الاعتناء بهذا المستوطنات اليهودية فى المناطق المحتلة وحمايتها من قبل الجيش الإسرائيلى وتسليح المستوطنين ، فتجعل أى استقلال حقيقى للفلسطينيين وأى سلام من المستحيلات طالما بقى الاحتلال قائما .

ولكن النشاط الاستيطانى يتركز فى القدس ويهدف إلى منع تطبيق أى قرار بإعادتها (وإن شجبت الولايات المتحدة ، والأمم المتحدة ، احتلال القدس) . النشاط الاستيطانى عموما مخالفة فاضحة للقوانين الدولية ، وخصوصا قوانين مؤتمر جنيف ١٩٤٩ ، الذى يؤكد الفصل التاسع والأربعون منه على أن « أى قوة محتلة لا يحق لها نقل سكانها إلى المنطقة القابعة تحت الاحتلال » . وحتى هتلر لم يخالف هذا القانون الدولى ، إذ لم ينقل الألمان للاستيطان فى أراض تم إفراغها من سكانها الأصليين ، أما العذر ، وهو « الأمن » فمثله مثل الإرهاب ، غير مقنع . الإحصائيات بهذا الشأن تبلغنا بالكثير : ١١١٦ فلسطينيا قد تم قتلهم خلال الانتفاضة ، فى ٩ ديسمبر ١٩٨٧ ،

(٧٣) . Le Monde , 18 April 1993

(٧٤) . Le Monde, April 8 , 1993

عن طريق إطلاق الجنود أو المستوطنين النار عليهم . بين الضحايا هناك ٢٣٣ طفلا وصبيا تقل أعمارهم عن سبعة عشر عاما . أما الجرحى ، فأعدادهم حوالى ٢٠٠٠٠ حسب المصادر الإسرائيلية و ٩٠٠٠ حسب مصادر فلسطينية . وقد قتل من الجانب الإسرائيلي حوالى ٣٣ جنديا و ٤٠ مدنيا ، غالبهم من المستوطنين . أما عدد المعتقلين من الفلسطينيين ، فحوالى خمسة عشر ألف فرد .

وقد توفى ١٢ فلسطينيا فى غياهب السجون الإسرائيلية ، بعضهم فى ظروف غامضة . منظمة بيتسالم الإنسانية الإسرائيلية تؤكد أن ٢٠٠٠٠ معتقل يتم تعذيبهم كل عام خلال التحقيق فى المعتقلات العسكرية [٧٥].

ومن المحزن أن الكثير من الإسرائيليين واليهود عموما فى عصرنا باتوا يبررون هذه الممارسات . وكأن إسرائيل باتت العجل الذهبى الذى يعبدونه فى هذا العصر .

Le Monde 12 September, 1993 . 118 (75)

مجموعة الضغط الإسرائيلية – الصهيونية فى الولايات المتحدة :

تأثير رئيس وزراء إسرائيل على السياسة الخارجية للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط يفوق تأثيره فى بلده(١) .

وكيف أدت هذه الأساطير لإيمان الملايين من الأفراد الطيبيين ؟ عن طريق خلق « أجهزة اجتماعية ضاغطة » تستطيع التأثير على سلوك السياسيين وتوجيه الرأى العام .

أساليب الفعل تتكيف مع الدولة المعنية . فى الولايات المتحدة ، يعتبر « الصوت » الإسرائيلى عاملا مؤثرا فى الانتخابات (بسبب تغيب الكثيرين عن الاقتراع ، وغياب الفوارق بين الحزبين) . أحيانا كثيرة يعتمد المنتصر على فرق ٣٪ أو ٤٪ .

أكثر من ذلك ، الرأى العام متقلب ، يعتمد على « مظهر » المرشح ، وقدراته المادية . فى عام ١٩٨٨ ، تطلبت انتخابات مجلس الشيوخ للدعاية حوالى ٥٠٠٠٠٠٠٠ دولار(٢) .

وأكثر الجماعات الضاغطة قوة فى العاصمة الأمريكية هى American Israel Public Affairs Committee . وإن اعتبر بن جوريون أن واجب كل إسرائيلى هو الرحيل إلى إسرائيل والحياة فيها ، فهناك من اعتقد أن وظيفة اليهود الأمريكان ، وهى العمل لمصلحة إسرائيل فى الخارج ، أكثر أهمية(٣) .

(١) Paul Findley, " they Dare To Speak Out " p . 92

(٢) Alain Cotta, " Capitalism in all its States, " Ed Fayard 1991 .P 158

(٣) Melvin Wofsky ; We are one ! American Jewry and Israel " , New York , 1978 Pub. Ander Le Monde 12 September, 1993 . 118

وقد تم الاعتراف بإسرائيل وقبولها فى الأمم المتحدة بسبب ضغوط الجماعة الصهيونية . ولم يود أيزنهاور استفزاز الدول المصدرة للنفط ، واعتبره « مادة إستراتيجية وأحد أعظم مصادر الثروة فى تاريخ البشرية » . ولكن عوامل الانتخابات دفعته لتغيير رأيه ، وبقى هذا الوضع مع لاحقيه من الرؤساء . وعن موضوع تأثير وقوة الجماعات الصهيونية فى الانتخابات ، اعترف الرئيس ترومان فى عام ١٩٤٦ لمجموعة من الدبلوماسيين : « أحتاج للإجابة على أسئلة مئات الآلاف من الأفراد الذين يتوقعون نجاح الصهيونية . حيث إنه لا يوجد للعرب قوة ولا حول فى الانتخابات الأمريكية »[٤] . وقد صرح رئيس وزراء بريطانيا السابق ، كليمنت آتلى ، إن السياسات الأمريكية فى فلسطين يحددها الصوت الانتخابى اليهودى ، ومعونات اقتصادية تقدمها بضع شركات يهودية كبيرة [٥].

وإن كان آيزنهاور قد أوقف ، مع الروس ، العدوان الثلاثى على قناة السويس ، إلا أن عضو مجلس الشيوخ ، الرئيس اللاحق للولايات المتحدة ، كيندى ، لم يبد أى اهتمام بالموضوع . فى عام ١٩٥٨ . اتصلت الهيئات اليهودية به ، وقال مراسلها بصراحة : « إن قلت ما نريد قوله ، تعتمد علينا . وإن لم تفعل ، فلن نكون المجموعة الوحيدة التى ستدير ظهرها لك » ثم استطرد شارحا :« كانت فكرة أيزنهاور تجاه قناة السويس خاطئة ، بينما كانت فكرة ترومان عام ١٩٤٨ صائبة »[٦] . وقد اتبع كيندى هذه النصيحة عام ١٩٦٠ حين تم اختياره مرشحاً للحزب الديمقراطى . وبعد تعهداته أمام الشخصيات اليهودية الهامة فى نيويورك حصل على خمسمائة ألف دولار لحملته الانتخابية ، وعلى كلوتز كمستشار ، و ٨٠ ٪ من الصوت اليهودى [٧]. وقد صرح كيندى لبن جوريون فى لقائهما الأول فى فندق استوريا والدورف فى ربيع

William Eddy, F. P. Roosevelt and Ibn Saoud, N.Y. " American Friends in the Middle East,1954 p. 31 (٤)

Clement Atlee, A Prime Minister Remembers" , Heinnmann, London 1961 , P . 181 (٥)

Melvin Wofeky, " We are One " p . 265 - 266 . (٦)

Ibidem , P. 271 to 280 (٧)

١٩٦١ : أصبحت رئيسًا بسبب أصوات اليهود الأمريكان . أبلغنى بما أستطيع أن أفعله للشعب اليهودى »[٨].

وبعد كيندى سار لندن جونسن على ذات الدرب . إذ كتب دبلوماسى إسرائيلى : « فقدنا صديقًا جيداً . ولكن عثرنا على صديق أفضل . فجونسون صديق مخلص لإسرائيل فى البيت الأبيض » [٩] . وقد أيد جونسون إسرائيل خلال حرب الستة أيام عام ١٩٦٧ . ومنذ ذلك الحين شجع ٩٩ ٪ من اليهود فى أمريكا إسرائيل . فاليهود - مثلهم مثل بقية الشعوب ، يفضلون الوقوف إلى جانب المنتصر ، أو يجبرون على ذلك .

قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ ، فى نوفمبر ١٩٦٧ ، طلب من إسرائيل إخلاء الأراضى المحتلة وأعلن ديجول حصاراً عسكريًا على الأسلحة الموجهة إلى إسرائيل . والكونجرس الأمريكى فعل الشىء نفسه ، ولكن جونسن ألغى الحظر فى ديسمبر ، وبسبب ضغوط الصهاينة ، قدم طائرات الفانتوم إلى إسرائيل . نيكسون أيضا قدم ٢٥ طائرة فانتوم وأكثر من ٨٠ قاذفة صواريخ إلى الدولة العبرية .

وبعد وفاة الرئيس عبد الناصر فى ٨ سبتمبر ١٩٧٠ اقترح الرئيس السادات السلام مع إسرائيل . ولكن موشى ديان ، وزير الأمن ، رفض الفكرة ، بالرغم من آراء وزير الخارجية آبا ابان . وهكذا ، وفى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، بدأ السادات هجومه المعروف ، ودمر سمعتى جولدا مائير ، التى استقالت فى ١٠ أبريل ١٩٧٣ ، وموشى ديان . ومع ذلك ، قدمت مجموعات الضغط الإسرائيلية بليونى دولار من الأسلحة إلى إسرائيل أثناء الحرب [١٠] . بل إن الكثير من البنوك اليهودية تبرعت وأضيفت الأموال إلى المعونات الأمريكية [١١].

(٨) Edward Tivnan, " The Lobby: p. 56 .

(٩) I . L . Kenen, " Israel's Defenese Line ", Prometheus Book, 1981 . Pp. 66 - 67

(١٠) Neff, " Warriors of Jerusalem : (p. 217)

(١١) Bick, p. 65 .

ومن بين ٢١ تبرعوا بأكثر من ١٠٠٠٠٠ دولار إلى السنتر هيوبرت همفرى ، خمسة عشر كانوا يهوداً ، ومنهم جماعات اليهود فى هوليوود ، مثل واسرمان . وهم تبرعوا بأكثر من ٣٠ ٪ مما استلمه الحزب الديمقراطى من هبات [١٢].

أما جيمى كارتر ، فذهب إلى المعبد اليهودى فى نيو جرسى ، وقال : « أعبد ذات الرب مثلكم . ونحن نؤمن بذات الكتاب المقدس . ليس بقاء إسرائيل قضية سياسية ، بل أخلاقية » [١٣]. خلال هذه الفترة ، استطاع بيجن والأحزاب الدينية انتزاع السلطة من حزب العمال ، . وقد « اعتبر بيجن نفسه يهودياً أكثر منه إسرائيلياً »[١٤].

وفى نوفمبر ١٩٧٤ جاء ناحوم جولدمان ، مدير مجلس النواب اليهودى ، إلى واشنطن لرؤية الرئيس كارتر ، وقدم النصيحة الغريبة تماماً : « دمروا التجمعات الصهيونية فى الولايات المتحدة » [١٥] . جولدمان – الذى قدم حياته للصهيونية ولعب دورا أساسيا فى التجمع الصهيونى منذ زمن ترومان – قال إن هذا التجمع ضار ويعوق مسيرة السلام فى الشرق الأوسط . وقد كان بيجن رئيس وزراء إسرائيل وأراد جولدمان إضعافه ، حتى إن حدث ذلك عن طريق إضعاف القوة الصهيونية فى الولايات المتحدة. وبعد ستة أعوام تحدث سايرس فانس ، الذى حضر الاجتماع ، وقال إن « جولدمان طلب منا تدمير الصهيونية ولكننا أجبنا بأننا لا نملك القوة اللازمة بل قد يفتح ذلك الباب لمعاداة السامية » [١٦].

وقد شارك بيجن السلطة مع حزب العمال ، واختار موشى ديان لوزارة الخارجية بدلا من شمعون بيريز . ووافق اليهود الأمريكان على هذا الاختيار لشخصيات متطرفة التفكير ، بدلا من السعى وراء الاعتدال . ولكن رجال الأعمال ، بعد أن لاحظوا تأثير الأحبار على بيجن وخصوصا اهتمامه ب « القطاع الخاص » ، رحبوا

(١٢) Stephen D. Issaces, " Jews and American Politics " (N . Y . pub. Doubleday . 1974 . Chapter .

(١٣) Time : 21, June , 1976

(١٤) Sliver, " Begin : The Haunted Prophet " p. 164 .

(١٥) " Stem , " New York , 24 , April 1978

(١٦) " Interview which Cryus Vance by Edward Tivnan, " The : obby " , pub. Simon and Schuster, 1987, 1987 , p.123

باتفاقيات كامب ديفد . قدم بيجن سيناء ، ولكنه لم يقدم الضفة الغربية ، التى اعتبرها أرضا مقدسة [١٧]. وفى عام ١٩٦٧ وصل كارتر ل ٦٨ ٪ من الأصوات اليهودية . وفى عام ١٩٨٠ وصل إلى ٤٥ ٪ من هذه الأصوات ، بعد أن باع خلال هذه الفترة طائرات إف ١٥ إلى مصر وطائرات أواك إلى السعودية ، وإن أكد على أن هذه الطائرات لن تستخدم ضد إسرائيل بما أن الجيش الأمريكى تحكم فى النظام من الأرض . أما بيجن ، فبعد أن اطمأن إلى إخراج مصر من المعركة ، قام بتدمير محطة عراقية لإنتاج الطاقة النووية أنشاها الفرنسيون . ونظراً لقلة الاحتجاج ، قرر قصف ما قال إنه قواعد لمنظمة التحرير فى بيروت فى ١٧ يوليو ١٩٨١ . وقد استمر بيجن فى طموحه لتكوين إسرائيل الكبرى الأسطورية ، فأنشأ المزيد من المستوطنات فى الضفة الغربية ، والتى اعتبرها كارتر غير قانونية ، وعارضت قرارات الأمم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨ ولكن ريجان اعتبر أن إسرائيل ستقف ضد المد الشيوعى الذى خشى أن يهدد الخليج . وفى نوفمبر عام ١٩٨١ ، التقى وزيرا الشئون العسكرية ، كاسبر واينبرجر الأمريكى ، وآريل شارون ، الإسرائيلى ، للاتفاق على خطة بشأن إيقاف المد السوفيتى [١٨].

وفى ١٤ ديسمبر ، ضم بيجن الجولان ، واحتج ريجان على هذا الكسر لقرارات الأمم المتحدة فأجابه بيجن :« هل نحن جمهورية موز ؟ مجرد دولة تمتلكم ؟ » .

وفى العام التالى احتل بيجن لبنان . الجنرال هيج وافق على هذا الهجوم الذى هدف لخلق النزعات الطائفية فى لبنان . قلة من الأمريكان انتقدت هذا الاحتلال . ولكن مجازر صبرا وشاتيلا (التى تواطأ شارون وايتون مع مرتكبيها) أجبرت الجماعات اليهودية على الحديث . وهكذا انتقد مدير المجلس اليهودى العالمى ، هرتزبرج ، ومعه العديد من الأحبار ، بيجن فى أكتوبر ١٩٨٢ . وقد عاتب بيجن الحبر شايندلر لأنه انتقده فى التلفاز ، على أساس أنه « أمريكى أكثر منه يهودياً » واعتبره أحد معاونيه « خائناً » [١٩]. اليمين اليهودى فى أمريكا أكد أيضاً على تشجيعه

Stephen Issace : " Jews and American Policy " , Doublleday . 1974 D. 122 (١٧)

N.Y. Tmes ", 1 December 1981 . (١٨)

Michael Kremer, " American Jews and Israel. The Schism " , N.Y., 18 October 1982 (١٩)

للسياسات الإسرائيلية : « نؤكد أن ما يهمنا أكثر من الضفة الغربية هو قدرة إسرائيل على إيقاف المد الشيوعي .» وقد شجع الصهاينة المسيحيون العدوان الإسرائيلي ، وقدمت إسرائيل مكافأة لجيرى فالول ، الذى اعتبره بيجن « الممثل الشرعي لستين مليون مسيحي أمريكي » وقدرها مائة مليون دولار ، ومعها مائة وأربعون مليون دولار أخرى من التبرعات [٢٠]. القوة الاقتصادية ، ومعها القوة السياسية ، فى عالم يباع فيه ويشترى كل شىء ، باتت الأهم .

ومنذ عام ١٩٤٨ ، قدمت الولايات المتحدة لإسرائيل ٢٨ بليون دولار شملت المعاونات الاقتصادية والعسكرية [٢١]. ومما يسعد إسرائيل وجود تعويضات ضخمة تقدم من ألمانيا ، وتبرعات يهود الشتات ، مما يتيح لقيادات إسرائيل التفكر بشأن « إسرائيل العظمى » .

ولا يمكن تجاهل تأثير لجنة العلاقات العامة الإسرائيلية الأمريكية (AIPAC) التى ازدادت ميزانيتها من مليون وستمائة ألف دولار عام ١٩٨٢ إلى ٦٩٠٠٠٠٠ دولار عام ١٩٨٨)[٢٢] .

ولم يخف الصهاينة دور مجموعاتهم الضاغطة . قال بن جوريون : « حين يتحدث يهودى ، فى أمريكا أو فى جنوب أفريقيا ، مع آخر عن « حكومتنا » ، فهو يعنى الحكومة الإسرائيلية [٢٣] . وفى المؤتمر ال ٢٣ للمنظمة الصهيونية العالمية ، أكد أنه يجدر بكل يهودى فى العالم « التعاطف ومعاونة الدولة اليهودية بلا شروط ، حتى إن تعارض موقف كهذا مع سلطات الدول التى يسكنون فيها »[٢٤].

وهذا الخلط بين الديانة اليهودية والصهيونية السياسية الذى يشمل الالتزام بدولة إسرائيل (التى باتت عجلاً ذهبياً معبوداً) ، قد يؤدى إلى معاداة السامية .

(٢٠) Time, Power, Glory,k Poltics", 17 February 1986 .

(٢١) " Time : , June , 1994 .

(٢٢) Wall Street Journal, 24 June 1987

(٢٣) Rebirth and Destiny of Israel ", 1954 , p. 489

(٢٤) Ben Gurion :Tasks and Character of a Modem Zionist : , Jerusalem Post , 17 August195

وقد اضطرت الحكومة الأمريكية للاستجابة . ففى رسالة إلى « قنصلية اليهود الأمريكان » ، نشرت في مايو عام ١٩٦٤ ، قال وزير الدولة ، تالبوت ، إن الولايات المتحدة تعتبر إسرائيل دولة مستقلة ، « ولا تعترف بأى علاقة سياسية مبنية على أساس التعاطف الدينى . ولا توافق على أى نوع من التفرقة على أساس الدين » . ولذلك ، لا نعتبر أن « الشعب اليهودى » قضية يتعامل معها القانون الدولى » . ولكن هذا التذكير لم يؤد لأى فعل ضد التجمعات اليهودية فى أمريكا .

قصة بولارد تقدم مثالاً مهمًا : ففى نوفمبر ١٩٨٥ ، قبض على مدافع عن الصهيونية يعمل فى المركز الرئيسى للأسطول الأمريكى ، وهو جوناثان بولارد ، متلبسًا وهو يأخذ إلى منزله أوراقًا سرية . وحين حققت معه الشرطة ، اعترف بأنه استلم خمسة آلاف دولار منذ عام ١٩٨٤ مقابل إرسال مستندات إلى إسرائيل . وليست هذه القضية فردية . بل توضح مدى اعتماد اسرائيل على الولايات المتحدة حاليًا . وقد بدأ هذا الوضع عام ١٩٨١ حين قدمت الولايات المتحدة لإسرائيل كل ماطلبته من سلاح باسم الدفاع والأمن . وكانت أولى نتائج هذه الهبة غزو لبنان . مثل هذه التصرفات الأمريكية شجعت غطرسة إسرائيل . ومن المعروف أن علاقات مبنية على الاعتماد قد تؤدى للعدوانية والكراهية . فى وضع إسرائيل ، بدت مظاهر هذا الوضع عن طريق الهجوم على تونس ، أو قضية بولارد [٢٥].

وقد حاول الأمريكان اليهود لعقود إقناع الرأى العام الأمريكى أن دعمهم لإسرائيل لن يؤثر على إخلاصهم للولايات الأمريكية . والآن يبدو أنه من الصعوبة الثقة بهم بهذا الشأن .. ومن يتحدثون عن إخلاص مزدوج سيجدون من يستمع لهم . وليس من الصعوبة بمكان العثور على أمثلة حين نجح الضغط الصهيونى فى فرض سياسات ليس لواشنطن أى مصلحة منها . فمثلاً ، قام عضو مجلس الشيوخ ، السيد فولبرايت ، بجلب القيادات الصهيونية لمواجهة اللجنة الأمريكية المسئولة عن العلاقات الخارجية ، حتى يتم إلقاء بعض الضوء على النشاطات الخفية لهذه الجماعات . وقد

(٢٥) Washington Post " , 5 December 1985

لخص استنتاجاته فى برنامج « وجهًا لوجه مع الأمة » لقناة سى بى إس فى ٧ أكتوبر ١٩٧٣ : « يسيطر الإسرائيليون على السياسات فى الكونجرس والسنت » . ثم استطرد : « بل إن الكثير من أعضاء مجلس الشيوخ ، حوالى سبعين بالمائة منهم ، يتخذون القرارات بسبب ضغوط جماعات لا بسبب مبادئ يؤمنون بها » وخسر السيد ألبرايت مقعده فى مجلس الشيوخ فى الانتخابات اللاحقة .

وبعد هذا التحقيق ، وبالرغم من استنتاجاته ، زادت قوة جماعات الضغط الصهيونية . فى كتابه ، « هم يجرون على الحديث » الذى نشرته شركة لورنس هيل عام ١٩٨٥) قام بول فندلى ، الذى عمل فى مجلس الشيوخ ل ٢٢ عاما ، بوصف قوة جماعات الضغط الصهيونية ، قائلاً : إن ذلك الجزء من الحكومة الإسرائيلية يسيطر على الحكومة الأمريكية ووسائل الإعلام بل ويؤثر على الجامعات والكنائس .

وليس من الصعب العثور على أمثلة توضح أن طلبات الإسرائيليين تعمل ضد مصالح أمريكا . فى ٣ أكتوبر ، ١٩٨٤ ألغى مجلس النواب ، بموافقة ٩٨٪ من الأصوات كل تحديد للعلاقات التجارية بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، بالرغم من تقارير سلبية من وزارة التجارة واعتراض الاتحادات العمالية . وكل عام ، مهما زادت القيودالمفروضة على الميزانية ، ازدادت المساعدات لإسرائيل . أكثر التقارير سرية تصل إلى إسرائيل ، مما يعنى أن مستوى الجاسوسية مرتفع جدًا . وقد كتب أدلاى ستيفنسون (المرشح للرئاسة الأمريكية سابقًا) فى مجلة العلاقات الأجنبية عدد ٧٥ – ٧٦ : « يستحيل مناقشة أى شأن يتعلق بإسرائيل مهما بلغت سريته بدون معرفة الحكومة الإسرائيلية » (١٢٦) وبالرغم من رفض وزارة الدفاع ، المؤسس على القوانين الأمريكية ، لتقديم القنابل الانشطارية (التى يمكن استخدامها ضد المدنيين) ، لإسرائيل خلال الحرب اللبنانية ، إلا أن الإسرائيليين حصلوا عليها واستخدموها مرتين فى بيروت لحصد أرواح المدنيين .

وفى عام ١٩٧٣ شهد الأدميرال الأمريكى ثوماس مور : « طلب منا المسئول العسكرى الإسرائيلى فى السفارة الإسرائيلية طائرات تحمل صواريخ ثقيلة . فأجبناه :

« لا يوجد لدينا سوى القليل جداً منها ، ونحن بحاجة لها . الكونجرس لن يوافق » قال المسئول الإسرائيلى : « قدموها لنا . ونحن سنعرف كيف نتعامل مع الكونجرس » . ثم أكد الأدميرال أن الطائرات ذهبت إلى إسرائيل بالفعل . (ص ١٦١) .

فى يونيو ١٩٦٧ قصفت الطائرات الإسرائيلية الباخرة « الحرية » التى حملت أجهزة مراقبة دقيقة تماماً ، لمنعها من معرفة نوايا الهجوم على الجولان . مات ٣٤ بحاراً وجرح ١٧١ . وظلت الطائرات تحلق فوق الباخرة لست ساعات وتم قصفها لسبعين دقيقة . وقد اعتذرت الحكومة الإسرائيلية عن هذا الخطأ وانتهى الأمر . ولكن فى عام ١٩٨٠ اعتبر أحد شهود العيان للجنة تحقيق أن الهجوم جريمة قتل . الأدميرال ثوماس مور أوضح أن هذه الجريمة لم يتم الحديث عنها لأن الرئيس جونسن خشى رد فعل اليهود ، نظراً لتأثيرهم الانتخابى . « قال الأدميرال : سيجن جنون الشعب الأمريكى إن عرف حقيقة ما حدث » .

وفى عام ١٩٨٠ ، طلب ادلى ستيفنسن تخفيض ١٠٪ من المساعدات العسكرية إلى إسرائيل لإجبارهم على إيقاف إنشاء المستوطنات فى الأراضى المحتلة ، وذكر النص أن ٤٣٪ من المساعدات الأمريكية ذهبت لتسليح إسرائيل المكونة من ثلاثة ملايين شخص فحسب . وقال ستيفنسن كذلك : « إن رئيس وزراء إسرائيل يؤثر على سياسات الولايات الخارجية تجاه الشرق الأوسط أكثر مما يؤثر على بلاده » .

وجماعات الضغط الصهيونية تفعل كل شيء ، من الضغط الاقتصادى إلى الابتزاز ، من السيطرة على الإعلام إلى التهديد بالقتل .

يقول بول فندلى : « من يجرؤ على انتقاد سياسات إسرائيل يتوقع عقوبات مؤلمة وحتى حرمانه من العمل . الرئيس يخشى جماعات الضغط هذه ، ومجلس النواب خاضع لها ، والجامعات تخافها . وزعماء الإعلام وقواد الجيش يستسلمون لضغوطها[٢٦] .

(٢٦) Hearings, Part , 23 May, 1963.

جماعات الضغط الإسرائيلية الصهيونية فى فرنسا

جرؤ الجنرال ديجول فى فرنسا على القول التالى : « يوجد فى فرنسا جماعات ضغط إسرائيلية يبدو تأثيرها واضحًا فى الإعلام ».[٢٧] وقد أثار هذا القول عاصفة إعلامية آنذاك ، ولكنه كان تقييمًا صادقًا إلى حد بعيد . ومنذ ذلك الحين ، لم يوجد أى مرشح فرنسى للرئاسة لم يذهب إلى إسرائيل . وقوة الجماعات الضاغطة الصهيونية ، تجسدها مجموعة LICRA (التجمع ضد العنصرية ومعاداة السامية) التى تتحكم بالإعلام بحرية تامة . وإن لم تزد أعداد اليهود عن ٢٪ من السكان ، إلا أن الصهيونية تتحكم بمتخذى القرار فى الإعلام ، التلفاز والمذياع والصحافة ، الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية ، والسينما ، وحتى دور النشر ، وخير دليل على هذا الوضع هو تعاطف الإعلام مع إسرائيل ، لدرجة أن عنف الضعيف يسمى إرهابًا ، وعنف القوى يدعى : « الكفاح ضد الإرهاب .» مثلاً ، حين يُقتل رجل مقعد على سطح باخرة « اخيلو لاورو » تقوم وسائل الإعلام ولا تقعد . أما حين تنتقم إسرائيل عن طريق القصف لتونس وتقتل خمسين شخصًا يعتبر هذا دفاعًا عن « القانون والنظام » .

وأود الآن تقديم شهادتى الشخصية ، فحتى عام ١٩٨٢ ، كان لى حق الطباعة فى أهم دور النشر ، وإجراء المقابلات وإدارة الحوارات فى التلفاز ، الإذاعة ، والصحافة ، وحين حدث غزو لبنان ، نشرت صفحة كاملة (دفعت ثمنها) فى مجلة لموند ، عدد ١٧ يونيو ١٩٨٢ ، ومعى الأب مايكل ليلونج والقس ماثيوت ، درسنا فيها معنى هذا الغزو وقيمناه ، مؤكدين على أن طبع إسرائيل ومنطقها الصهيونى هو سبب هذه العدوانية . وقد تلقيت تسعة تهديدات بالقتل . ورفعت مجموعة LICRA ضدنا قضية « لمعاداتنا السامية والتحريض على العدوانية ضد اليهود .» وقد أكد محامينا أننا نفصل تمامًا بين العقائد اليهودية ، والدولة الإسرائيلية ، وأن الكثير من اليهود قد انتقدوا غزو إسرائيل للبنان . وأكدنا أن سياسات إسرائيل اللاإنسانية هى التى تؤدى بالكثيرين إلى معاداة اليهود ، ولذلك فإن تصارعنا مع الصهيونية إنما هو ضد معاداة

(٢٧) Philippe Alexandere . " Le Prejuge pro israelien, " 29 February , 1988

السامية . وقد ذكر المحلفين أن أحبار الدنيا بأسرها احتجوا على أفكار هرتزل إبان ظهورها . وأن الفلسطينيين اليوم إنما يحاربون غزواً لأرضهم تجسده المستوطنات الإسرائيلية .

وحين استمعت لمحامى LICRA يدعى معاداتى للسامية تذكرت وقوفى مع الوزير الإسرائيلى بارزيلى أمام حائط المبكى عام ١٩٧٠ وزيارتى لناعوم جولدمان (رئيس التجمع الدولى اليهودى) عام ١٩٦٧ . تذكرت أياماً قضيتها فى معسكرات النازى ، وأنا أعد المحاضرات لرفاقى المحبوسين معى ، بشأن « أنبياء إسرائيل » .

فى ١ يناير ١٩٨٩ ، – استمعت للأخبار عن ثورة الحجارة : ٣٢٧ فلسطينياً قتلوا (أغلبهم أطفال يلقون بالأحجار) وثمانية من صف إسرائيل (أغلبهم جنود ، يطلقون النار) . ثم أعلن الوزير الإسرائيلى : « سيحدث التفاوض فقط حين يتخلى الفلسطينيون عن العنف » هل كنت أحلم ؟ أم تم تخدير الروح الناقدة للعالم بأسره ؟ انتصار التفاهة على العقل .

ومنذ عام ١٩٨٩ ، أعلن الجنرال ديجول احتجاجه على سيطرة الصهاينة على الإعلام . وقد استطاع هذا التأثير الآن عكس المعانى تماماً ، حتى باتت مقاومة الضعيف إرهاباً ، واعتداء القوى « حرباً ضد الإرهاب » .

وقد وقفت المحكمة العليا ، فى قرار ٢٤ مارس ، ١٩٨٦ فى صفنا ، واعتبرت أننا كنا ننتقد إسرائيل ، ولا نسعى لخلق نزعة عنصرية . وقد طلب من LICRA أن تدفع تكاليف القضية . ثم استأنفت LICRA القضية للمحكمة العليا وخسرت الاستئناف أيضاً . وطلب القضاة منها أن تدفع التكاليف . ولو كنا قد خسرنا أى من القضيتين ، لتصدرت صورنا مع الاتهامات بمعاداة السامية الصفحات الأولى لكل مجلة فرنسية وأوربية .

ولكن ، وبالرغم من الانتصار ، دفعت ثمناً باهظاً . منعت من الظهور فى التلفاز ، ورفضت مقالاتى . وقد نشرت أربعين كتاباً ترجمت إلى سبع وعشرين لغة قبل ذلك . بلغنى أن بعض دور النشر تلقت تهديدات بالمقاطعة الأمريكية لو نشروا كتبى ، وبعدم السماح لهم بحقوق الترجمة للأعمال الأمريكية . قال ناشر آخر

لمسئول النشر ، بعد أن وافق على نشر كتاب لى ، « لا أستطيع تقبل أى كتب لجارودى هنا » .

وهذه قصة دفن رجل حى .

وهكذا لم يسمح لنا بمقاومة دعايات لا يمكن تصديقها ، وحكم على بالموت الأدبى ، لأنى تجرأت على كتابة الحقيقة .

أسطورة « المعجزة الإسرائيلية » . التمويل الخارجى لإسرائيل

قدمت ألمانيا الكثير من المال لإسرائيل . وكان المفاوض من قبل إسرائيل ناحوم جولدمان قد وصف فى مذكراته ماتم بهذا الشأن :

فى بداية عام ١٩٥١ ، طلبت إسرائيل لأول مرة تعويضات من ألمانيا ، وكان قدرها بليون ونصف البليون دولار ، دفعت ألمانيا الغربية نصفها ، والشرقية النصف الآخر . واعتمد اختيار هذا القدر من المال على الأسس التالية :

تقبلت إسرائيل حوالى ٥٠٠٠٠٠ يهودى كانت تكلفة ضم كل منهم إلى المجتمع ٣٠٠٠ دولار . وبما أن إسرائيل أنقذت هؤلاء الضحايا من النازية ، فهى تطالب بهذا المبلغ باسم الشعب اليهودى . وفى الواقع ما كان هناك حق شرعى لهذا الطلب ، إذ لم توجد إسرائيل خلال فترة الحكم النازى .

بكثير من الشجاعة والكرم قبلت القيادات الألمانية بدء المفاوضات وهى مستعدة لدفع بليون دولار ، وإن وجد من اعترض عليها بشدة داخل الحكومة ، بين زعماء الأحزاب السياسية وفى عالم البنوك والصناعة . وبعد مفاوضات طويلة ، وافق الوفد الألمانى على دفع ثلاثة بلايين مارك ، وهو ربع المبلغ الذى طلبه الوفد الإسرائيلى . استمرت المفاوضات فى ٣ يوليو ووافقت إسرائيل على التنازل التالى : وهو تقديم ١٠ ٪ من خمسمائة مليون أخرى إلى ضحايا النازية من غير اليهود . وقد تم الاتفاق فى ١٠ سبتمبر ١٩٥٢ فى لوكسمبرج . وساعدت هذه المعونات الألمانية الاقتصاد الإسرائيلى كثيراً . الخطوط الهاتفية ، القطارات ، البنية الأساسية للموانئ ، أجزاء

بأكملها من الصناعة والزراعة ما كانت لتتقدم بدون المعونات الألمانية . وأخيراً ، فإن مئات الآلاف من اليهود قد استلموا مبالغ جيدة بسبب قوانين التعويض الألمانية .[٢٨]

وفي كتاب آخر من كتبه المعروفة ، يتحدث ناحوم جولدمان عن مفاوضاته مع قيادات النمسا ، التى طلب منها دفع تعويضات لليهود . وقد أجابته تلك القيادات بأن سكان النمسا كانوا أيضًا من الضحايا ، فذكرها بما حدث فى ڤيينا فى مارس ١٩٣٨ ، فوافقت على دفع ثلاثين مليون دولار . وبعد فترة عاد جولدمان وطلب ثلاثين مليونا أخرى ، ثم أعاد الكرة مرة ثالثة ، وتحققت طلباته كل مرة

وقد وجدت مصادر أخرى للتمويل نتج عنها ما يسمى « المعجزة الإسرائيلية » فى ميدان الاقتصاد والتسلح . والواقع أن قيام الغرب بمد إسرائيل بالعتاد والسلاح ، جعلها أكثر قوة بكثير من الدول العربية المحيطة بها .

وباستثناء التعويضات ، تستفيد إسرائيل من مد لا ينضب من المعونات الأمريكية ، ناتج عن قوة مجموعات الضغط الإسرائيلية ، وكذلك تبرعات من يهود الشتات . والسيد بنهاس سابير ، الذى كان وزيراً للاقتصاد ، كشف عام ١٩٦٧ فى القدس خلال مؤتمر أصحاب البلايين من اليهود أن إسرائيل قد استلمت بين ١٩٤٩ - ١٩٦٦ حوالى سبعة بلايين دولار [٢٩].

د . يلوف هرزوج ، المدير العام فى مكتب وزير الخارجية ، قال فى تعريف هذه اللقاءات ما يلى : « نسعى لجلب الاستثمارات الأجنبية إلى بلادنا ولربط رأس المال اليهودى فى الخارج بالاقتصاد الإسرائيلى . نحاول أيضًا منع اليهود من الامتزاج بشعوب الدول التى يعيشون فى ظلالها » . وقد استفادت إسرائيل بالفعل من هذا النشاط الذى جلب لها بليون دولار كل عام .

ولكن المعونات الأكثر أهمية أتت من الدولة الأمريكية التى قدمت حوالى ثلاثة بلايين دولار كل عام . ونصف هذه المعونات تتكون من هدايا وديون سرعان ما تنسى . أما الديون المتبقية فتتزايد بسرعة وقد اقتربت الساعة من عشرين بليون دولار . أى حوالى ٥٠٠٠ دولار يناط دفعها بكل فرد من السكان .

(٢٨) Nahume Goldmann , " Autobiograhie ", Pub . Fayard, Paris 1969.

(٢٩) " The Israeli Economist . September 1967 vol. 9 .

ومنذ موافقة الحكومة على قانون خاص بتصدير الأسلحة خارج الولايات المتحدة صارت أغلب المعونات تأتى فى شكل سلاح .

ولمعرفة مقدار المعونات التى وصلت لإسرائيل ، يمكن تذكر أن خطة مارشل لمعاونة أوربا الغربية بين ١٩٨٤ - ١٩٥٤ وصلت قيمتها إلى ثلاثة عشر بليون دولار . بكلمات أخرى ، و صل لإسرائيل ، وسكانها من اليهود حوالى المليونين ، أكثر مما قدم لمئتى مليون أوربى ، وهذا يعنى أن كل مواطن إسرائيلى استلم مائة ضعف المواطن الأوربى .

يمكن المقارنة بين المعونات التى تستلمها إسرائيل ودول العالم الثالث ما بين عامى ١٩٥١ - ١٩٥٩ وهى لم تزد على ٣ بلايين دولار ، بينما استلمت إسرائيل خلال الفترة ذاتها ٤٠٠٠٠٠٠٠ دولار أى أنها بالرغم من أن تعداد سكانها واحد من الألف فى العالم الثالث ، استلمت عشر المجموع الكلى [٣٠].

ولكن إسرائيل لا تزال تريد المزيد . فهى تسعى لتكوين شبكة استثمارات عالمية تكون مركزاً لها . وقد قدم أحد طالبى الدكتوراه فى التسعينات لجامعة باريس أطروحة تتناول « التمويل الخارجى لدولة إسرائيل »[٣١] وهذا النص يوضح أنها اعتمدت سابقًا على تبرعات من اليهود فى الشتات ، وإن باتت الآن تعتمد أكثر فأكثر على معونات الولايات المتحدة التى تفوق بليونى دولار كل عام . وهكذا ، وفى عام ١٩٨٢٠ ، تمت الموافقة على تقديم سلاح بقيمة بليون دولار إلى إسرائيل ، ومسح نصف السعر فوراً ، وأضيف الباقى للديون . وتم تأجيل الدفع لحوالى عشر سنوات . والواقع أن إسرائيل لا تدفع شيئًا من هذه الديون ، فما تدفعه يضاف إلى المعونات المالية السنوية [٣٢].

من مصادر الدعم الاقتصادى لإسرائيل أيضًا الأسهم والسندات الإسرائيلية التى تباع غالبيتها العظمى فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وتضاف بأرباحها السنوية

(٣٠) Goerge Corm , : Les Finances d' Israel " (Ips, 1986)

(٣١) Jacques Bendelac " Les fonds Exterieurs d'Israel " Ed " Economia " Pairs, 1982

(٣٢) T. Stauffier. Christian Science Mcnitor, December 20 th1981

إلى الاقتصاد الإسرائيلى . وقد وصل إلى إسرائيل فى الواقع حوالى أحد عشر بليون ونصف البليون دولار ما بين عامى ١٩٨٢ و ١٩٨٤[٣٣]

وهكذا يبدو واضحًا أن إسرائيل تعتمد أكثر فأكثر ، ومنذ السبعينيات ، على تمويل من الولايات المتحدة .

وقد كتب البروفسور يشايهاو لبيوييتز من الجامعة اليهودية فى القدس ، فى كتابه « إسرائيل واليهودية » الذى نشر بالعبرية فى القدس عام ١٩٨٧ ما يلى :

نظامنا فاسد حتى النخاع للأسباب التالية :

١) نفكر فى كل شىء حسب نظام الوطنية والدولة . (ص . ١٨٢) وإن باتت الدولة هدفًا فى حد ذاته ، لقلت أهمية الدين اليهودى . بل إننا نعتبر أن الشعور الوطنى هو سبب دمار الإنسانية . إن الدولة العبرية ليست دولة تملك جيشًا ، بل جيشًا يملك دولة .

٢) دولتنا تعتمد كليًا على المعونات الأمريكية . وهكذا قد تنهار هذه الدولة إن توقفت المعونات (١٨٦).

Statistical Abstract of israel and Bank of Isreal, Arunal REports (٣٣)

استنتاج

أولاً : بشأن استخدام الأساطير للتعبير عن النمو الإنسانى للبشرية . لقد طور الإنســان ، حتى قبل اكتشاف الكتابة ، التراث الشفهى الذى قد يصور أحداثاً حقيقية ، وإن كان هدفه تبرير الأسس التى يعتمد عليها التنظيم الاجتماعى ، النشاطات الثقافية ، مصادر القوة المتاحة للقيادات ، أو طموحات المجتمع المستقبلية.

وهذه الأساطير العظيمة تعود لفجر الإنسانية ، وتصف الأفعال الجريئة للأجداد الأسطوريين ، اللحظات المهمة حين أدرك الإنسان قواه ووظائفه ، رغبته فى تحسين أوضاعه عن طريق تجاربه وآماله متصوراً نفسه فى المستقبل حين ستتحقق أحلامه .

أما ما نسميه « التاريخ » فيكتبه المنتصرون ، أسياد الإمبراطوريات ، القواد الذين يدمرون الأرض ، الاقتصاديون الذين ينهبون ثروات العالم .

الحركة الصهيونية تستخدم أساطير قديمة لتبرير سياساتها المعاصرة . انتقاد الاستخدام السياسى للكتب المقدسة لا يعنى البتة انتقاد هذه الكتب . تضحية النبى إبراهيم ، أو الخروج يبقيان رمزاً لسعى الإنسان وراء الحرية ، الخروج من العبودية والبحث عن الله والروح . ما ننتقده هو استخدام الصهاينة لهذه النصوص المقدسة ، التركيز على فكرة الشعب المختار ، التى تبرر مبدئياً جميع أنواع التسلط ، الاستعمار ، وقتل الناس .

وقد اعتمد هذا العمل على نصوص واقعية : ما كان الهدف منها الدعوة للحرب ضد إسرائيل ، بل تحويل القضية من الدين إلى السياسة . فالأرض المعنية محتلة ، وتبقى خاضعة للاحتلال بسبب موازين القوى . الهدف ليس إعادة كتابة التاريخ ، بل طلب تطبيق القوانين الدولية العادلة حتى لا نحيا حسب قوانين الغابة .

فى وضع الشرق الأوسط ، نطالب بتطبيق القرارات التى قدمتها الأمم المتحدة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، خصوصاً قرار ٢٤٢ ، الذى منع احتلال المزيد من الأرض ، وسرقة الثروات المائية ، والأراضى عن طريق الاستيطان الذى تحميه قوة

بسلاح الجيش الإسرائيلى والمستوطنون . إن استمرار الاحتلال يجعل السلام صعبًا ، لأن التعايش بين شعبين متساويين مستقلين بات مستحيلاً . وهذا السلام يرمز له مدينة القدس ، المقدسة ، التى يجدر بالأديان الثلاثة أن تحيا فيها معا .

فى ذات الوقت ، فإن انتقاد أسطورة « المحرقة » ليس سعيًا لعد أرقام الضحايا. إن عذب فرد واحد من أجل جذوره أو عقائده ، فذلك سيبقى جرماً ضد الإنسانية جمعاء . ولكن لا يحق لشعب أن يؤكد على معاناته للاضطهاد على حساب شعوب أخرى . التأكيد على محرقة اليهود قد يدفع بالفرد لتناسى مجازر الهنود الحمر ، واستعباد الشعوب الأفريقية ، وغيرها من جرائم الحكام القساة .

محاكم نيورمبورج التى قام بها المنتصرون فى الحرب العالمية الثانية أسعدت الجميع ، فبات سهلاً على الأمريكان تناسى الجرائم التى ارتكبوها ضد الهنود الحمر . لم يتذكر أحد حملات التطهير التى قام بها ستالين ، ونسى البريطانيون والفرنسيون ما ارتكبوه من جرائم أثناء الاستعمار . أما المنتصرون أكثر من غيرهم ، فكانوا الصهاينة الذين مثلوا دور الضحية ، وأنشأوا دولة إسرائيل . بالرغم من وفاة أكثر من خمسين مليون فرد خلال الحرب ، اعتبر الصهاينة أنهم الضحية الوحيدة التى عانت تسلط هتلر ، وهكذا اعتبروا نفوسهم أعلى من القانون .

لا أود الحديث عن صدق ما قاله الإعلام . ولكن توضيح الحقائق فحسب .

الهدف الأساسى لهذا الكتاب هو كشف الجرائم التى نتجت عن الأساطير الصهيونية ، التى سببت خمس حروب وهددت الأمن والسلام ، بتشجيع الولايات المتحدة الأمريكية بسبب ضغوط المجموعات الصهيونة وتأثيراتها على الرأى العام العالمى .

أخيراً ، كان من الضرورى لنا – عن طريق تقديم المصادر والأدلة على ماننذكره – من فصل نفوسنا عن جميع عمليات التزوير التى تهدف لتشويه دين أو مجتمع ، وتؤدى هذه الطريقة إلى الكراهية والاضطهاد ، المثال المشهور هو « بروتوكلات حكماء صهيون » ، الذى تحدثت عنه فى كتب سابقة ، و قد عثر هنرى رولن على أحد النصوص التى زورها فون بليفن الوزير الروسى للداخلية فى أوائل القرن العشرين .

١) توجد وثيقة فرنسية كتبها عام ١٨٦٤ المؤلف موريس جولى ضد نابليون الثالث عنوانها : « نقاش فى الجحيم بين مونتسكو وميكافيلى » قدم فيه نقداً قاسياً للنظام التوسعى للإمبراطور الفرنسى .

٢) توجد مقالة كتبها المهاجر الروسى ، الباسوين ، ضد سفير روسيا للاقتصاد ، الكونت د . ويت ، عنوانها : « إلى أين يقود السيد ويت روسيا » ١٨٩٥ وهو دراسة مسروقة من نص سابق انتقد السيد د . كالون ، وانتقد العلاقات بين وزير الاقتصاد والبنوك الدولية ، وهدف الهجوم كان نقد ويت الذى كرهه المؤلف .

من المؤسف أن هذا النص المزور انتشر (خصوصاً فى بعض الدول العربية) . وقدم للصهاينة والإسرائيليين خير عذر للدفاع عن سياساتهم الشرق أوسطية .

دعنا نلخص مايقدمه التاريخ النقدى بدون الاعتماد على الأساطير التى تهدف للدفاع عن سياسات بعينها .

بنى هتلر نفسه على الأساطير العنصرية ، وهاجم اليهود بعد أن دمر الشيوعية ، التى كان تدميرها هدفه الأساسى (وهى حقيقة جعلت الديمقراطيات الغربية تعاونه لمدة طويلة) . وقد اضطهد هتلر اليهود لسببين متعارضين : فأولاً ، اتهمهم بأنهم سببوا الثورة الروسية ، ويسعون للوصول إلى قلب أوربا ، وثانياً ، أنهم يمثلون الرأسمالية .

وقد قال الحزب الاشتراكى الوطنى إن « اليهودى لايمكن أن يكون مواطناً مخلصاً » .

وهكذا فقدت ألمانيا بعض أهم شخصياتها العلمية ، الثقافية ، والموسيقية ، لأن أصلهم يهودى . تجاهل هتلر بشكل متعمد الفوارق بين الدين والعرق . فى عام ١٩١٩ ، أعلن مايسميه « الحل الحاسم » : أى « التخلص من اليهود » . وهذا الهدف بقى معه حتى وفاته ، تماماً مثل الصراع ضد الشيوعية . وما إن وصل للسلطة حتى قام وزيره بعقد اتفاقية هافارا مع الصهاينة لنقل اليهود الألمان إلى فلسطين .

وبعد عامين أصدرت ألمانيا قانون « الدفاع عن طهارة الدم » ضد اليهود والمغاربة . وهذا القانون سمح بإبعاد اليهود من الخدمات المدنية ومن المواقع الهامة فى القطاع الخاص . ومنع التزاوج بين الأجناس ، وتم اعتبار اليهود أجانب ، وازدادت حدة التفرقة عام ١٩٣٨ . وفى ٧ نوفمبر ١٩٣٨ قتل شاب يهودى يدعى جرنيسبان فون راث ، عاملاً فى السفارة الألمانية فى باريس . نتج عن هذا الحادث تدمير المتاجر اليهودية فى يومى ٩ - ١٠ نوفمبر ، ونهبها . ثم تدمير ونهب ٨١٥ متجراً ، ١٧١ منزلاً و٢٦٧ محفلاً و١٤ مبنى آخر ، واعتقل ٢٠٠٠ يهودى ، و٧ رجال بيض ، وثلاثة أجانب .

وما كان هذا العنف رد فعل عفوى للشعب الألمانى ، بل برنامجًا منظمًا للحزب النازى .

الحكومة رسميًا انتقدت هذا البرنامج . ولكن الواقع أن أوامر صدرت من مكتب جورنج ذاته تدعم العنصرية . الأول يقدم بعض التعويضات للجالية اليهودية ، الثانى يفصل اليهود عن الحياة الألمانية الاقتصادية ، والأخير يقرر أن شركات التأمين تدفع للدولة ، لا لليهود التعويضات لمن كان مؤمنًا .

١ - يوجد توازٍ بين الأساليب التى استخدمت لاضطهاد اليهود فى ألمانيا والعرب . فى فلسطين عام ١٩٨٢ ، حدثت محاولة لاغتيال دبلوماسى إسرائيلى فى لندن . القيادات فوراً اتهمت منظمة التحرير ، احتلت أراضى لبنانية لتدمير القواعد الفلسطينية هناك ، مما أدى لقتل عشرين ألف فرد . بيجن وآريل شارون ، مثل جوبلز سابقًا ، انتقما عن طريق قتل أعداد كبيرة من الأبرياء .

وقد سعت إسرائيل باكرا لإشعال نار الطائفية فى لبنان . قال الجنرال موشى ديان ما يلى فى ١٦ يونيو ١٩٥٥« كل ما نحتاجه هو العثور على شخص يدعم قضيتنا ، ويؤجج نار الطائفية فى لبنان . ثم يدخلها جيشنا وتسير الأمور بخير بعد ذلك » .

وما يجعل الجريمة الإسرائيلية أكثر بشاعة هو أن سببها ليس منظمة التحرير. قدمت مرجريت تاتشر الأدلة على أن من ارتكب الجريمة كان من أعداء منظمة التحرير

إلى مجلس العموم البريطاني . وبعد اعتقال المذنبين ، قالت : « أراد هؤلاء الأفراد اغتيال رئيس منظمة التحرير في لبنان .. وذلك يثبت أن المهاجمين لم يدعموا منظمة التحرير . أما الهجوم الإسرائيلي على لبنان ، فاستخدم الاغتيال لتبرير الاعتداء » .

هذا الرفض للدعاية الإسرائيلية لم يلاحظه أحد في فرنسا ، التي بقي إعلامها يؤكد على أسطورة « الدفاع عن الذات » . واستخدامه لتبرير عدوان جديد .

أما الحرب ، مثل غيرها من الأعمال العدوانية ، فهي ترتبط بالعقائد الصهيونية .

وقد قام الألمان بعد احتلال بولندا بإنشاء مواقع جمع اليهود فيها ، وتم التفكير بشكل جدي في نقلهم إلى مدغشقر عام ١٩٤٠ . وبعد احتلال أجزاء من الاتحاد السوفيتي ، قرر هتلر نقل اليهود من أوربا إلى روسيا ، بل وأعلن عام ١٩٤٢ ، في ٢ يناير ، « لابد أن يهجر اليهود أوربا ، أفضل حل لهم هو الرحيل إلى روسيا » .

مع تراجع القوات الألمانية من روسيا ، طلب هتلر أن يستخدم اليهود في العمالة . في مخيماتهم كانت الأوضاع سيئة لدرجة وفاة الآلاف منهم ، خصوصاً بعد انتشار التيفوس ، الذي تطلب تعقيم الثياب منه استخدام بعض الأفران . ثم نُقل اليهود لبناء طرق في ظروف صعبة أدت لوفاة عشرات الآلاف منهم .

وهذه الجريمة البشعة لا تحتاج لنيران المحرقة التي رسمتها الدعاية الصهيونية . ولا يحق كذلك نسيان خمسين مليون ضحية ماتت خلال الحرب ضد البربرية النازية .

لا يزال التقييم التاريخي غير تام . لأن الكثير من الملفات الألمانية لاتزال في الولايات المتحدة الأمريكية ، ولابد من دراستها للتأكد من حقيقة ماحدث . والآن فقط بدأت المعلومات المتوفرة في روسيا بهذا الشأن بالظهور . ولكن من الضروري الفصل بين التاريخ والأسطورة . بات الآن من المؤكد أن رقم أربعة ملايين ضحية ماتت في مخيم أوسترتش غير دقيق . العدد الصائب كان مليونًا فحسب . فكرة الستة ملايين يهودي الذين قضى هتلر عليهم في حله الحاسم قلَّت بكثير الآن . أما وفاة سبعة عشر مليون روسي وتسعة ملايين ألماني ، فهذه الأرقام لا تزال ، مع الأسف ، أقل أهمية بكثير .

ومن أجل تحقيق الهدف الصهيوني ، تم تجاهل حقائق التاريخ والعدالة . « الحل الحاسم » بات يعني التصفية العرقية ، لا تهجير اليهود الأوربيين إلى أفريقيا أو روسيا .

من المؤسف أن الكثير من النصوص التاريخية بهذا الشأن لا تزال محرمة ، مناقشتها ممنوعة . لا يوجد أي أسلوب لانتقاد الهتلرية خير من كشف الحقائق .

ولهذا الهدف كتبنا هذا الكتاب .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ – ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت: محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ – رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت: عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر ألن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	أن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	ت : المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ١	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ – الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانوبيا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ – السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ – نقد استجابة القارئ	جين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ – چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣ – مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥ – مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (المجلد الأول)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨ – الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ – النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ – قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧ – صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبـة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

العنوان	المؤلف	المترجم
١٠٨ – ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩ – حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ – النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ – المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ – الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ – راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ – مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ – غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ – امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ – المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ – النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ – النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ – الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ – الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ – نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ – الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ – الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ – التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ – فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ – إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ – الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ – الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ – الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١ – مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ – ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ – الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ – تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ – المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ – فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ – مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ – عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ – پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ – حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ – اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ – الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ – قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ – صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف البمبى
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جى أنيال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ – الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ – شامپوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ – العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ – جان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ – القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	ت : دسوقى سعيد
١٨٥ – أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ – معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ – الأرضة	بُزُرْج علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ – موت الأدب	ألفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ – العمى والبصيرة	بول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ – محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ – الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ – ساحت نامه إبراهيم بك جـ١	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ – عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ – مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ – شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ – المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ – الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ – الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ – تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ – ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ – الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ – الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ – تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ – الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى – سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ – الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ – ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ – شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ – السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ – مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ – فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ – قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ – مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ – قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ – سياحت نامه إبراهيم بك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ – جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ – مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ – رايولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ – بقايا اليوم — كازو ايشجورو — ت : طلعت الشايب

٢٢٠ – الهيولية فى الكون — بارى باركر — ت : على يوسف على

٢٢١ – شعرية كفافى — جريجورى جوزدانيس — ت : رفعت سلام

٢٢٢ – فرانز كافكا — رونالد جراى — ت : نسيم مجلى

٢٢٣ – العلم فى مجتمع حر — بول فيرابنر — ت : السيد محمد نفادى

٢٢٤ – دمار يوغسلافيا — برانكا ماجاس — ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد

٢٢٥ – حكاية غريق — جابرييل جارثيا ماركث — ت : السيد عبد الظاهر عبد الله

٢٢٦ – أرض المساء وقصائد أخرى — ديفيد هربت لورانس — ت : طاهر محمد على البربرى

٢٢٧ – المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر — موسى ماردينا ديف بوركى — ت : السيد عبد الظاهر عبد الله

٢٢٨ – علم الجمالية وعلم اجتماع الفن — جانيت وولف — ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن

٢٢٩ – مأزق البطل الوحيد — نورمان كيمان — ت : أمير إبراهيم العمرى

٢٣٠ – عن الذباب والفئران والبشر — فرانسوا جاكوب — ت : مصطفى إبراهيم فهمى

٢٣١ – الدرافيل — خايمى سالوم بيدال — ت : جمال أحمد عبد الرحمن

٢٣٢ – مابعد المعلومات — توم ستينر — ت : مصطفى إبراهيم فهمى

٢٣٣ – فكرة الاضمحلال — أرثر هيرمان — ت : طلعت الشايب

٢٣٤ – الإسلام فى السودان — ج. سبنسر تريمنجهام — ت : فؤاد محمد عكود

٢٣٥ – ديوان شمس تبريزى ج١ — جلال الدين الرومى — ت : إبراهيم الدسوقى شتا

٢٣٦ – الولاية — ميشيل تود — ت : أحمد الطيب

٢٣٧ – مصر أرض الوادى — روبين فيدين — ت : عنايات حسين طلعت

٢٣٨ – العولمة والتحرير — الانكتاد — ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد

٢٣٩ – العربى فى الأدب الإسرائيلى — جيلارافر – رابوخ — ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق

٢٤٠ – الإسلام والغرب وإمكانية الحوار — كامى حافظ — ت : صلاح عبد العزيز محمود

٢٤١ – فى انتظار البرابرة — ك. م كويتز — ت : ابتسام عبد الله سعيد

٢٤٢ – سبعة أنماط من الغموض — وليام إمبسون — ت : صبرى محمد حسن عبد النبى

٢٤٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ١) — ليفى بروفنسال — ت : مجموعة من المترجمين

٢٤٤ – الغليان — لاورا إسكيبيل — ت : نادية جمال الدين محمد

٢٤٥ – نساء مقاتلات — إليزابيتا أديس — ت : توفيق على منصور

٢٤٦ – قصص مختارة — جابرييل جرثيا ماركث — ت : على إبراهيم على منوفى

٢٤٧ – الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر — وولتر أرمبرست — ت : محمد الشرقاوى

٢٤٨ – حقول عدن الخضراء — أنطونيو جالا — ت : عبد اللطيف عبد الحليم

٢٤٩ – لغة التمزق — دراجو شتامبوك — ت : رفعت سلام

٢٥٠ – علم اجتماع العلوم — دومنيك فينك — ت : ماجدة أباظة

٢٥١ – موسوعة علم الاجتماع ج ٢ — جوردون مارشال — ت بإشراف : محمد الجوهرى

٢٥٢ – رائدات الحركة النسوية المصرية — مارجو بدران — ت : على بدران

٢٥٣ – تاريخ مصر الفاطمية — ل. أ. سيمينوفا — ت : حسن بيومى

٢٥٤ – الفلسفة — ديف روبنسون وجودى جروفز — ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٥ – أفلاطون — ديف روبنسون وجودى جروفز — ت : إمام عبد الفتاح إمام

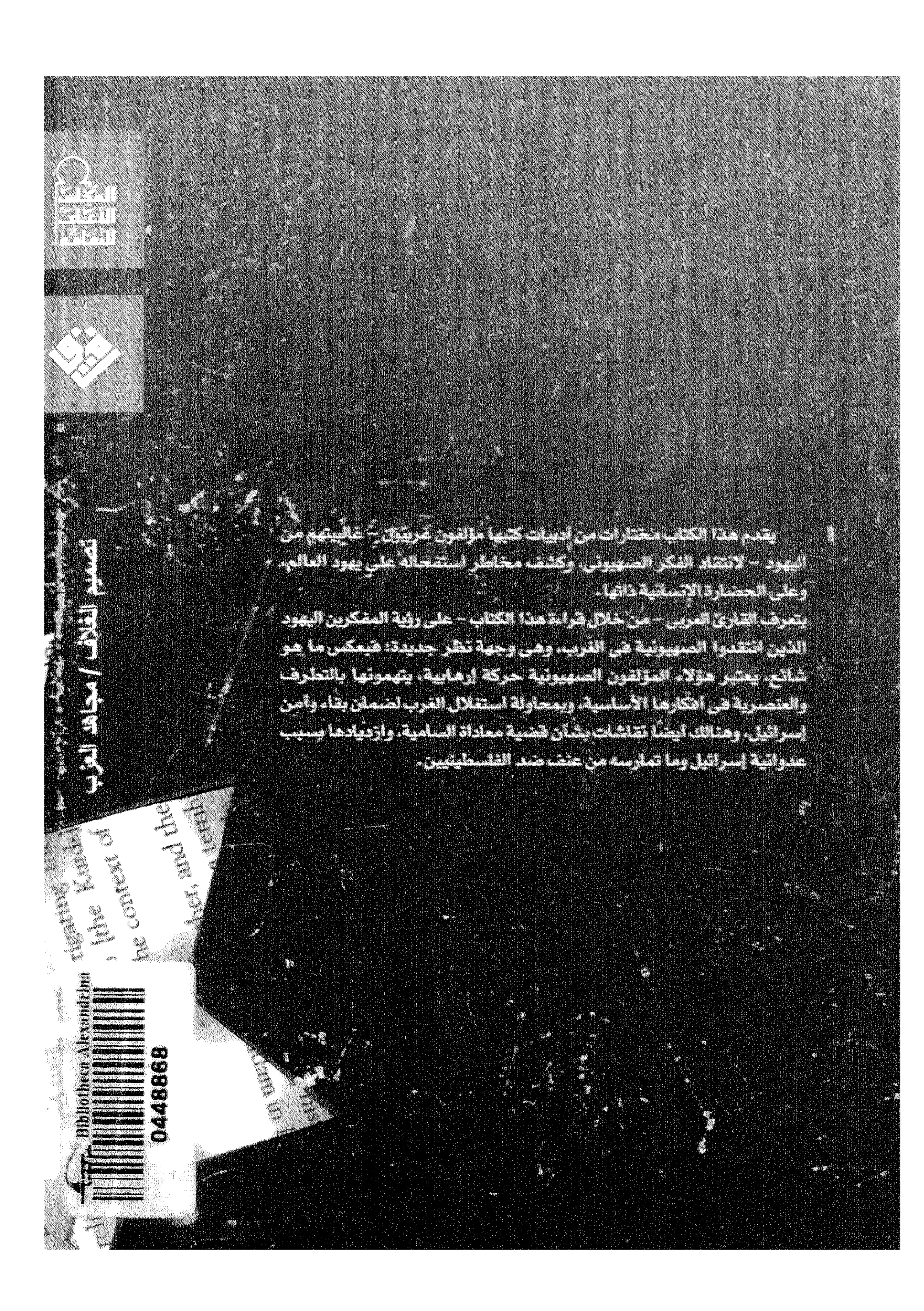
٢٥٦ – ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : ڤاروچان كازانچيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٣	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٦١ – رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن	جون جريين	ت : على يوسف على
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكى
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم جيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم جيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ – السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعرًا وناقدًا وكاتبًا مسرحيًا	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ – الجينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ – البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق	خوان رولفو	ت : على البمبى
٢٨٤ – هرقل مجنونًا	يوريبيدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – سياحت نامه إبراهيم بك ج٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ – ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ - مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ - فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ - سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ - مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ - فن النحو بين اليونانية والسوريانية	ديونيسيوس ثراكس - يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ - مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت : مصطفى حجازى السيد
٢٩٩ - ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ - أسطورة بروميثيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ - أسطورة بروميثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ - فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ - بوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ - ماركس	ريوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ - الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ - الحماسة - النقد الكانطى للتاريخ	جان - فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ - الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ - علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ - الذهن والمخ	انجوس جيلاتى	ت : جمال الجزيرى
٣١٠ - يونج	ناجى هيد	ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ - مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ - روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ - أمثال فلسطينية	خابير بيان	ت : عبد الله الجعيدى
٣١٤ - الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعى
٣١٥ - جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت :كاميليا صبحى
٣١٦ - محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ - بلا غد	شير لايموفا - زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ - الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ - صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ - لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج١)	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ - وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو. إيوجين كلينباور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ - فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ - اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ - عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كرستين يوسف
٣٢٦ - المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ - مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق على منصور
٣٢٨ - يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ - رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

العنوان	المؤلف	المترجم
٣٣٠ - كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت : سامى صلاح
٣٣١ - عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت : سامية دياب
٣٣٢ - رحلة شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٣٣ - الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت : بكر عباس
٣٣٤ - لقطات من المستقبل	آرثر س. كلارك	ت : مصطفى فهمى
٣٣٥ - عصر الشك	ناتالى ساروت	ت : فتحى العشرى
٣٣٦ - متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٣٣٧ - فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٣٨ - نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩ - تاريخ الأدب فى إيران جـ٣	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ - اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخرى لبيب
٣٤١ - قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت : حسن حلمى
٣٤٢ - سلامان وأبسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٤٣ - العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	ت : سمير عبد ربه
٣٤٤ - الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت : سمير عبد ربه
٣٤٥ - الركض خلف الزمن	بونه ندائى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ - سحر مصر	رشاد رشدى	ت : جمال الجزيرى
٣٤٧ - الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت : بكر الحلو
٣٤٨ - المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ١	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٤٩ - دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدرون وآخرين	ت : أحمد عمر شاهين
٣٥٠ - بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت : عطية شحاتة
٣٥١ - مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٥٢ - قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت : نعيم عطية
٣٥٣ - الفن الإسلامى فى الأندلس (هندسية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٤ - الفن الإسلامى فى الأندلس (نباتية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٥ - التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٥٦ - الميراث المر	بول سالم	ت : بدر الرفاعى
٣٥٧ - متون هيرميس	نصوص قديمة	ت : عمر الفاروق عمر
٣٥٨ - أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت : مصطفى حجازى السيد
٣٥٩ - محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت : حبيب الشارونى
٣٦٠ - أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت : ليلى الشربينى
٣٦١ - التصحر : التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت : عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢ - تلميذ باينبرج	هاينرش شبورال	ت : سيد أحمد فتح الله
٣٦٣ - حركات التحرر الأفريقى	ريتشارد جيبسون	ت : صبرى محمد حسن
٣٦٤ - حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت : نجلاء أبو عجاج
٣٦٥ - سأم باريس	شارل بودلير	ت : محمد أحمد حمد
٣٦٦ - نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت : مصطفى محمود محمد
٣٦٧ - القلم الجرىء	نخبة	ت : البرّاق عبد الهادى رضا

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٥٧٥٢ / ٢٠٠٢



يقدم هذا الكتاب مختارات من أدبيات كتبها مؤلفون غربيون - غالبيتهم من اليهود - لانتقاد الفكر الصهيوني، وكشف مخاطر استفحاله على يهود العالم، وعلى الحضارة الإنسانية ذاتها.
يتعرف القارئ العربي - من خلال قراءة هذا الكتاب - على رؤية المفكرين اليهود الذين انتقدوا الصهيونية فى الغرب، وهى وجهة نظر جديدة؛ فبعكس ما هو شائع، يعتبر هؤلاء المؤلفون الصهيونية حركة إرهابية، يتهمونها بالتطرف والعنصرية فى أفكارها الأساسية، وبمحاولة استغلال الغرب لضمان بقاء وأمن إسرائيل، وهنالك أيضًا نقاشات بشأن قضية معاداة السامية، وازديادها بسبب عدوانية إسرائيل وما تمارسه من عنف ضد الفلسطينيين.
تصميم الغلاف / مجاهد العزب